الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة التاسعة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٧هـ
كانون الثاني- شباط-آذار ٢٠٢٦م
٤٧٤
٤٧٥
٤٧٦

كلمة الوعي

النظام الدولي في ولاية ترامب الثانية: شرعية القوّة أم فراغ القيادة؟

محرر الوعي

كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة حفظه الله بمناسبة الذكرى الـ١٠٥ على هدم دولة الخلافة

مُعْضِلَةُ مدرسةِ «الإصلاح» وأزمتُها المُسْتَفْحِلَةُ في محاولتِها ترقيعَ الواقعِ العلمانيّ الكافرِ بالإسلام!

الأستاذ مُناجي محمد

اجتثاث النظام عند التغيير

الأستاذ عصام الشيخ غانم

إسقاط فكرة الاستدلال باختلاف المطالع على دخول الشهور القمرية، وإسقاط فكرة أن لكل أهل بلد رؤيتهم للهلال

الأستاذ: ثائر سلامة

هل نعيش نهايةَ مرحلةٍ تاريخيّةٍ أم بدايةَ انهيارٍ طويل؟

الأستاذ نبيل عبد الكريم

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

• كلمة الوعي: النظام الدولي في ولاية ترامب الثانية: شرعيةُ القوّة أم فراغُ القيادة؟ محرر الوعي ٣
• كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة حفظه الله بمناسبة الذكرى الـ١٠٥ على هدم دولة الخلافة ٢٧
• الطاغية ترامب وربيبه كيان يهود يشنان هجوماً وحشياً على إيران ٣٢
• اجتثاث النظام عند التغيير الأستاذ: عصام الشيخ غانم ٣٥
•مُعْضِلَةُ مدرسةِ «الإصلاح» وأزمتُها المُسْتَفْحِلَةُ في محاولتِها ترقيعَ الواقعِ العلمانيِّ الكافرِ بالإسلام! الأستاذ: مُناجي محمد ٤٠
• هل نعيش نهايةَ مرحلةٍ تاريخيَّةٍ أم بدايةَ انهيارٍ طويل؟ الأستاذ: نبيل عبد الكريم ٤٩
• الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥: هل تنجح في وقف الانحدار والسقوط أم تُعجِّل بهما؟ الأستاذ: نصر أبو إبراهيم ٥٣
• عَبَدَةُ الطَّاغُوتِ الأستاذة:عائشة الزعتري ٦١
• ربيع الأمة القادم... من الثورة إلى الخلافة الأستاذ: جمال الخميسي ٦٦
•كيف ضربت بريطانيا مُمْسِكاتِ الوحدة، وقطفت أمريكا الثمرةَ بسياسةِ حدودِ الدم المهندس: باسل مصطفى ٧٠
• رمضانُ لِمَنْ آمنَ واهتدى وعملَ صالحًا واتَّقى، وشَهِدَ له رمضانُ ولم يَشْهَدْ عليه الأستاذ: إبراهيم سلامة ٧٤
• إسقاط فكرة الاستدلال باختلاف المطالع على دخول الشهور القمرية .... الأستاذ: ثائر سلامة، أبو مالك ٧٩
• فبهداهم اقتده: الصَّحابيُّ الجليلُ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رضيَ اللهُ عنه الأستاذ: ريان عيسى ١١٠
• رياض الجنة: الجرأةُ في قولِ الحقّ الأستاذة: عائشة الزَّعْتَري ١١٢
• أخبار المسلمين في العالم ١١٦
• مع القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ...﴾ الأستاذ إبراهيم سلامة ١٢٤
• كلمة أخيرة: إبستين وإيران وتوقيت الضربة: ١٢٩
• غلاف أخير: اختراقٌ لا يُقاس بعدد العملاء بل بعمق الوصول ١٣٠

النظام الدولي في ولاية ترامب الثانية: شرعيةُ القوّة أم فراغُ القيادة؟

في عامٍ شهد عودة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى سدة الحكم، يشهد النظام الدولي تحولًا جذريًا من نظام قائم على القواعد والمؤسسات إلى مشهدٍ تحكمه صفقات القوة والتحالفات الآنية. تسعى إدارة ترامب الحالية إلى **تحجيم دور الأمم المتحدة وإعادة تعريف "الشرعية الدولية"** بمنطق القوة، وذلك عبر تقليص التمويل والانسحاب من منظمات أممية وإقامة أُطُرٍ بديلة مثل **"مجلس السلام"** الذي يترأسه ترامب نفسه. وفي المقابل، تواجه هذه التحولات مقاومة وقلقًا متصاعدًا بين حلفاء الولايات المتحدة التقليديين في أوروبا وكندا؛ إذ برز خطاب غير مسبوق لرئيس وزراء كندا منتقدًا نهج واشنطن ومعلنًا نهاية النظام العالمي القديم. لقد بات **التحالف الغربي على المحك** وسط أزمات ثقة متلاحقة – بدءًا من **التوترات عبر الأطلسي** وصولًا إلى أزمة **غرينلاند** التي أصبحت اختبارًا حادًا لتماسك المعسكر الغربي.

يرصد هذا المقال آليات التحول الراهن: من تراجع قيمة القانون الدولي أمام هيمنة القوة، إلى صعود دبلوماسية الصفقات والتلويح بالتعرفة والعقوبات حتى ضد الحلفاء. **الأطروحة الراجحة** التي يستند إليها التحليل هي أن واشنطن **ترتجل خطوات غير محسوبة ضمن رؤية قصيرة المدى** أكثر من كونها تمتلك خطة إستراتيجية لبناء ترتيب عالمي بديل. هذا الارتجال – المقترن بتآكل الشرعية الأمريكية داخليًا وخارجيًا – **يُسرّع خلق فراغٍ في القيادة العالمية** قد تسعى قوى أخرى كالصين وروسيا لملئه جزئيا. أخطر المآلات المحتملة لهذا المسار اثنان: **أولًا**، انهيار شبه كامل للتحالفات الغربية التقليدية ونشوء شروخ دائمة بين ضفتي الأطلسي، ما يترك أوروبا وكندا أمام خيارات صعبة، بين الرضوخ أو بناء بدائل دفاعية واقتصادية، و**ثانيًا**، ظهور نظام عالمي شديد الاستقطاب قائم على مناطق نفوذ متنافسة وفراغات في الشرعية الدولية، بحيث تزداد مخاطر النزاعات الإقليمية والتصعيد العسكري في غياب إطار دولي جامع وفعال، على أن الأمم المتحدة أصلا لم تكن إطارا جامعا ولا فعالا. في كلتا الحالتين، ستكون **تكلفة "الهيمنة بالقوة" باهظة على الاستقرار العالمي** – وربما على الولايات المتحدة نفسها – ما لم تُعِد واشنطن النظر في منهجها أو يتمكن الفاعلون الآخرون من ابتكار ترتيبات أكثر توازنًا واستدامة.

مقدمة: من نظام القواعد إلى نظام الصفقات؟

هل يشهد العالم نهاية "النظام القائم على القواعد" ودخول حقبة "شرعية القوّة" دون مواربة؟ منذ عودة ترامب إلى البيت الأبيض مطلع ٢٠٢٥، توالت القرارات والخطابات التي تنم عن **إعادة هندسة جذرية لمفهوم الشرعية الدولية** كما عرفها العالم منذ الحرب العالمية الثانية. استخدمت واشنطن نفوذها المالي والسياسي للضغط على المنظمات الدولية: بتقليص مساهماتها في ميزانية الأمم المتحدة، والانسحاب من منظمة الصحة العالمية ومنظمات أخر، وتعطيل عمل هيئات أممية عبر شغور التمويل والمقاعد. بالتوازي، لوّحت الإدارة الأمريكية بإقامة **أُطر موازية**

خارج مظلة الأمم المتحدة، من أبرزها «**مجلس السلام**» الذي رُوِّج له بوصفه آليةً لتحقيق الاستقرار بعد حرب غزة ٢٠٢٣، لكن سرعان ما اتخذ منحًى مختلفًا، بصفة البديل من مجلس الأمن الدولي، تقوده واشنطن منفردة، ولم يُخفِ الرئيس الأمريكي نواياه الحقيقية؛ إذ صرّح يوم ٢٠ يناير ٢٠٢٦ علنًا أن "الأمم المتحدة لم تفدني بشيء قط... قد يحلّ مجلسي هذا محلّها". ويعلّق خبراء بأن ترامب يسعى لتحويل هذا المجلس إلى **بديل لمجلس الأمن الدولي** ولكن بفيتو أمريكي أحادي. إلا أن الهيكل الفعلي الذي أسسه ترامب **أثار انتقادات واسعة،** فوصفته صحيفة الجارديان بأنه "نادٍ يديره ترامب بمنطق الدفع مقابل اللعب"، يخدم طموحاته الشخصية أكثر من السلام. وامتنعت دول أوروبية رئيسة عن الانضمام رغم تلقيها دعوات؛ فلم تستجب **المملكة المتحدة** (حيث وصف زعيمها مشاركة روسيا المحتملة بأنها "مدعاة للقلق")، وكذلك **فرنسا والنرويج والسويد** وغيرها رفضت الفكرة. وأعربت باريس صراحةً عن خشيتها من أن يكون المجلس محاولة لسحب البساط من الأمم المتحدة وتقويض شرعيتها. وجاء رد ترامب حادًا، مهددًا **بفرض رسوم ٢٠٠٪ على واردات النبيذ والشمبانيا الفرنسية** عقابًا لباريس على موقفها.

هذا المشهد يطرح تساؤلات محورية حول **مستقبل الشرعية الدولية**: هل نحن أمام **إعادة تشكيل متعمدة** لقواعد اللعبة الدولية وفقًا لمنطق القوى العظمى بعيدًا من التعددية والمؤسسات، أم ليس ما نراه سوى **خطوات ارتجالية** تفتقر لرؤية متماسكة، وقد تفضي في النهاية إلى **فراغ قيادي** وفوضى تستغلها قوى منافسة؟ السؤال لم يعد نظريًا، فملامحه تتجسد في **تبدّل سلوك الحلفاء** التقليديين لأمريكا وفي **اندفاع خصومها** لملء أي مساحة تتراجع فيها.

لفهم أبعاد التحول من نظام إلى آخر، تعالج المحاور التالية تسعة جوانب أساسية: بدءًا من مصير الأمم المتحدة، ومرورًا بأزمة التحالفات الغربية، ووصولًا إلى جدلية: تراجع أم إعادة تموضع القوة الأمريكية؟ ستكون مقارنةٌ للحجج المتنافسة حول كل محور – بين من يرى في ما يحدث **نقلةً "واقعية" نحو نظام قوة جديد** ومن يخشى أنه **تفكيكٌ ارتجالي للنظام القديم دون بديل واضح** – ثم ترجيح السيناريو الأرجح بالأدلة. الهدف هو تقديم **قراءة إستراتيجية للمآلات** الممكنة خلال السنوات القليلة القادمة، مع تحديد **مؤشرات مبكرة** لكل مسار، حفاظًا على قدرة صانعي القرار على الاستباق والتكيّف.

الأمم المتحدة وإعادة تعريف الشرعية الدولية

منذ بداية ولايته الحالية، اتخذ ترامب نهجًا صداميًا حيال المنظمة الدولية الأممية، رافعًا شعار "إصلاح النظام الدولي" لكن **بأدوات التحجيم والإزاحة**. فعليًا، **ترجمت واشنطن هذا النهج إلى خطوات ملموسة:** فخفّضت مساهماتها الإلزامية في ميزانية الأمم المتحدة إلى الحد الأدنى، وتخلّفت عن سداد متأخرات تتجاوز ١،٥ مليار دولار، ما فاقم العجز المالي للمنظمة. كما **انسحبت من منظمات أممية أساسية،** بذريعة انحيازها أو عدم فاعليتها؛ ففي يومه الأول بالمنصب أصدر

ترامب أمرًا تنفيذيًا بانسحاب أمريكا من منظمة الصحة العالمية وتجميد تمويلها بالكامل. وتبِع ذلك إنهاء المشاركة الأمريكية في مجلس حقوق الإنسان الأممي (الذي انسحبت منه أيضًا عام ٢٠١٨) بدعوى "انحيازه ضد أمريكا و(إسرائيل)"، فضلاً عن **قطع التمويل نهائيًا** عن وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) التي تعد أكبر مزود للخدمات الصحية والتعليمية في غزة. وفي خطوة أخرى رمزية، أعلنت الإدارة الانسحاب مجددًا من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) متهمةً إياها بالترويج لقيم "مستيقظة ومُقسِّمة" لا تتوافق مع السياسات الأمريكية. وعلى صعيد الاتفاقات الدولية، انسحبت واشنطن ثانيةً من **اتفاق باريس للمناخ** مطلع ٢٠٢٥، موجهة رسالةً أن الالتزامات الجماعية السابقة صارت حبرًا على ورق.

ما حدود ما يمكن لواشنطن تنفيذه فعليًا ضمن القيود القانونية والسياسية؟

من الناحية القانونية، لا تستطيع الولايات المتحدة "حل" الأمم المتحدة أو إنهاء دورها رسميًا، لكنها تمتلك قدرًا كبيرًا من النفوذ لتعطيلها عمليًا. فتخفيض التمويل وشغل مقعد عضو دائم في مجلس الأمن يتيحان لأمريكا **شلّ قدرة المنظمة على تنفيذ القرارات** أو إطلاق عمليات حفظ سلام جديدة. وقد شهدنا بالفعل تعطيلًا متعمدًا لبعض الآليات: تأخر تعيين مسؤولين أمميين بسبب اعتراض واشنطن، واستخدام الفيتو بكثافة في ملفات الشرق الأوسط، والدفع نحو "إصلاحات" إدارية تقلّص صلاحيات الأمانة العامة تحت شعار الكفاءة. على أن هناك قيودًا سياسية تحدّ من قدرة الإدارة الأمريكية على المضي إلى النهاية. فعلى الصعيد الداخلي، أبدى الكونغرس – ولو بشكل خافت – قلقه من انسحاب أمريكا الكامل من المنظومة الأممية، باعتبار أن ذلك قد يفتح المجال أكثر أمام الصين وروسيا لزيادة نفوذهما في المنتديات الدولية. وعلى الصعيد الخارجي، فإن **الدبلوماسية التفاوضية** لا تزال تؤدي دورًا؛ فكثير من مواقف ترامب التصعيدية استُخدمت كورقة ضغط للحصول على تنازلات، ثم جرى التراجع عنها أو تليينها في اللحظات الأخيرة ضمن صفقات تفاوضية. مثلًا، هددت واشنطن عام ٢٠٢٥ بإعادة هيكلة منظمة التجارة العالمية جذريًا أو انسحابها منها إن لم يغيَّر نظام تسوية المنازعات، لكنها اكتفت بشلّ عمل الهيئة مؤقتًا ودفع الدول الأخرى للتفاوض على إصلاحات. بمعنى أن **بعض خطاب "إنهاء الدور" يبقى تفاوضيًا** لتحقيق مكاسب، وليس تنفيذًا حرفيًا. ومع ذلك، لا يمكن إنكار الاتجاه العام: **تآكل غير مسبوق في شرعية القانون الدولي والمؤسسات متعددة الأطراف** عندما تتخلى القوة المهيمنة تاريخيًا عن حمايتها.

لقد أكد مستشار الأمن القومي الأمريكي صراحةً هذا التحول بقوله: «القانون الدولي لن يضمن أمننا؛ ما يضمنه هو قوتنا وتحالفاتنا التي نختارها». وهذه العبارة تلخص منطق الإدارة الحالية: **الانتقال من نظام قواعد ومؤسسات إلى نظام صفقات وتوازنات قوى**. وعليه يُطرح التساؤل: هل يستطيع العالم الحفاظ على حد أدنى من **"الشرعية المتفق عليها"** إذا انسحبت الولايات المتحدة من

هذا الدور؟ أم سنشهد عودةً كاملة إلى شرعية الأمر الواقع حيث "القوي يفرض والضعيف يرضخ"؟ الإجابات تكمن جزئيًا في سلوك الأطراف الدولية الأخرى، لا سيما حلفاء أمريكا التقليديين...

التحالفات الغربية على المحك: الحلفاء بين الشك وإعادة التموضع

اتسم العام الأول من ولاية ترامب الثانية **بتصدعات متزايدة في جدار الثقة عبر الأطلسي.** فبينما تسعى واشنطن إلى إعادة تعريف العلاقات مع الحلفاء بمنطق المعاملات التجارية الصرفة ("أمن مقابل مال" و"تحالف مقابل ولاء مطلق")، وجدت دول أوروبا وكندا نفسها أمام **معضلة وجودية:** إما التكيف مع نهج واشنطن الجديد وتحمل الإهانات والضغوط، أو محاولة **بناء استقلالية إستراتيجية** تجنبها الوقوع "ضحية على المائدة" الأمريكية. وفي هذا السياق، برز حدثان مفصليان كمِرآة لواقع التحالف الغربي الراهن: **خطاب رئيس وزراء كندا في دافوس ٢٠٢٦**، وأزمة **غرينلاند** بين واشنطن وحلفائها.

مرآة الحلفاء: خطاب دافوس الكندي

في سابقة دبلوماسية لافتة، وقف رئيس الوزراء الكندي **مارك كارني** على منصة المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس (يناير ٢٠٢٦) ووجّه انتقادات حادة – ضمنية وتصريحية – للسلوك الأمريكي. كارني، **صرّح بوضوح أن "النظام العالمي القائم على القواعد قد انتهى"**. ودعا ما أسماها "القوى المتوسطة" (الدول المتوسطة القوة مثل كندا والدول الاسكندنافية وربما بعض الدول الآسيوية) إلى **التكاتف لحماية نفسها** من تغوّل القوى العظمى. في كلماته: «عندما لا تعود القواعد تحميك، عليك أن تحمي نفسك. وعلى الدول المتوسطة أن تتحرك معًا، وإلا فستجد نفسها على قائمة الطعام لا على طاولة الحوار». هذا التصريح الجريء قوبل **بتصفيق حار ووقوف الحضور تحيةً له** – وهو أمر نادر في منتدى دافوس – ما يعكس تعطش الكثيرين لقيادة بديلة أو صوت حلفاء يوازن الصوت الأمريكي. ولم يكن كارني نظريًا فحسب؛ فقد **شرع فعليًا في خطوات لتقليل اعتماد كندا الاقتصادي على الولايات المتحدة** عبر عقد صفقات تجارية مع الصين وشراكات مع دول الشرق الأوسط خلال جولته. وأشار إلى ذلك بقوله إن كندا تسعى "لبناء استقلالية إستراتيجية في مجالات التجارة والطاقة وغيرها" تحسبًا لتقلبات السياسة الأمريكية.

أثار هذا الموقف العلني **رد فعل غاضبًا من ترامب.** فعلى الفور عقّب الأخير بأن "على كندا أن تتذكر أنها تعيش بفضل كرم الولايات المتحدة... عليك أن تشكرنا يا مارك في المرة القادمة"، مخاطبًا كارني مباشرة أمام الملأ، بل إن ترامب ذهب أبعد من ذلك في استفزاز حليفه الشمالي؛ فقبل الخطاب بيوم، نشر **صورة مُولَّدة بالذكاء الاصطناعي تُظهِر كندا وغرينلاند ملفوفتين بالعلم الأمريكي**، في تلميح صادم إلى فكرة "ضم" الأراضي الكندية! هذه التصرفات غير المسبوقة من رئيس أمريكي تجاه جارته الحليفة هزّت المجتمع الكندي. أظهرت استطلاعات الرأي هناك **ارتفاعًا في مشاعر القلق والسخط:** انخفضت نسبة من يرون الولايات المتحدة شريكًا موثوقًا، وبدأ الكنديون

بمقاطعة بعض السلع الأمريكية وخفض الرحلات إلى الولايات المتحدة بشكل ملموس ردًا على لهجة التهديد. ومع ذلك، حافظت أوتاوا على شعرة دبلوماسية مع واشنطن؛ فكارني رغم لهجته الصارمة اضطر لاحقًا لتخفيف بعض الإجراءات (مثل سحب مقترح ضريبة الخدمات الرقمية الذي أغضب واشنطن وتقديم اعتذار عن إعلان كندي مسيء لترامب) سعيًا لاستئناف المفاوضات التجارية. وهذا يدل على **حدود قدرة الحلفاء على المناورة**؛ فهم بين نارين: إما الاستسلام الكامل لمنطق القوة الأمريكية – وهو ما حذر كارني أنه "لن يشتري لهم الأمان بل سيجعلهم عُرضة للاستغلال" – وإما المجازفة باصطدام اقتصادي وأمني مع واشنطن تتفاوت قدرتهم على تحمله.

خطاب كارني في دافوس لم يكن مجرد حدث منفصل، بل **يعكس تنامي نزعة التمرد المحسوب لدى بعض الحلفاء.** فعلى الضفة الأوروبية، ورغم اختلاف الأسلوب، يشارك العديد من القادة الأوروبيين كندا الشعور نفسه بأن **الاعتماد الأعمى على واشنطن بات خطرًا**. وقد علق أحد الدبلوماسيين الأوروبيين بالقول: "لم يعد الأمر خلافًا عابرًا مع واشنطن؛ إننا أمام افتراق طرق في القيم والمصالح. علينا أن نؤمّن مستقبلنا الإقليمي بأيدينا". هذا الموقف ترجمته خطوات أوروبية سنأتي عليها، لكن قبل ذلك تجدر الإضاءة على **القشة التي ربما قصمت ظهر البعير** في المعسكر الغربي: أزمة غرينلاند.

غرينلاند: اختبارٌ حدّي لتصدع التحالف

ترجع جذور الأزمة إلى عام ٢٠١٩ حين أبدى دونالد ترامب رغبته في شراء غرينلاند لما تمثّله من ثقلٍ إستراتيجي وموارد في القطب الشمالي. يومها رفضت الدنمارك الفكرة ساخرَةً، لكن ما بدا «مزحة ثقيلة» تحوّل في ٢٠٢٥– ٢٠٢٦ إلى أزمة جيوسياسية حادة داخل المعسكر الغربي. فمع عودته، أعاد ترامب فتح الملف بنبرة تصعيدية: طالب بالتفاوض على بيع الجزيرة أو التنازل عنها، ولوّح بأن "هناك طرقًا أخرى" إن لم تُعقد صفقة، ثم صعّد مطلع ٢٠٢٦ بإعلان رسوم جمركية تصاعدية على الدنمارك ودول أوروبية للضغط نحو قبول الصفقة، وصولًا إلى تعرفة تبدأ بـ١٠٪ وتبلغ ٢٥٪ خلال أشهر، وصرّح عبر Truth Socialبلهجة تُفهم كاشتراط "ملكية كاملة" للجزيرة.

أمام وضع غير مسبوق -رئيس أمريكي يضغط على حليف أصغر في حلف شمال الأطلسي في مسألة سيادة- تبلورت الاستجابات على ثلاثة مسارات: أولها: **مسار دبلوماسي:** تشكيل مجموعة عمل أمريكية–دنماركية–غرينلاندية اجتمعت في واشنطن (١٤ يناير ٢٠٢٦) لبحث مخاوف الأمن القومي في القطب الشمالي دون المساس بالسيادة. غير أن التباين في الرسائل العلنية عمّق الشكوك: كوبنهاغن تحدثت عن حماية "سلامة المملكة"، بينما قدّمت واشنطن المجموعة بوصفها آلية لمناقشة "استحواذ" أمريكا على الجزيرة، بما يوحي بأن الخلاف ليس تقنيًا بل سياسي-سيادي. ثانيها: **مسار داخلي أمريكي:** تحرك الكونغرس بسرعة لقطع الطريق على أي مغامرة عسكرية محتملة، عبر مشاريع تمنع تمويل عمل عسكري ضد حليف في الناتو، بما في ذلك ضد قوات دنماركية/أوروبية

تدافع عن غرينلاند. هذا المسار يكشف انقسامًا داخل النخبة الأمريكية، إذ يرى جزء منها نهج ترامب مقامرة قد تُحدث ضررًا طويل الأمد في سمعة الولايات المتحدة وتحالفاتها. وثالثها: **مسار ردع أوروبي-أطلسي:** عززت الدنمارك حضورها العسكري في الجزيرة وأعلنت مناورات، بينما أرسلت دول أوروبية وحدات رمزية إلى غرينلاند في إشارة منها للردع الاستباقي. ورغم محدودية هذه القوات، فإن وجودها يرفع كلفة أي خيار أمريكي ويحوّل الأزمة من «ضغط على الدنمارك» إلى خطر مواجهة سياسية/رمزية مباشرة مع الناتو. وقد لفت المجلس الأطلسي إلى أن «الاحتلال بلا ثمن» صار تصورًا أصعب، حتى إن الأوروبيين تجنبوا التصعيد الكلامي واكتفوا بعنوان "تعزيز أمن القطب الشمالي"، لكن مجرد تلميح مفهوم «الردع» تجاه واشنطن يعكس هبوطًا غير مسبوق في مستوى الثقة.

هذه الأزمة وضعت التحالف الغربي أمام اختبارٍ نهائي: مجرد التفكير في احتمال صدام داخل الناتو لحماية أراضي دولة عضو هو مؤشر بالغ الخطورة. ويرى ستيفن ورتهايم أن السعي لضم غرينلاند لا يهدد فقط الشقّ عبر الأطلسي، بل قد يُحدث شروخًا داخل أوروبا نفسها: دول أكثر اعتمادًا على الحماية الأمريكية قد تميل إلى «تهدئة» ترامب بتنازل ما، بينما ترى دول أخرى أن المسألة خط أحمر سيادي، ما ينذر بانقسام أوروبي بين "الارتباط بواشنطن بأي ثمن" و"سيادة أوروبية مهما كانت الكلفة". إلا إن كلفة أخرى تمثلت أمام الأوروبيين، عبر تراكم إهانات وخلافات: من ضغوط تجارية مهينة، إلى مشهد إذلال فولوديمير زيلينسكي في البيت الأبيض، إلى تقليص التنسيق الأمني في ملفات كبرى. وفي المقابل، أظهر الأوروبيون قدرًا من التماسك وتعلم الدروس: مقاومة محاولات "فرق تسد"، تقارب بريطاني-أوروبي أوضح، واتفاقات أمنية جديدة، ما يعني أن الخطر حتى الآن وحّدهم أكثر مما فرّقهم.

لكن التحذير قائم: إذا استمرت المظلة الأمريكية في التراجع أو التحول العدائي، فقد تخرج الخلافات الأوروبية الدفينة إلى السطح، كما ينبه جون ميرشايمر. لذلك يتشكل نهج أوروبي براغماتي يجمع بين **شراء الوقت دبلوماسيًا وبناء قوة ذاتية:** رفع الإنفاق الدفاعي، تعزيز الصناعات العسكرية والتكنولوجية، تقليل الاعتماد في سلاسل الإمداد الحيوية، وتوسيع أجندة الاستقلالية الإستراتيجية (طاقة، رقائق، معادن حرجة، ونُظم مدفوعات).

خلاصة المشهد: يدخل التحالف الغربي ٢٠٢٦ منهكًا لكنه لم ينكسر بعد. وأوروبا تحاول تحويل الإذلال إلى محفّز لإعادة بناء القدرة. ويبقى السؤال الإستراتيجي الحاسم: هل تستطيع أوروبا وكندا واليابان سد فجوة القيادة إذا استمرت الولايات المتحدة على هذا المسار، أم ستُبقيها الفجوة التكنولوجية والعسكرية -مهما ساءت العلاقة- مشدودة إلى واشنطن؟

موسكو-بكين-أوكرانيا: أولويات المواجهة وإعادة ترتيب المحاور

في خضم انشغال الولايات المتحدة بإعادة تشكيل التحالفات ورفع كلفة الاعتماد عليها، برز

سؤال مركزي: كيف ستتعامل إدارة دونالد ترامب مع جبهتي الخصمين المتقاربتين: روسيا والصين؟ وهل تُبقي المواجهة مفتوحة مع الاثنتين، أم تُفاضل بينهما؟ تتفرع التقديرات إلى رؤيتين: الأولى تفترض محاولة تفكيك التقارب الروسي–الصيني عبر استمالة موسكو أو تقديم تنازلات لها؛ والثانية ترى أن واشنطن تريد تخفيف عبء أوكرانيا لتوجيه التركيز إلى الصين بوصفها الخصم الأثقل على المدى البعيد. ولأن ملف أوكرانيا هو المسرح الذي تداخلت فيه خيوط موسكو وبكين وواشنطن، فإن تتبع مسار الحرب هناك يوضح منطق إعادة ترتيب الأولويات.

أوكرانيا بين تسوية سريعة وتموضع واقعي

دخل ترامب البيت الأبيض في يناير ٢٠٢٥ واعدًا بإنهاء الحرب سريعًا، ما أثار قلق كييف والعواصم الأوروبية. وبالفعل ظهرت في الأسابيع الأولى إشارات ضغط: تخفيض الدعم العسكري المباشر، ودفعٌ غير معلن نحو وقف إطلاق نار بشروط أولية. وبلغ التوتر ذروته في اجتماع البيت الأبيض (٢٨ فبراير ٢٠٢٥) مع فولوديمير زيلينسكي، حيث قُدِّمت -وفق التسريبات- صيغة سلام تتضمن تنازل أوكرانيا عن نحو ٢٠٪ من أراضيها مقابل وقف القتال، وهو ما قرأته كييف وأوروبا بوصفه «سلام استسلام»، خاصة مع حديث متزايد عن صفقة محتملة بعد قمة ترامب–فلاديمير بوتين في أنكوراج (أغسطس ٢٠٢٥). لكن محاولة «التسوية السريعة» تعثرت لأسباب حاسمة: أولها: **تشدد موسكو:** إذ تمسّك بوتين بسقف مطالب أقصى (نزع سلاح أوكرانيا، تغيير نظامها، الاعتراف بضم الأراضي، رفع العقوبات)، ما جعل الصفقة غير قابلة للتسويق حتى داخل إدارة ترامب. ثانيها: **ضغط الحلفاء والأوكرانيين:** أوروبا كثّفت مساعيها لمنع تخلي واشنطن عن كييف، واقتُرحت مناقشات ضمانات أمنية بديلة من الناتو مقابل أي وقف نار، محذرة من أن «سلامًا بلا عدالة» يزرع حربًا أكبر لاحقًا. ثالثها: **حسابات الداخل الأمريكي:** لم يكن المزاج السياسي الأمريكي -حتى داخل التيار الجمهوري الأوسع- مهيأً لقبول انقلاب كامل لصالح روسيا، ما ضيّق هامش المناورة أمام البيت الأبيض.

من خيبة موسكو إلى «وسط متوازن»: بحلول أواخر ٢٠٢٥ وجد ترامب نفسه أمام معضلة: لا سلام سريع تحقق، ولا إمكانية لتجاهل الحرب. والأخطر أن موسكو لم تبتعد عن بكين؛ بل كرّست التقارب عبر قمم متتابعة مع شي جينبينغ أعادت التأكيد على «شراكة بلا حدود». هذا أضعف الفرضية الأولى (استمالة موسكو عبر «هدية أوكرانيا») ودفع إلى تعديل النبرة. ظهرت مؤشرات على إعادة تموضع: تصريحات أكثر تشددًا تجاه روسيا في سبتمبر ٢٠٢٥، وزيادة في الدعم الاستخباراتي، وتسريبات عن بحث تزويد كييف بقدرات نوعية بصورة أكثر حذرًا مما كان متوقعًا مطلع الولاية، ليس حبًا بأوكرانيا بقدر ما هو تجنب لصورة تراجع أمريكي مجاني، وخشية من دفع روسيا أعمق في أحضان الصين. ومع مطلع ٢٠٢٦ استقرت السياسة الأمريكية على صيغة «الحد الأوسط»: الدعم لم يتوقف لكنه لم يبق مفتوح السقف؛ تُزوَّد كييف بذخائر ودفاع جوي بوتيرة أبطأ، وتُربط

المساعدات بضوابط مشددة، بينما تُستبعد عضوية الناتو عمليًا من النقاش. الهدف: منع انهيار أوكرانيا دون الانزلاق إلى تصعيد يهدد بتوسيع الحرب.

الأولوية الحاكمة: احتواء محور موسكو-بكين بلا تنازلات كبرى: الخلاصة التشغيلية تبدو كالتالي: واشنطن تريد **احتواء التقارب الروسي-الصيني دون تقديم تنازلات إستراتيجية كبيرة لروسيا**. لذلك تسعى إلى موازنة دقيقة، عبر **دعم كافٍ** يمنع نصرًا روسيًا حاسمًا ويُبقي كييف واقفة، وعبر **امتناع محسوب** عن خطوات قد تقلب موازين الحرب جذريًا أو تفتح باب ضربات داخل روسيا أو توسع الصراع. والرسالة الضمنية لموسكو: لسنا بصدد إسقاطك، لكنك لن تحصل على كل شيء بالقوة. أما الصين، فقد استفادت تكتيكيًا من إطالة الأزمة لأنها تستنزف موارد الغرب وتشتت تركيزه، لكنها في الوقت نفسه تجعل التقارب الروسي-الصيني ورقة ضغط مزدوجة على واشنطن. لذا تميل الإستراتيجية الأمريكية إلى جعل جبهة روسيا «هادئة/مجمّدة» إن أمكن، ليتاح التركيز على الصين أولويةً بعيدة المدى. عمليًا، هذا يعني نقل جزء أكبر من عبء أوكرانيا إلى أوروبا: تسليح وتمويل أوروبي متزايد مقابل دعم أمريكي «بالقطارة» يمنع الانهيار دون قيادة كاملة للملف.

سيناريوهات أوكرانيا في السنتين القادمتين ومؤشراتها المبكرة:

أولا: تسوية تَثبيت المكاسب الروسية: اتفاق يكرّس سيطرة روسيا على مناطق واسعة مقابل وقف نار وضمانات أمنية متعددة الأطراف لأوكرانيا (بدل الناتو) وربما تَفاوضٌ لاحق على الوضع النهائي. **المؤشرات:** مفاوضات أمريكية-روسية مكثفة على مستوى الأمن القومي، وضغط غربي حاد على كييف لوقف النار، وإشارات لتخفيف جزئي للعقوبات. **الأثر:** مكسب لموسكو وبكين (سردية تراجع الغرب)، وخسارة لأوكرانيا وأوروبا، وسابقة خطيرة للقانون الدولي.

ثانيا: نزاع منخفض الحرارة/استنزاف طويل: لا اتفاق حاسم، ولا انهيار: قتال متقطع ودعم غربي مستمر يمنع الاختراق الروسي، مع استنزاف متواصل للطرفين. **المؤشرات:** استمرار المساعدات دون ضغط نهائي للتنازل، مع عدم استعداد موسكو لحلول وسط، وتشدّد لفظي أمريكي دون صدام مباشر. **الأثر:** الصين الرابح النسبي (تعميق اعتماد روسيا عليها وانشغال الغرب)، فيما يدفع الجميع كلفة الاستنزاف.

ثالثا: انقلاب موازين أو تصعيد واسع: خطوة مفاجئة: نجاح أوكراني كبير بقدرات نوعية، أو تصعيد روسي إستراتيجي لكسر الجمود (قد يصل لخيارات خطيرة). **المؤشرات:** ضخ نوعي واسع للتسليح يغير قواعد اللعبة، أو تهديدات/تحركات روسية غير معتادة بأسلحة عالية التأثير. **الأثر** الأقل احتمالًا لكنه الأعلى خطرًا: قد يفرض على واشنطن ردًا حاسمًا ويحوّل الصراع إلى مواجهة أوسع.

خلاصة مركّزة: واشنطن تسعى إلى ترتيب الأولويات دون الوقوع في فخّين: **حرب كبرى في أوروبا** من جهة، و**نصر روسي مجاني يقوّي محور موسكو-بكين** من جهة أخرى. لذلك تُرجَّح سياسة

«الموازنة الباردة»: نزاع مُدار، ودعم محدود كافٍ للمنع لا للحسم، وأولوية إستراتيجية مستمرة لاحتواء الصين، إلى أن يطرأ تغير جذري يبدّل الحسابات.

انتفاخة أخيرة أم انحسار إمبراطوري؟ جدل حول مستقبل الهيمنة الأمريكية

تثير سياسات إدارة ترامب الحالية جدلاً حاميًا بين الخبراء حول **دلالة هذه التحركات على موقع الولايات المتحدة في التاريخ الإمبراطوري**. فهل ما نراه هو **"انتفاخة قوة" أخيرة** – أي استعراض مفرط للقوة قبل الأفول – ما يعني أننا أمام **انحسار إمبراطوري** على غرار إمبراطوريات الماضي حين تبالغ في الإكراه وينهكها الحِمل الزائد؟ أم ما يحدث هو **"إعادة تموضع عقلانية"** لقوة عظمى تصحح مسارها بتقليص الأعباء وتركيز المصالح، وبالتالي قد تطيل أمد هيمنتها بشروط جديدة؟ نعرض هنا الحجتين المتنافستين ثم نحاول ترجيح الأقرب للصواب، مع وضع **اختبار** واضح لكل فرضية على أرض الواقع.

أطروحة الانحسار الإمبراطوري: تآكل الشرعية وإنهاك التحالفات

يرى أنصار هذه الأطروحة أن **السياسة الخارجية لترامب تجسد "الإمبريالية العارية"** بلا تجميل، بشكل يسرّع انحدار النفوذ الأمريكي عالميًا. يجادل **ستيفن ورتهايم** (مؤرخ في كارنيغي) بأن ترامب تخلى حتى عن **الذرائع الأيديولوجية** التي كان أسلافه يستخدمونها لتبرير الهيمنة – كالديمقراطية وحقوق الإنسان – وأصبح يعلن صراحة أنه يتصرف بدافع "أخذ النفط" أو مصالح مادية بحتة. هذا المكسب التكتيكي (الصراحة) هو خسارة إستراتيجية فادحة؛ إذ **يُفقد الولايات المتحدة «شرعيتها الأخلاقية» تمامًا** أمام العالم. الآن صار بوسع الصين مثلاً أن **تقدم نفسها قوةً مسؤولة** مقارنة بأمريكا، وأن تبرر هيمنتها الناعمة على أنها أكثر احترامًا للقانون الدولي مما تفعله واشنطن. كذلك **خفض ترامب سقف المعايير** بحيث بات على موسكو وبكين فعل القليل فقط لتبدوَا "أقل سوءًا" من واشنطن في نظر كثيرين. هذا **التآكل في الصورة والشرعية** هو سمة كلاسيكية لمرحلة الأفول الإمبراطوري، حين تفقد القوة المهيمنة "القناعة" والرضا الطوعي من الآخرين وتعتمد كليًا على الإكراه.

جانب آخر هو **إنهاك التحالفات واستعداء الحلفاء**. تشير وقائع السنتين الماضيتين إلى **تصدع الثقة في التحالفات الأمريكية عبر العالم**: من أوروبا التي بات بعض مسؤوليها يشبّهون التعامل مع واشنطن بأنه "علاقة تبعية مهينة"، مرورًا بكندا التي تشعر بتهديد وجودي من الجار الحليف، إلى دول آسيا المحيَّرة من تودد ترامب لكيم جونغ أون (زعيم كوريا الشمالية) ثم تجاهلهم. هذا الوضع يعني تآكل شبكة التحالفات التي طالما عُدّت **مضاعِف القوة الأساسي لأمريكا**. في ذروة الحرب الباردة، كتب إستراتيجي شهير أن "تحالفات أمريكا هي إمبراطورياتها"، بمعنى أن النظام الإمبراطوري الأمريكي يقوم على قبول الدول الطوعي لحماية واشنطن، لا على الاحتلال المباشر. فإذا **فقدت هذه التحالفات إيمانها** بالقيادة الأمريكية واضطرت إلى الاعتماد على ذاتها

أو البحث عن شركاء آخرين، فهذه **علامة أفول واضحة**. هذا ما يحدث تدريجًا: اليابان وأستراليا مثلاً تبحثان عن تعاون أمني أوسع مع الهند وبريطانيا (تحالفات بديلة) خوفًا من تقلّب أمريكا. السعودية والإمارات – تابعان تقليديان – انفتحتا على الصين وروسيا في صفقات سلاح ونفط بشكل غير مسبوق، لشعورهما بأن مظلة واشنطن باتت غير مضمونة. كل ذلك يشي بأن **" Pax Americana"** (السلام الأمريكي) الذي ساد بعد ١٩٤٥ تتفكك أجزاؤه، وربما نخوض فترة فراغ وفوضى قبل تشكل نظام جديد.

ثم هناك **كُلفة القيادة والإنهاك الداخلي**. يجادل البعض أن **ترامب يستنزف قوة بلاده** بدل أن يعززها. فرغم شعارات "أمريكا أولاً" فالحقيقة أن أمريكا تحت حكمه لم تقلل عجزها المالي ولا ديونها، بل على العكس **قفز الدين العام إلى أرقام قياسية**. إذ يقدر أن الدين الفيدرالي تجاوز ٣٦ تريليون دولار بمع نهاية ٢٠٢٤ (نحو ١٤٠٪ من الناتج)، مع عجز سنوي ١،٨ تريليون دولار في ٢٠٢٤، وهذه **أرقام غير مستدامة تاريخيًا**. ويدفع ترامب باتجاه خفض الضرائب وزيادة الإنفاق على الأمن والهجرة، ما يفاقم العجز. صحيح أن أمريكا قادرة تقنيًا على طباعة الدولار لتمويل نفسها، لكن الإفراط دون إصلاحات قد **يهز ثقة المستثمرين ويضعف الدولار** عالميًا على المدى الطويل. ناهيك عن **الاستقطاب المجتمعي** الحاد الذي ازداد: فالأزمة السياسية الداخلية (تشكيك في الانتخابات، وانقسام ثقافي وعرقي) تؤدي إلى تقويض القوة الناعمة والنموذج الأمريكي، وتحد من تركيز صناع القرار على تحديات الخارج. إن **أي امبراطورية تاريخية غالبًا ما انهارت من الداخل** حين تفاقمت أزمتها المالية والاجتماعية. ويخشى مراقبون أن تكون الولايات المتحدة دخلت مرحلة **"الجمهورية المتأخرة"** (تشبيهًا بروما) حيث تبدو قوية عسكريًا، لكن من الداخل تآكلت المؤسسات وفاقمتها النزاعات.

باختصار، منطق الانحسار يقول إن **"انتفاخة أمريكا"** الحالية – باستعراض العضلات وفرض الإملاءات – هي علامة ضعف لا قوة. إنها محاولة لقطف الثمار بالقوة بعدما تراجعت القدرة على الكسب بالإقناع والتوافق. وبالتالي فهي تسرّع عملية انفضاض الدول عن الزعامة الأمريكية، و**تخلق فراغًا** ستملؤه قوى أخرى أو فوضى. ويتوقع أنصار هذا الرأي أنه إذا استمر النهج الحالي، **خلال عقد ربما** سنشهد نشوء نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب فعليًا، بتوازنات إقليمية تقودها الصين في آسيا، وروسيا إقليمياً، وربما تكتلات أوروبية وغيرها، فيما تنكفئ أمريكا لجوارها. بتعبير شهير: "روما الجديدة تحترق من الداخل، وتفقد ولاء مقاطعاتها".

أطروحة إعادة التموضع العقلاني: تقليل الأعباء وشروط جديدة للهيمنة

في المقابل، يرى فريق آخر أن ما يفعله ترامب – رغم فوضويته الظاهرة – ربما يمثل **تصحيحًا إستراتيجيًا طال انتظاره** لدور أمريكا الدولي. هذه الأطروحة تقول إن **أمريكا حملت على عاتقها عبء النظام العالمي لعقود** (الدفاع عن الحلفاء، وتمويل المؤسسات، وتأمين الممرات البحرية، إلخ)

على حساب اقتصادها ورفاه شعبها، وحان الوقت **لتوزيع الكلفة بشكل عادل**. من هذا المنظور، نعم نهج ترامب فظّ وغير دبلوماسي، لكنه **حقق نتائج** لم يستطع غيره تحقيقها. أبرز مثال: **زيادة مساهمات الناتو الدفاعية بشكل كبير**. فأوروبا كانت تماطل لعقود في رفع إنفاقها العسكري، وجاء ترامب وهدد صراحة بالانسحاب من الناتو إن لم يدفعوا أكثر. النتيجة: تعهّد الحلفاء في قمة ٢٠٢٥ بزيادة الإنفاق لـ٥٪ من الناتج، وهذا إنجاز تاريخي باعتراف المحللين، تحقق بسبب **أسلوب ترامب غير التقليدي**. كذلك في ملف التجارة: **واجه ترامب الصين برسوم صارمة**، فشعر الشركاء الآسيويون بأن أمريكا أخيرًا جادة في كبح الممارسات التجارية الصينية الضارة. وحتى في أمريكا اللاتينية، عندما نفذ ترامب عملية عسكرية للإطاحة بنظام مادورو في فنزويلا (مطلع ٢٠٢٥) – رغم التناقض مع شعاراته السابقة – عَدّ بعض الإستراتيجيين ذلك **إعادة تأكيد لمبدأ مونرو** وسيطرة أمريكا على نصف الكرة الغربي. ويشير هؤلاء إلى **"عقيدة دونرو"** (دمج دونالد مونرو) التي تمزج قومية ترامب مع مبدأ مونرو القديم: أي **تركيز القوة الأمريكية في محيطها الإقليمي** وطرد النفوذ الأجنبي من هناك، مقابل انسحاب نسبي من التزامات بعيدة أقل عائدًا.

يؤكد أنصار هذا الاتجاه أن **الانسحاب من بعض الجبهات ليس تراجعًا بل إعادة توزيع**. مثلاً، تقليل التركيز على الشرق الأوسط (سوريا وأفغانستان) والتوقف عن "بناء الأمم" هناك، سمح بتوفير موارد لإعادة بناء القوة الأمريكية أو توجيهها إلى منافسة القوى العظمى. كذلك **ترويض الحلفاء** – وإن كان مؤلمًا – أدى إلى شراكات أكثر نضجًا حيث يدفع كل طرف نصيبه. بعبارة أخرى، إدارة ترامب تغيّر "عقد التحالف": بدلاً من أن توفر أمريكا الأمن مجانًا، ستصبح العلاقة "خدمة مقابل ثمن". قد يبدو ذلك باردا، لكنه ربما الوحيد المستدام داخليًا؛ فالمزاج الشعبي الأمريكي بات لا يقبل دور "الشرطي العالمي" بلا مقابل كبير. وإذا اضطرت الدول الغنية كألمانيا واليابان لتحمل مسؤولية أكبر في دفاعها، فهذا في النهاية **يخفف العبء عن الاقتصاد الأمريكي** ويبقي التحالفات موجودة لكن بأشكال جديدة (تحالفات مرنة، مساهمات مالية أكبر من الحلفاء).

من زاوية تاريخية، يشبّه بعضهم **ترامب بقيصر الأول** (حاكم روما في أواخر مراحلها) الذي أدرك ضرورة الانكفاء وتنظيم الصفوف بدل التمدد الإمبراطوري المفرط. فالوقت – برأيهم – ليس لصالح أمريكا إن استمرت على النمط القديم، إذ الصين تصعد وتنهك الاقتصاد الأمريكي في لعبة طويلة المدى. لذا فإن **البراغماتية تقتضي إعادة التموضع**: التركيز على التهديد الأول (الصين) حتى لو بتسويات غير مثالية في جبهات أُخَر (أوكرانيا مثلاً)، وتأمين العمق الإستراتيجي (نصف الكرة الغربي، لذلك سياسة ترامب المتشددة تجاه أي وجود صيني/روسي فيه). هذا يقود إلى نظام عالمي "مناطق نفوذ" بالفعل، لكنه قد لا يكون كارثيًا كما يتصور البعض، بل **واقع أكثر استقرارًا** من محاولة فرض العولمة والقيم على الجميع. يستشهدون بنظرية كارل شميت (فيلسوف قانوني) الذي قال إن النظام الطبيعي هو أن تقود كل قوة عظمى منطقة نفوذها، وتتوازن القوى الكبرى

فيما بينها. ترامب عمليا يُقَطِّع أوصال النظام العالمي إلى كتل إقليمية: أمريكا تقود الأمريكتين، وروسيا تقود أوراسيا القريبة، والصين تقود شرق آسيا... وربما أوروبا تقود نفسها بصفتها شريكا قريبا لأمريكا. هذا النظام رغم فظاظته **قد يحقق نوعًا من الاستقرار** لأن كل قوة ستكون مشغولة بضمان النظام في نطاقها بدل صدام الجميع في كل مكان.

صحيح أن ترامب لا يشرح هذا التنظير نظريًا، لكن **سلوكه يعكسه:** مثال ذلك إعجابه المعلن بالرئيس الأمريكي الأسبق جيمس بولك (الذي خاض حربًا مع المكسيك ووسّع أراضي أمريكا بشكل هائل في القرن ١٩)، بل وعلّق صورته في المكتب البيضاوي. هذه إشارة رمزية إلى أن ترامب يرى نفسه **مُوسِّع نفوذ في الفناء الخلفي** (أمريكا اللاتينية) أكثر من كونه باني نظام عالمي مثالي. وفي المقابل، يبدو غير مهتم بحروب بعيدة أو "دروس مثالية" - كما يظهر من برودة موقفه تجاه تايوان مثلاً. أي إنه يطبق نهجًا واقعيًا ١٠٠٪، **سنعمل في مجال يمكننا الهيمنة فيه (نصف الكرة الغربي)، ونتجنب الإنهاك في مناطق قوة الغير (أوروبا الشرقية وتايوان)، ونساوم حيث يلزم (صفقات مع كوريا الشمالية وإيران تحت الطاولة ربما).**

هذه الرؤية ترى أن السياسات الحالية - رغم خسائرها على المدى القصير في السمعة - **قد تطيل أمد تفوق أمريكا.** لأنها تحررها من حمل العالم على أكتافها، وتجعلها أكثر **خفة ومرونة.** والأهم، تفرض على الخصوم إدراك "الخطوط الحمراء" الأمريكية بوضوح. مثلاً، عندما استهدف ترامب النفوذ الصيني في الأمريكتين (حظر شركات صينية من مشاريع هناك وهدد كوبا وفنزويلا بقوة)، أوضح لبكين أن "هذه ساحتي الخلفية، إياك والتجاوز". بالمقابل، تجنّب مثلاً المواجهة مع الصين في بحر الصين الجنوبي عمليا (ضجيج دون فعل حازم)، ما قد يُفهم رسالةً بأن "ساحتك الخلفية مفهومة". إن هذه **المقايضة الضمنية** لو استمرت قد تؤدي فعلاً إلى تخفيف احتمال صدام عالمي، لأنه سيكون اعترافٌ متبادل بمناطق نفوذ، ولو دون توقيع رسمي.

باختصار، منطق إعادة التموضع يراهن أن ترامب ليس انعزاليًا بالمفهوم التقليدي - فهو لا ينسحب من العالم تمامًا - لكنه **يعيد تعريف المصالح الحيوية.** يريد **أمريكا قوية بنيويًا** (اقتصاد ومناعة ذاتية) حتى لو فقدت بعض "الزخارف" الخطابية عن قيم كونية. وهذا برأيهم يجعلها **أكثر استعدادًا لمنافسة طويلة الأمد.** ففي النهاية، أمريكا لا تزال **أكبر قوة عسكرية،** وستظل حاضرة في أوراسيا (عبر تحالفات آسيا والناتو وإن بشروط جديدة). وبما أنها تملك أوراق التفوق التكنولوجي والمالي (الدولار) - وهي لم تُمس حتى الآن - فإن هذه الفترة قد تكون **استراحة محارب وإعادة تنظيم** تُمَكّنها من الصمود في مواجهة الصعود الصيني لسنوات أطول. ويبرهن هؤلاء على رأيهم بأنه رغم كل الضجيج، **لم نرَ انسحابًا أمريكيًا فعليًا من المناطق الحيوية؛** فالقوات الأمريكية لم تخرج من أوروبا أو شرق آسيا، بل زادت في بعض الحالات (نشر مزيد من القاذفات في غوام، و عودة التموضع في بولندا... إلخ). وبالتالي ربما "الدولة العميقة" في واشنطن تُوازن ترامب بحيث

تحافظ على أسس الهيمنة التقليدية وإن تكيفت مع بعض شروطه الشخصية.

الترجيح واختبار الواقع

من الصعب حسم أي الأطروحتين أصدق اليوم، وربما تحملان **شيئًا من الصحة معًا**. لكن بتركيب الصورة الكاملة، يميل الترجيح إلى أن **نهج إدارة ترامب الحالي أقرب إلى الارتجال قصير المدى منه إلى إستراتيجية كبرى مدروسة** – مما يجعله في المحصلة **يضر بالموقع الإمبراطوري لأمريكا أكثر مما يفيده**. صحيح أن ترامب حقق مكاسب تكتيكية (تمويل من الحلفاء، وضغط على الصين تجاريًا)، لكنها **مكاسب قابلة للانتكاس**. إذ إنها جاءت بالإكراه والخوف، وليس بإقناع الشركاء بترتيب مستدام جديد. فماذا سيحدث مثلاً إن غادر ترامب المشهد؟ غالبية تلك الالتزامات ستتبخر لأن الحلفاء لم يقتنعوا برفع الإنفاق دفاعًا عن مصلحتهم، بل خوفًا أو مجاملة له. أما الصين فتنتظر فرصة تخفيف الضغط لتعاود تمددها. أي إن ما أُنجز يفتقر للاستدامة لأنه **لم يُبْنَ على تفاهمات مؤسسية أو رؤية مشتركة**.

أيضًا، **لم نلحظ حتى الآن تخفيفًا حقيقيًا لأعباء أمريكا الخارجية**: فالجيش الأمريكي ما زال منتشرًا في عشرات البلدان، والالتزامات الدفاعية القانونية لم تتغير (أمريكا ما زالت مُلزَمةً الدفاع عن عشرات الدول بمعاهدات رسمية). نعم، ترامب قلل بعض الانخراط (أوكرانيا، والشرق الأوسط)، لكنه **أبقى القوات والبنى كما هي** – ربما بدافع الحفاظ على الأوراق حتى يرى ما تحصل عليه بالمقابل. هذا يعزز فكرة الارتجال: فهو **يتخبط بين الانسحاب والتورط** حسب ما تمليه لحظة معينة أو صفقة يريدها. وقد رأينا تناقضات: من تدخل عسكري فج في فنزويلا (رغم أنه كان يعيب على أسلافه التدخل)، إلى تراجع عن ضربات مخطط لها في إيران باللحظة الأخيرة، إلى انسحاب سريع من شمال سوريا تبعه إعادة قوات لشرقها (من أجل النفط). هذه **الحركات المتأرجحة** تُفقد أمريكا مصداقيتها كرجل دولة وتحولها إلى لاعب مزاجي. وبالتالي تفوّت فرصة رسم خطة بعيدة المدى لترتيب عالمي جديد كما يزعم أنصار ترامب.

على ضوء ذلك، يمكن طرح **اختبار مستقبلي لكل فرضية**:

أولا: اختبار الانحسار: إذا صحت أطروحة التراجع الإمبراطوري، سنرى **حدثًا مفصليًا يرمز لانهيار النفوذ** – مثل انسحاب مفاجئ وفوضوي لأمريكا من تحالف أو منطقة (على غرار انسحاب بريطانيا من شرق السويس ١٩٧١) أو خسارة حرب أو أزمة اقتصادية تُضعفها داخليًا. **مثال**: لو قررت اليابان وكوريا الجنوبية مستقبلاً إبرام اتفاق أمني منفرد مع الصين لأنها باتت لا تثق بأمريكا، فهذه علامة أفول كبرى. أو إذا انهار الدولار بشكل مفاجئ وفقد مكانته لصالح اليوان/اليورو نتيجة سياسات الدين، فهذه ضربة لأسس القوة الأمريكية.

ثانيا: اختبار إعادة التموضع: إن صحت أطروحة تعزيز القوة، يفترض أن نشهد **استقرارًا في مسارح المواجهة** (انتهاء حرب أوكرانيا بشروط مقبولة نسبيًا، عدم اندلاع نزاع حول تايوان)، وبقاء

التحالفات قائمة لكن بشروط مالية جديدة، وتجنب أمريكا التدخلات المكلفة. **مثال:** لو وصلت ٢٠٢٨ وأمريكا لم تنجرّ لحرب كبيرة، وحلف الناتو ما زال قائمًا (مع تمويل أوروبي أعلى)، والصين لم تغزُ تايوان نتيجة ردع أمريكي هادئ، حينها يمكن القول إن إستراتيجية ترامب نجحت في "حفظ القوة وتجنب الإنهاك". أيضًا مؤشر نجاح هو **تحسن نسبي في المؤشرات الاقتصادية الأمريكية** (انخفاض العجز التجاري، وزيادة الاستثمار الصناعي المحلي نتيجة إعادة سلاسل الإنتاج)، ما يعني أن تركيزه على الداخل آتى أُكُله.

حتى الآن، تُظهر المؤشرات المبكرة **مزيجًا مقلقًا:** التحالفات لم تنهَر تمامًا (نجح الردع في غرينلاند مثلًا في منع الأسوأ)، لكن **الثقة تراجعت لمستوى غير مسبوق.** الخصوم كالصين وروسيا لم تنتصر كليًا، لكن **تقاربها ازداد عمقًا.** الداخل الأمريكي لم ينهَر، لكن **الاستقطاب والتضخم والمديونية** تزداد وطأة. أي إننا ربما في **مرحلة انتقالية مضطربة**، ستحدد نهايتها إن كان التاريخ سيميل نحو سقوط "روما الجديدة" في الفوضى، أم ستجد طريقة مبتكرة لاستمرار هيمنتها على شكل جديد.

الارتجال في غياب الرؤية: فجوة التنفيذ ومخاطر عدم اليقين

رغم الشعارات الكبيرة، يلاحظ المراقبون أن إدارة ترامب كثيرًا ما **تتخذ خطوات كبرى دون تصور واضح للخطوة التالية،** ما يوقعها في **فجوة تنفيذ** بين القرار والنتيجة. هذا النمط **الارتجالي** يخلق حالة مستمرة من **عدم اليقين،** تجعل حتى مكامن قوة أمريكا الاقتصادية عاجزة عن استثمار القرارات السياسية لصالحها.

على سبيل المثال، عندما أعلن ترامب في ٢٠٢٥ فرض تعريفات جمركية شاملة على واردات ثماني دول أوروبية عقابًا لها، لم تكن هناك **خطة لليوم التالي:** ماذا لو رد الأوروبيون؟ ماذا عن تأثير ذلك على الشركات الأمريكية؟ بالفعل، حدث ارتباك في الأسواق، وتأجلت استثمارات كثيرة لشهور بانتظار اتضاح اتجاه السياسة. ثم تراجع ترامب عن بعض تلك الرسوم بعد تنازلات جزئية، لكن **الضرر كان قد وقع:** الشركات الأوروبية بدأت **تتنوع بعيدًا من السوق الأمريكية** وتستثمر في آسيا، بينما الشركات الأمريكية اشتكت من **فقدان حصص سوقية** بسبب الانتقام الأوروبي. أي إن **القرار السياسي لم يحقق عوائد اقتصادية مستدامة،** بل ولد صدمة وثم عادت الأمور تقريبًا لما كانت عليه مع خسائر ثقة.

كذلك في ملف **فنزويلا:** نعم، نجح ترامب عسكريًا في إزاحة مادورو سريعًا، لكن **ماذا بعد؟** لم تكن هناك خطة متفق عليها لإدارة مرحلة ما بعد النظام. النتيجة: غرقت فنزويلا في فوضى وصراع قوى بين فصائل مسلحة، واضطرت أمريكا لاحقًا لإرسال بعثة تثبيت استقرار طويلة الأمد، أي عادت إلى **الانخراط الذي أرادت تجنبه** !والغريب أنه بعد وعود بمكاسب (نفط فنزويلا) لم تأتِ الثمار: فاستمرار عدم الاستقرار حال دون زيادة كبيرة في الإنتاج النفطي أو استفادة الشركات الأمريكية منه. هنا يظهر مثال حي على أن **القوة العسكرية لا تترجم تلقائيًا إلى عوائد اقتصادية**

أو إستراتيجية دون رؤية متكاملة.

حتى صفقاته التجارية الكبرى – كاتفاق "ترنbery" المجحف الذي فرضه على أوروبا ٢٠٢٥ – بدت **انتصارات قصيرة الأجل.** صحيح أن الشركات الأمريكية حصلت على بعض الأفضلية التجارية فورًا، لكن **ضمن أي إطار مستقبلي؟** الاتفاق وُصف بأنه غير قابل للاستمرار لأنه قائم على إملاءات لن تقبلها أوروبا طويلاً، وبالفعل بدأت دول أوروبية **الالتفاف حوله قانونيًا** (استغلال ثغرات أو اللجوء لمنظمة التجارة العالمية ولو معطلة) وستنتهي مفاعيله مع خروج ترامب ربما. أي إن ترامب حصل على السمكة لكنه قتل البحيرة! استفاد آنياً لكنه أضر بالعلاقة طويلة المدى وبالثقة التي تحتاجها الأعمال.

من زاوية الاقتصاد السياسي، يلاحظ الخبراء **تردد القطاع الخاص** الأمريكي والدولي في ظل نهج ترامب المتقلب. الاستثمار بطبيعته يكره اللا يقين؛ وترامب يصنع الكثير منه: اليوم يهدد دولة حليفة بعقوبات، وغدًا يغازل منافسًا إستراتيجيًا بصفقة. مثلاً، **قطاع الطاقة** الأمريكي لم يندفع كما المتوقع رغم الفرص (بعد العقوبات على روسيا) بسبب خوفه من قرارات مفاجئة تعكس السياسات أو تنخرط في نزاع جديد. **وول ستريت** متوجسة من ديون الحكومة المتفاقمة، لكنها لا تعرف متى ينفجر الوضع. أحد كبار المصرفيين وصف الوضع بقوله: "لدينا سوق صاعدة بفضل خفض الضرائب، لكن خلفها جبل ديون ينمو. والبيت الأبيض مشغول بمعارك جيوسياسية تُربك سلاسل التوريد. لا أحد يخطط لعشر سنوات الآن". هذه **الفجوة بين القرار السياسي والفعل الاقتصادي** أحد أهم مخاطر النهج الحالي؛ لأنها **تُفقد أمريكا عنصر الثقة والاستقرار** الذي كان سر جاذبية اقتصادها عالمياً.

يضاف لذلك عامل **الارتجال الشخصي** لترامب: إعجابه بالمفاجآت وإقالة المسؤولين بسرعة وعدم إيمانه بالخبراء. فقد غير أربع وزراء دفاع في عام! وشهدت الخارجية نزيف دبلوماسيين مخضرمين. هذا **النقص في الكادر المحترف** أدى أحيانًا إلى قرارات دون دراسة كافية للتبعات. وأحيانًا وجدت أجهزة الدولة نفسها تحاول "لملمة" آثار خطوة غير محسوبة. هذا النمط لا يمكن أن يؤسس **رؤية مستدامة.** فالسياسة الخارجية الأمريكية عادة تُصنع بتخطيط يمتد لسنوات (كما كانت الإستراتيجية تجاه الاتحاد السوفيتي مثلاً بنيت بصبر). أما الآن، فكل شيء **يومي وآني.** لذا حتى لو كانت نية ترامب مثلاً التركيز على الصين، **فغياب التخطيط** قد يجره لحادثة في أوروبا أو الشرق الأوسط تبعده عن هدفه.

من الأمثلة التي تُذكر هنا **سياسة ترامب تجاه إيران وفنزويلا:** شدد الخناق ثم لم يعرف كيف يستثمر اللحظة حين ثارت شعوبهما. دعم احتجاجات إيران كلامياً، لكنه لم يقدم خطة دعم أو تواصل مع المعارضة، فنجا النظام. في فنزويلا، بعد سقوط مادورو لم يخطط لإعادة الإعمار فازداد الوضع سوءًا. النتيجة: لا إيران تغيرت ولا فنزويلا تعافت. وكسبت روسيا والصين نفوذًا هناك تحت

الطاولة بينما أمريكا منشغلة بخطابات نصر فارغة.

يمكن استخدام **فنزويلا** بدراسة أوضح: أراد ترامب تركيز الموارد ضد الصين، فاعتقد أن إنهاء ملف مادورو السريع سيحرر القارة من نفوذ مزعج. لكن غياب الرؤية لما بعد العملية جعل فنزويلا بؤرة اضطراب جديدة تتطلب موارد مستمرة (مساعدات إنسانية، ووجود أمني) – أي **عكس المطلوب تمامًا**. والأسوأ أن هذا ولّد **عدم يقين** في أسواق النفط العالمية: فبدل زيادة المعروض انخفض لفترة بسبب الفوضى، ما رفع الأسعار عالمياً وأضر بالاقتصاد الأمريكي أيضاً (ارتفاع أسعار الوقود). هنا نرى كيف أدى الارتجال السياسي إلى نتيجة معاكسة اقتصاديًا وحتى إستراتيجيًا.

في المحصلة، **غياب التصور لما بعد الخطوة الأولى** يجعل الكثير من تحركات واشنطن مجرد **ردود أفعال** لا تنسجم ضمن إستراتيجية كبرى. وهذه ثغرة يمكن أن تستغلها القوى الأخرى: فالصين مثلاً **تراهن على طول النفس**؛ تبني مبادرات بنية تحتية لعشرين سنة قادمة في آسيا وأفريقيا (الحزام والطريق)، بينما أمريكا منشغلة بإطلاق تصريحات متقلبة. الشركات الصينية تخطط لعقود مستفيدة من دعم حكومي صبور، بينما الشركات الأمريكية في حيرة من أمرها بين واشنطن وبكين. إذا استمر هذا النهج، سيحدث **نزيف صامت لنفوذ أمريكا الاقتصادي** لصالح منافسين أكثر استقرارًا.

باختصار، يمكن القول إن **"القوة بدون رؤية" خطر على صاحبها** أولاً. ولعل هذا ما قصده رئيس وزراء كندا كارني عندما قال: "لا يكفي أن تكون قويًا، عليك أن تعرف ماذا تفعل بقوتك. وإلا فإن الآخرين سيعيدون ترتيب أنفسهم لحماية مصالحهم". وقد شهدنا بالفعل **بوادر اصطفافات جديدة**: تحالفات وسطية بين القوى المتوسطة، تزايد التعامل بالعملات المحلية لتجنب هيمنة الدولار في بعض التبادلات، واتفاقيات تجارية متجاوزة لأمريكا. هذه كلها **إشارات على عالم لا ينتظر أمريكا حتى "تستيقظ وترسم الخطة"، بل يتحسب للأسوأ ويبدأ بالتحرك.**

قيود الداخل الأمريكي: مأزق بنيوي للاستدامة الإستراتيجية

لا يمكن تحليل السياسة الخارجية الأمريكية بمعزل عن **محددات الداخل**، إذ تشكل هذه المحددات **قيدًا بنيويًا** على أي إستراتيجية طويلة المدى. الولايات المتحدة اليوم تعاني من **دين عام وعجز مالي متفاقم**، و**استقطاب حزبي ومجتمعي عميق**، و**اهتزاز ثقة المؤسسات**، إضافة إلى **توترات اجتماعية ثقافية** لم تخْفَ منذ ذروة احتجاجات ٢٠٢٠. هذه العوامل تجعل **استدامة المغامرات الخارجية** أو حتى مجرد **الصبر الإستراتيجي** أمرًا صعبًا.

عبء الدين والعجز: بلغ الدين الفيدرالي مستويات تاريخية نسبةً للاقتصاد (تجاوز ١٣٠٪ من الناتج). خلال ٢٠٢٥ وحدها، أضافت السياسات حوالي ١،٥ تريليون دولار جديدة من الديون المستقبلية. هذا يعني أن **خدمة الدين** (دفع الفوائد) أصبحت واحدة من أكبر بنود الإنفاق الفيدرالي، وأي ارتفاع إضافي في أسعار الفائدة أو تراجع في ثقة المستثمرين قد يخلق أزمة مالية

تضطر الحكومة إلى **تخفيض الإنفاق الدفاعي والخارجي قسرًا**. لقد رفع الكونغرس سقف الدين لـ ٤١ تريليون دولار عام ٢٠٢٥ عبر قانون "الشيك الجميل الواحد"، لكن ذلك مجرد تأجيل للمشكلة دون حل جذري. استمرار الإنفاق العسكري الضخم (قرابة ٩٠٠ مليار دولار سنويًا) مع خفض الإيرادات الضريبية **غير قابل للاستمرار** في العقد القادم. وعادةً ما تقود أزمات الدين القوى العظمى إلى "تقليص بصمتها الخارجية"؛ فبريطانيا العظمى بعد الحرب العالمية الثانية وجدت أن تكلفة الحفاظ على إمبراطوريتها تفوق قدراتها المالية فتخلت عنها. إذا استمرت واشنطن في تراكم الدين بهذا النمط، فقد تجد نفسها مضطرة لتخفيض وجودها العسكري وقواعدها الخارجية، ببساطة لعدم القدرة على تحملها ماليًا، بغض النظر عن رغبة أي إدارة.

الاستقطاب السياسي: شهدت أمريكا انقسامات حادة بين المعسكرين الجمهوري والديمقراطي حول قضايا أساسية، بما فيها السياسة الخارجية. تحولت ملفات مثل العلاقة مع أوروبا، والموقف من الناتو، والتجارة مع الصين، والتدخلات العسكرية إلى مواضيع خلاف داخلي بدل توافق وطني. هذا الاستقطاب **يحدّ من القدرة على اعتماد إستراتيجية ثابتة**؛ فكل انتخابات قد تعني انعطاف ١٨٠ درجة. بالفعل، تراقب الدول الأخر المشهد: رأوا كيف انقلبت السياسات من أوباما إلى ترامب إلى بايدن ثم عادت مع ترامب. كثير من الحلفاء باتوا يتساءلون: ما قيمة التزامات أمريكا إذا كانت تتغير كل أربع سنوات؟ حتى داخل فريق ترامب نفسه، هناك انقسامات (تيار مقرب من التقليديين مقابل تيار "أمريكا أولاً" المتشدد). هذا المناخ يجعل **التخطيط بعيد المدى في واشنطن شبه مستحيل،** فأي إستراتيجية عرضة للإبطال بتغيير سياسي. لقد حذر مسؤول أوروبي أن "السياسة الخارجية أصبحت "مسرحًا للصراع الداخلي" في أمريكا، وبتنا لا نعلم إن كان توقيعهم اليوم سيُلتزَم غدًا». لذا بدأت الدول تبحث عن **تأمينات جانبية**: أوروبا تقارب الهند والبرازيل لعلاقات مستقبلية، والشرق الأوسط يتجه شرقًا، إلخ. وهذا بذاته يضعف قدرة أمريكا على قيادة تحالفات طويلة النفس.

تراجع الثقة بالمؤسسات: من سمات الداخل الأمريكي حاليًا انخفاض مستوى ثقة الجمهور بمؤسسات الحكم؛ الكونغرس، والقضاء، والإعلام، وحتى الجيش والمخابرات أصابتها انقسامات. هذه الحالة **تحد من قدرة القيادة على تعبئة الأمة خلف سياسات صعبة**. مثلاً، لو تطلب الأمر تضحية اقتصادية أو تعبئة عسكرية لمواجهة الصين، هل الشارع الأمريكي مستعد؟ استطلاعات عدة تشير إلى أن **الأولوية لدى الأمريكيين هي المشكلات الداخلية** (التضخم، والهجرة، والجريمة) وليست "حماية تايوان" أو "دعم أوكرانيا" إلا ضمن حدود ضيقة. ترامب فاز أصلاً على موجة هذا المزاج المنهك من "حروب لا تنتهي". وبالتالي أي محاولة للعودة إلى دور قيادي عالمي تقليدي ستصطدم بجدار لا مبالاة أو رفض شعبي. حتى عندما يحذر الخبراء من خطورة تمدد الصين، يهتم المواطن العادي أكثر بأسعار البنزين. هذا القيد الديمقراطي سيزداد مع مرور الوقت إن لم تتحسن

أحوال الداخل. وأمام وضع كهذا، قد يجد صناع القرار -أيًا كانوا- أنفسهم **مقيدين سياسيًا**: فمثلاً ربما يعرفون أهمية وجود الأسطول الأمريكي الدائم قرب بحر الصين، لكن إن زادت الخسائر أو وقعت حادثة، سيعصف بهم النقد الداخلي. سيناريو كهذا يذكّر بما حصل لأمريكا في سبعينات القرن الماضي عقب فيتنام: مزاج شعبي ضاغط للانسحاب وتقليص الدور العالمي.

التوترات الاجتماعية والثقافية: تعيش أمريكا **تحولات ديمغرافية وثقافية** عميقة (تزايد الأقليات، وصعود حركات الهوية، والانقسام حول قضايا الإجهاض والسلاح...إلخ). هذه القضايا تستهلك قدرًا هائلاً من الانتباه والجهد السياسي، حتى إنها طغت على السياسة الخارجية كثيرًا. كما أنها تخلق قابلية للاضطراب الداخلي، وقد شهدنا تظاهرات مليونية وأعمال عنف سياسي (الهجوم على الكابيتول ٢٠٢١). أي **أزمة داخلية كبيرة** قد تستدعي تركيز كل الجهود على البيت الداخلي لسنوات، ما يعني **فراغًا في القيادة العالمية** في تلك الفترة. وبالفعل، أبدى حلفاء أمريكا قلقهم عندما رأوا مشاهد الاقتتال السياسي في واشنطن؛ أحدهم قال: "كيف نعتمد في أمننا على دولة نصف قادتها لا يعترفون بشرعية الانتخابات؟". هذا الضعف الإدراكي يضر قوة أمريكا الناعمة والاستقطابية، وقد تستغله قوى مثل الصين وروسيا لتقديم نظامها بوصفه "أكثر استقرارًا وكفاءة" مقارنة "بفوضى الديمقراطية الأمريكية".

ترجمة هذه القيود على الإستراتيجية واضحة: إنها **تقصر نَفَس أي تحرك أمريكي خارجي**. لم تعد واشنطن تملك رفاهية الالتزام عقودًا بمشروع مارشال جديد أو حرب باردة طويلة. تحتاج لنتائج سريعة لتسكت الداخل. وهذا يشرح كثيرًا ضغط ترامب للفوز السريع (٢٤ ساعة لأوكرانيا، أشهر لإيران...) – إنه يعلم أن الداخل لن يصبر. لكن التحديات المعاصرة معقدة وعنيدة، فعدم الصبر قد يعني الفشل أو حلولاً ناقصة تزيد الأمر سوءًا. إنه مأزق حقيقي: **الداخل يضغط لإنهاء المشاكل بسرعة، وسرعة الحلول قد تخلق مشاكل أكبر**.

كما تؤثر هذه القيود على **إدارة التحالفات طويلة الأمد**. حيث يتطلب الحفاظ على التحالفات تقديم بعض التنازلات والتفهم المتبادل، وهو ما يصعب في مناخ شعبوي. مثلاً، لكي تستمر شريحة واسعة من الأمريكيين بدعم حلف الناتو، عليهم الاقتناع بأنه يخدمهم. ترامب أقنع الكثيرين أن الناتو "عبء". إقناعهم مجددا قد لا ينجح حتى لو تغير الرئيس، لأن الفكرة ترسخت. وهكذا تتحول القيود الداخلية إلى **تغيير دائم في السياسة الخارجية**: نزعة نحو الانعزال أو على الأقل الأنانية القومية ستبقى قوة مؤثرة بغض النظر عمن يحكم.

في ضوء ذلك كله، **الاستدامة الإستراتيجية الأمريكية موضع شك**. نعم، أمريكا قوية بما يكفي لخوض أزمة أو حرب قصيرة والانتصار. لكن هل يمكنها **الاستمرار ضامنًا للنظام العالمي لعقد آخر أو اثنين؟** إن قدرة التحمل السياسي والاقتصادي مطلوبة لذلك، وهي تتآكل. ربما **تحتاج واشنطن لنموذج قيادة جديد** – تشاركي أكثر مع حلفائها، وأقل كلفة عليها – كي تتغلب على قيود الداخل

وتبقى في موقعها. ولعل في هذا فرصة: فإذا نجحت أمريكا في **إعادة توزيع مسؤوليات النظام على حلفائها بصورة مقبولة** (مثلاً أن تتولى أوروبا أمن جوارها، والخليج يمول استقراره، واليابان وأستراليا تشارك في ردع الصين)، فستكون قد **عوّضت ضعف التصميم الداخلي بتحالفات أقوى**. أما إذا استمرت في النهج الحالي من **تأرجح بين فترات تدخل وانكفاء** تبعًا للمزاج السياسي، فسوف تتبدد قوتها في عدم الفعالية وسيستفيد الآخرون، وهذا الأخير هو ما يحدث في ظل إدارة ترامب بالضبط. في النهاية، الداخل الأمريكي – بديونه وانقساماته – هو مثل **خزان الوقود لأية رحلة إمبراطورية**. والمؤشر الأحمر يقترب. إن لم يبدأ إصلاح التسريبات وضخ وقود جديد (استثمار في البنية التحتية، والتعليم، ووفاق سياسي)، فإن **الرحلة ستضطر للتوقف مهما كانت وجهتها**.

السيناريوهات المحتملة حتى عام ٢٠٣٠

في ظل المعطيات السابقة، يمكن تصور **ثلاثة سيناريوهات أساسية أو أربعة** لمآل النظام الدولي خلال السنوات الخمس القادمة (حتى ٢٠٣٠ تقريبًا)، مع تحديد محركات كل سيناريو ومؤشراته المبكرة وتأثيره على مختلف الأطراف:

في ضوء المعطيات السابقة، يمكن تصور ثلاثة مسارات رئيسية لمآل النظام الدولي حتى عام ٢٠٣٠. هذه السيناريوهات ليست «نبوءات» بقدر ما هي خرائط احتمالات، لكل منها محركات تُغذّيه، ومؤشرات مبكرة تكشف اتجاهه، ثم نتائج مختلفة على أوروبا وروسيا والصين والشرق الأوسط والاقتصاد العالمي، مع توزيع متباين للرابحين والخاسرين.

أولا: سيناريو «شرعية القوّة» الأمريكي: أحادية قطب معدّلة بشروط قاسية:

يقوم هذا السيناريو على فرضية أن واشنطن تنجح في إعادة ضبط النظام الدولي لصالحها عبر أسلوب ضغط مباشر: رسوم، وعقوبات، واشتراطات دفاعية ومالية على الحلفاء، مع غياب بديل عالمي قادر على منافستها فعليًا. المحرك الأساسي هنا هو استمرار النهج الترامبي طوال دورة سياسية كاملة (٢٠٢٥–٢٠٢٩) مع قدرٍ كافٍ من الدعم الداخلي، وانضباط الحلفاء تحت الضغط، وعدم تشكل جبهة مضادة فعالة تجمع الصين وروسيا في تحالف مضاد متماسك. **مؤشرات هذا السيناريو** تظهر مبكرًا حين يلتزم الحلفاء علنًا زيادات إنفاق أو اتفاقات تكرّس ترتيبات أمريكية جديدة (حتى لو جاءت بصيغ ملتوية تحفظ ماء الوجه)، وحين تفشل بكين وموسكو في تحويل تقاربهما إلى كتلة ردع عالمية قادرة على كسر قواعد اللعبة الأمريكية، بل قد يظهر شقاق بينهما أو تباعد وظيفي يحد من قدرتهما على العمل جبهةً واحدة. أما **النتائج** فتبدو على النحو الآتي: **أوروبا** تبقى تحت المظلة الأمريكية، لكن بشروط أكثر صرامة تمس استقلال القرار الدفاعي والمالي، ومع تآكل مساحة المناورة السياسية. أما **روسيا** فتُحجّم عبر مزيج من الردع والصفقات الجزئية؛ قد يُجمَّد نفوذها عند حدود معينة (في أوكرانيا مثلًا) مقابل تخفيف محدود للعقوبات أو اعتراف واقعي بأوضاع قائمة دون إضفاء شرعية كاملة. وأما **الصين** فتستمر في مواجهة تجارية/تقنية

طويلة، لكنها تُفضّل خفض المخاطر العسكرية؛ وقد تقبل ببعض «قواعد اللعب» الأمريكية لتجنب صدام واسع. وأما **الشرق الأوسط** فيشهد ترتيبات أمنية أكثر مباشرة، تقودها واشنطن بنفسها أو عبر حلفاء إقليميين (مثل كيان الاحتلال ودول الخليج)، مع حلول ضاغطة وسريعة في ملفات كبرى. وأما **الاقتصاد العالمي** فيظل قائمًا على مركزية الدولار، لكن بصورة أكثر تقييدًا؛ أدوات العقوبات والأنظمة المالية (مثل شبكات التحويل والتمويل) تصبح سلاحًا أشد حضورًا. في هذا السيناريو، **الرابح الأكبر** هو الولايات المتحدة (بتثبيت هيمنتها بشروط جديدة)، ومعها النخب الموالية لها في دول الحلفاء، وقطاعات كالصناعات الدفاعية الأمريكية. أما **الخاسرون** فهم الدول المتوسطة التي تتراجع قدرتها على المناورة، وبعض مظاهر سيادة الاتحاد الأوروبي، والدول التي تصنفها واشنطن «معاندة» والتي قد تواجه ضغوطًا قسرية أعلى.

ثانيا: سيناريو «تعدد الأقطاب وفجوة الشرعية»: فراغ قيادة وتنافس تكتلات إقليمية:

هذا السيناريو يفترض فشل واشنطن في الحفاظ على النظام الذي قادته بعد الحرب الباردة، وظهور فراغ لا يُملأ بقطب بديل واحد، بل بتكتلات متنافسة وتحالفات إقليمية، مع ضعف متزايد للمؤسسات الدولية ومعايير الشرعية. محركه الرئيس هو انهيار جزء من التحالفات التقليدية (وقد يكون ذلك نتيجة أزمة كبيرة داخل الناتو على شاكلة أزمة سيادة/أمن)، إلى جانب ضغوط اقتصادية أو سياسية داخلية في أمريكا تحد من قدرتها على التدخل الخارجي، بالتزامن مع تنامي محور بكين–موسكو وتوسع أطر بديلة (مثل بريكس+). **المؤشرات المبكرة** هنا أكثر وضوحًا وخطورة: انسحاب أمريكي أحادي من معاهدات كبرى أو تفريغها من مضمونها، وإعلان أوروبي صريح عن سياسة دفاع مستقلة بالكامل خارج الإطار الأطلسي، أو ظهور اتفاقات أمنية رسمية بين خصوم واشنطن (كتحالف دفاعي صيني–روسي أو ترتيبات أمنية موسعة مع أطراف إقليمية مناوئة). **النتائج المحتملة** تتوزع كالآتي: **أوروبا** قد تنقسم داخليًا بين من يسعى لتسويات مع روسيا ومن يذهب لسباق تسلح مستقل؛ وغياب المظلة يرفع كلفة الوحدة ويُظهر التناقضات الكامنة. وأما **روسيا** فتستفيد إقليميًا من انخفاض الردع الغربي، وقد توسع نفوذها في جوارها القريب دون خوف من رد جماعي فعال.

وأما **الصين** فتبرز ضامنا أمنيًا-اقتصاديًا في آسيا، مع قدرة أكبر على فرض أوضاع في محيطها وربما في ملفات حساسة، وتوسع مبادراتها كمظلة بديلة عن النظام الغربي. وأما **الشرق الأوسط** فيتحول إلى ساحة تقاسم نفوذ بين قوى إقليمية (إيران/وتركيا/والسعودية/ودولة الاحتلال) مع دخول الصين وروسيا لاعبين اقتصاديين وأمنيين أكبر حجما، وتراجع الوزن الأمريكي. وأما **الاقتصاد العالمي** فيتجه إلى التفكك النسبي: تكتلات تجارية ونقدية متوازية، وتنافسا على العملات والتقنيات، وتراجع فاعلية مؤسسات العولمة التقليدية. في هذا السيناريو، **الرابحون** هم الصين أساسًا، لأنها الأقدر على ملء جزء كبير من الفراغ، وروسيا على المستوى الإقليمي، مع بقائها الأصغر أمام الصين،

وقوى قومية في دول متعددة تستثمر غياب «الشرطي العالمي». وأما **الخاسرون** فهم الولايات المتحدة (فقدان المكانة)، وأوروبا الغربية (ضياع الضامن ووحدة الصف)، والدول الصغيرة التي تصبح أكثر عرضة لصراعات النفوذ من دون قانون دولي فعّال يحميها.

ثالثا: سيناريو «توازن قوى جديد»: صفقة الكبار وتقاسم النفوذ:

هذا السيناريو يفترض أن القوى العظمى -أمريكا وروسيا والصين- تصل إلى تفاهم غير معلن لتجنب حرب كبرى عبر تقاسم مناطق النفوذ وإدارة التنافس ضمن سقوف مضبوطة. محركه هو إدراك متبادل لاستحالة إقصاء الآخر، وظهور قيادة أكثر براغماتية (أو على الأقل أكثر واقعية) تدفع نحو تفاوض خلف الستار، مع ضغط اقتصادي عالمي يجعل سباق تسلح مفتوحًا غير قابل للتحمل. **المؤشرات المبكرة** تشمل قممًا ثلاثية أو سلسلة قمم ثنائية متتالية بين قادة القوى الكبرى، وتصريحات أو وثائق تعترف ضمنيًا بمصالح كل طرف ومجالات نفوذه، مع تهدئة خطابية مقصودة: تخفيف واشنطن للهجوم الأيديولوجي على النظام الصيني، وتجنب بكين الصدام العلني مع التحالفات الأمريكية، وربما تفاهمات «غير مكتوبة» حول خطوط حمراء. **النتائج** هنا أكثر تعقيدًا: **أوروبا** قد تستفيد من خفض التوترات عالميًا، استقرارا اقتصاديا وأمنيًا نسبيا، لكنها تصبح طرفًا ثانويًا يُبلّغ بالترتيبات بعد إنضاجها، أي خسارة في الاستقلالية السياسية وإن كان ضمن بيئة أقل اضطرابًا. أما **روسيا** فتربح اعترافًا بوضعها في جوارها، لكنها تبقى الشريك الأصغر أمام بكين وواشنطن، ونفوذها يصبح معتمدًا على التفاهم بين الكبار. أما **الصين** فتحصل على مساحة أوسع لقيادة آسيا ضمن تفاهمات تمنع الانزلاق العسكري، مقابل التزامات لضبط التوسع العالمي أو احترام خطوط معينة. وأما **الشرق الأوسط** فقد يُدار بتفاهمات تمنع اصطدام وكلاء القوى الكبرى: نفوذ أمريكي بالخليج، روسي في نقاط نفوذ محددة، وصيني اقتصاديًا على نطاق واسع، مع «قواعد عدم اشتباك» سياسية. وأما **الاقتصاد العالمي** فيستمر في العولمة لكن بقيود جديدة: قواعد محدثة للتجارة، وربما إصلاحات شكلية في المؤسسات الدولية لتعكس توازن القوى (معايير جديدة في التقنية/والسيبراني/والتسلح). **الرابحون** هم القوى الكبرى الثلاث (تجنب حرب مكلفة وتقاسم النفوذ)، وبعض الدول المحايدة المتوسطة التي تستفيد من الاستقرار دون الانحياز الكامل. أما **الخاسرون** فهم أصحاب المشاريع الأيديولوجية (إذ تتحول السياسة إلى صفقة قوة لا صراع مبادئ)، والدول التي كانت تستثمر تنافس الكبار للحصول على مكاسب من الطرفين، إذ تقل فرص «المساومة بين القطبين» في ظل تفاهمهما.

خلاصة انتقالية قصيرة:

السيناريو الأول يعني أن واشنطن تنجح في «تشديد» أحادية القطبية. والثاني يعني تفكك المظلة وظهور فراغ وفوضى قواعد. والثالث يعني «عقلنة» التنافس عبر «صفقة كبار» تُخفض مخاطر الحرب لكنها تُضعف دور الأطراف الثانوية. وبقدر ما تبدو هذه السيناريوهات منفصلة،

فإن الواقع قد يبدأ بأحدها ثم ينزلق إلى غيره وفق أحداث مفصلية: أزمة سيادة داخل التحالفات، أو صدمة اقتصادية أمريكية، أو نقطة اشتعال في آسيا. هذه السيناريوهات ليست حتمية منفصلة تمامًا، فقد نشهد مزيجًا من عناصرها أو تتابعًا زمنيًا لأكثر من سيناريو. مثلاً، قد يحدث السيناريو الثاني (فراغ) لفترة ثم يدفع الخطر بالفوضى نحو السيناريو الثالث (صفقة الكبار) حلًّا لاستعادة الاستقرار. المهم هو **المؤشرات المبكرة**: على صناع القرار وصوغ السياسات أن **يراقبوا التطورات؛** هل يتعمق تحالف بكين-موسكو بلا تصدعات؟ هل يستمر الحلفاء الغربيون في استقلالية أكبر؟ أم يعودون لحضن أمريكا في ٢٠٢٧ مثلًا لو تغيرت الإدارة؟ فهذه إشارات أي طريق يُسلك.

بطبيعة الحال، **اللاعبون الإقليميون** (كالقوى المتوسطة وكتل الجنوب العالمي) سيكون لهم دور أيضًا في ترجيح كفة اتجاه ما. فهم يمكنهم **ملء بعض الفراغ** أو **الانحياز لأحد المعسكرات.** على سبيل المثال، إذا شكلت الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا كتلة تنحاز للنهج التعددي، قد يسرع ذلك سيناريو العالم المتعدد الأقطاب.

أما لو اصطفوا كلٌّ مع قوة (الهند مع أمريكا، والبرازيل محايدة، إلخ) فقد يرسخ توازن الكبار. السيناريوهات أعلاه تقصد **منتصف المدى** (٥-١٠ سنوات). أما على المدى الأطول (ما بعد ٢٠٣٠)، فستدخل عوامل أخرى (تغيرات تكنولوجية جذرية، وتغيرات مناخية كبرى، واحتمالات انهيار داخلي لأحد الكبار من عدمه) تؤثر بتشكيل نظام مختلف جذريًا ربما. لكن في نطاق رؤيتنا الحالية، هذه هي المسارات الأكثر معقولية.

خاتمة: بين الارتجال والرؤية... من يملأ الفراغ؟

ختامًا، يمكن القول إن **واشنطن في عهد ترامب تفتقد لرؤية شاملة لبناء ترتيب عالمي بديل؛** فهي تتحرك باندفاع القوة الآنية أكثر من تخطيط المعمار المستقبلي. لقد هدمت – أو قوضت – أجزاء من النظام القديم (شرعية المؤسسات الدولية والتحالفات التقليدية) دون أن تقدم نموذجًا متماسكًا يحل مكانها. والنتيجة عالم يموج بالتساؤلات: هل "مجلس السلام" وأمثاله سيكونون أعمدة نظام جديد أم فقاعات عابرة؟ هل يصبح "نظام الصفقات" العابر للأطلسي قاعدة مستدامة أم مجرد **مرحلة انتقالية فوضوية؟** حتى الآن، يميل الترجيح نحو الثانية؛ فالكثير من مبادرات الإدارة الحالية تشبه **مشاريع شخصية مؤقتة** أكثر من مؤسسات راسخة طويلة الأمد.

في المقابل، **الفراغ المحتمل يتوسع** في مجالات متعددة. الفراغ في **الشرعية والقواعد:** إذا لم تعد الأمم المتحدة مرجعية فاعلة، ستبرز الحاجة لمن يسد هذه الفجوة في شرعنة الحلول الدولية. هنا قد نرى دورًا أكبر **للقوى الوسطى المنسقة** (مثلما دعا كارني رئيس وزراء كندا لتكتل "القوى المتوسطة") أو لمنظمات إقليمية بديلة (كالاتحاد الأوروبي يحاول لعب دور أكبر في معايير التجارة والبيئة لتعويض الشلل العالمي).

وهناك الفراغ في **القيادة الأمنية:** تراجع الثقة بالضمانة الأمريكية يعني أن دولًا مثل ألمانيا

واليابان وربما دول الخليج **قد تسعى لقفزات تسليحية** تملأ قدرًا من الفراغ بنفسها، وهذا سلاح ذو حدين، فقد يردع العدوان لكنه أيضًا قد يطلق سباق تسلح إقليميًا جديدًا. ولا ننسى **الفراغ القيمي**: نظام ما بعد الحرب العالمية وضع مبادئ، كعدم جواز اكتساب الأرض بالقوة واحترام حقوق الإنسان. هذه المبادئ أصيبت في مقتل (باحتلال أراضي أوكرانيا مثلاً دون عقاب قاطع، وبعودة التعذيب والعقوبات الجماعية أدوات سياسة). إن لم يتحرك طرف لرفع راية هذه القيم عالميًا، فقد تبقى مهملة إلى أن تجد قوة أخرى تتبناها، وربما **قوة ناشئة غير ديمقراطية** ستطرح قيمًا مغايرة. وهذا أخطر فراغ فكري ممكن.

مَن الأقدر على ملء الفراغ؟ الإجابة المتوقعة: الصين مرشح قوي، لكن **بطريقتها الخاصة؛** تدريجية ومرتكزة على الاقتصاد. روسيا تحاول إقليمياً ولكن ضعف أساساتها الاقتصادية والعزل يحدّها عالميًا. الاتحاد الأوروبي لديه الإمكانات المادية والقيمية، لكن تنقصه الوحدة السياسية والعسكرية لأداء دور القائد. القوى الإقليمية الأخرى كالهند والبرازيل ستؤدي أدوارًا أكبر في مناطقها وربما كأثقال موازنة ضمن أي ترتيب متعدد الأطراف، لكنها ليست جاهزة بعد لتولي زمام قيادة النظام العالمي.

يبقى سيناريو أن **تستدرك واشنطن نفسها** – بتغير في القيادة أو النهج – فتبادر لسد فراغاتها التي صنعتها قبل أن يفوت الأوان. مثلاً، قد نشهد في الأعوام المقبلة مبادرة أمريكية لإصلاح الأمم المتحدة بدلًا من تجاهلها، أو إحياء اتفاقات تجارية/مناخية متعددة بشروط أكثر عدلاً بدل الانسحاب منها. هذا يتطلب **رؤية إستراتيجية تضع حدودًا للقوة وتستخدمها بذكاء مع الآخرين،** رؤية غائبة حاليًا.

حين سُئل هنري كيسنجر (الداهية المخضرم) عن الفارق بين قيادة أمريكا اليوم وفي عصره، قال بحسرة: "كنا نعرف الوجهة وإن اختلفنا في الوسيلة؛ الآن لا الوجهة ولا الوسيلة واضحة". العالم يعيش حقبة "بين العصور": نظام قديم يتفكك وآخر جديد لم يُولد بعد. وفي هذه الحقبة، **الفعل المرتجل قد يكون أخطر من التقاعس** لأنه يخلط الأوراق دون تقديم بديل. من ينجو خلال هذه الفوضى المرحلية – بأقل الخسائر وبالتقاط الفرص – سيحدد موقعه في النظام القادم.

ختامًا، يبدو أن **الشرعية الدولية يعاد تشكيلها الآن على أسس اختبار القوة والصفقات.** وإن لم تتدارك القوى الدولية الفاعلة الأمر بوضع **ضوابط جديدة مقبولة للجميع**، فقد نجد أنفسنا أمام فراغ شرعي ملأته مؤقتًا القوة العارية، ولكنه لا يستطيع الاستمرار دون أرضية. في التاريخ عبرة: **القوة يمكن أن تفتح ثغرات، لكنها لا تبني نظامًا مستدامًا وحدها.** على واشنطن – إن أرادت تجنب مصير الإمبراطوريات الآفلة – صياغة رؤية تجمع بين مصالحها ومصالح الآخرين ضمن إطار شرعي جديد، وإلا فإن الآخرين حتمًا سيملؤون الفراغ بطريقتهم، وعندها ستجد أمريكا نفسها غريبة عن نظام ليست هي من يكتبه.

المراجع المختارة:

١. مجلس العلاقات الخارجية(CFR) ، "نظام ترامب العالمي: عودة إلى ما قبل الحرب العالمية" بقلم بين ستايل – ١٥ يناير ٢٠٢٦.

٢. بروكنجز – كارين دونفريد وآخرون، "تحليل استراتيجية الأمن القومي ٢٠٢٥: تحول نحو نصف الكرة الغربي وتراجع القانون الدولي" – ديسمبر ٢٠٢٥.

٣. رويترز – ماريا تشينغ، "خطاب كارني في دافوس يهز الثقة: الكنديون يلتفون حول رئيس وزرائهم وسط هجمات ترامب" – ٢٢ يناير ٢٠٢٦.

٤. الأمم المتحدة – بيان صحفي "مجلس الأمن يقر إطار دعم غزة: ترحيب مبدئي بخطة مجلس السلام" – ١٧ نوفمبر ٢٠٢٥.

٥. ويكيبيديا (بالإنجليزية)، "مجلس السلام – Board of Peace" – آخر تحديث ٢١ يناير ٢٠٢٦.

٦. مؤسسة روبرت شومان – ماكسيم لوفيفر، "الأوروبيون وترامب: الإذلال أم الفاعلية؟" – ورقة سياسات رقم ٨٠٤ – ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٥.

٧. المجلس الأطلسي – دانييل فرايد، "منع كارثة في غرينلاند: كيف يتجنب الناتو الكارثة ويخرج أقوى" – ١٧ يناير ٢٠٢٦.

٨. كارنيغي للسلام – ستيفن ورتهايم، "إمبريالية ترامب العارية: الحلفاء يواجهون الإكراه الأمريكي" – ٢١ يناير ٢٠٢٦.

٩. معهد الدراسات الدولية والإستراتيجية (CSIS) – هيذر كونلي، "الانسحاب الأمريكي من الوكالات الدولية: التداعيات" – ٧ يناير ٢٠٢٥.

١٠. مجلس العلاقات الخارجية – ماريل فرّاغامو وديانا روي، "كم تموّل الولايات المتحدة الأمم المتحدة؟" – ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٥.

١١. وكالة بلومبرغ – تقرير، "مساعي إدارة ترامب لبديل أممي: هل يحل مجلس السلام محل الأمم المتحدة؟" – نوفمبر ٢٠٢٥.

١٢. صحيفة لوموند (بالفرنسية)، "مجلس سلام ترامب: أربع أسئلة حول منافس الأمم المتحدة" – ٢١ يناير ٢٠٢٦.

١٣. وكالة رويترز – أدريان واغنر، "كارني: نظام قديم انتهى... الوسطاء يجب أن يحتموا بأنفسهم" – ٢٠ يناير ٢٠٢٦.

١٤. صحيفة الغارديان، "ترامب يهدد أوروبا بالرسوم: فرنسا تتوعد وتعتبر مجلسه تقويضًا للأمم المتحدة" – ١٨ يناير ٢٠٢٦.

١٥. مجلة فورين بوليسي – كاميرون عبادي وآدم توز، "هل تواجه أمريكا أزمة دين؟ تأثير سياسات ترامب المالية" – ١٢ مارس ٢٠٢٥.■

كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة حفظه الله بمناسبة الذكرى الـ١٠٥ على هدم دولة الخلافة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

إلى الأمة الإسلامية، أمة الجهاد والعدل والإحسان بإذن الله.. خير أمة أخرجت للناس.. أعزها الله بالنصر والتمكين..

إلى حملة الدعوة لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة.. ونحسبهم بإذن الله الأتقياء الأنقياء الغر الميامين..

* في مثل هذه الأيام قبل مائة وخمس من السنين، في أواخر رجب سنة ١٣٤٢هـ الموافق لأوائل آذار سنة ١٩٢٤م، تمكن الكفار المستعمرون بزعامة بريطانيا آنذاك، بالتعاون مع خونة العرب والترك من القضاء على دولة الخلافة، وأعلن مجرم العصر مصطفى كمال الكفرَ البواح بإلغاء الخلافة، ومحاصرةَ الخليفة في إسطنبول وإخراجَه في سَحر ذلك اليوم... وهكذا حدث زلزال فظيع في بلاد المسلمين بالقضاء على الخلافة مبعثِ عزهم ومرضاة ربهم. وكان الواجب على الأمة أن تقاتله بالسيف كما جاء في حديث الرسول ﷺ المتفق عليه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه «**وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، لكن الأمة قصّرت في ذلك فلم تقم بما يؤزُّ ذلك المجرم وأعوانَه أزّاً تقلبه وأعوانه خاسرين، بل استمر زلزالُ فقدان الخلافة. ومن ثم حلَّ نفوذ الكفار المستعمرين في بلاد المسلمين، فجزأوا البلاد، ومزقوها إلى مِزَقٍ وصلت نحو ٥٥ مِزقةً!

* ثم أضاف رويبضات الحكام في بلاد المسلمين إلى هذا الزلزال زلزالاً آخر، فلم يمنعوا يهود من احتلال الأرض المباركة، مسرى الرسول ﷺ ومعراجِه، ثم انخفضوا درجات.. فهرولوا نحو التطبيع مع كيان يهود حتى دون أن ينسحب من شيء!! وبعضهم ارتكب جريمة التطبيع من وراء ستار، وبعضهم ارتكبها علناً في الليل والنهار! وهكذا فكلهم يسارع في الجريمة دون أن يعبأوا بالصَّغار الذي يلفّهم من سمت رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾.

* هكذا أنتم أيها المسلمون بعد أن انكشفت عن جباهكم الخلافة، وتحكم بكم رويبضات الحكام الذين يأتمرون اليوم بأمر الطاغية ترامب حتى في غزة هاشم وكل الأرض المباركة، فقد ترأس ترامب في شهر أيلول ٢٠٢٥ اجتماعاً ضم السعودية والإمارات وقطر ومصر

والأردن وتركيا وإندونيسيا وباكستان، وذلك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، واصفا إياه بأنه أهم اجتماع، ثم عرض، أو فرض، عليهم خطة من ٢٠ نقطة وكانت بنود خطته تنطق بضياع غـ زة والوصاية عليها واستعمارها، لتكون حديقة يستمتع بها ترامب وكيان يهود! وبعد ذلك أقام السيسي في أرض الكنانة احتفالاً بترامب وخطته المشئومة.. وكان ذلك تمهيدا لقرار مجلس الأمن ٢٨٠٣ الذي يفرض مجلس وصاية أو استعمار يدير غزة هاشم يسميه مجلس سلام! ثم يصرح ترامب أنه سيعلن أعضاء المجلس برئاسته في غزة مطلع هذا العام ٢٠٢٦.. وكانت الجزيرة قد نقلت عنه كذلك (وأنه من المرجح أن يعين ترامب جنرالاً أمريكياً لقيادة قوة الاستقرار في القطاع. الجزيرة، ٢٠٢٥/١٢/١١) أي يتحكم ترامب في مجلس الحكم وقوة الأمن في غزة!.

ثم يلتقي مبعوثه ويتكوف في ميامي دول «الوساطة» تركيا ومصر وقطر في ٢٠٢٥/١٢/١٩ لدفع المرحلة الثانية في بحث كيفية نشر قوات الاستقرار ونزع سلاح حماس وكذلك بحث الخطوات العملية لتنفيذ ذلك! ثم يجتمع ترامب مع نتنـياهو في فلوريدا ويقول: [«الاجتماع كان مثمراً للغاية» ويضيف للصحفيين: «إن المباحثات تناولت مسألة نزع سلاح حركة حماس مؤكداً أنها ستمنح فترة قصيرة للقيام بذلك محذراً من أن عواقب وخيمة ستترتب على عدم الامتثال».. بي بي سي، ٢٠٢٥/١٢/٣٠]. يقول ترامب ذلك وهو الذي يمد كيان يهود بكل سلاح، الثقيل وفوق الثقيل، في حرب وحشية على غزة تصيب البشر والشجر والحجر.. يقول ترامب ويفعل ذلك على سمع وبصر الحكام في بلاد المسلمين الذين طعنوا الأرض المباركة بالسكوت عن تحريرها، بل صفقوا لترامب على نقاطه العشرين!

* ثم ليست فلسطين وحدها هي من طعنها هؤلاء الحكام بل كذلك طعنوا البلاد التي حكموها لمصلحة الكـفار المستعمرين وبدافع منهم وخاصة أمريكا. فجنوب السودان فُصل عن شماله، وها هي دارفور على الطريق نفسه. وكذلك ليبيا، فصراعٌ وانقسام إلى دولتين.. واليمن، شمال وجنوب، بل الجنوب ينشق على نفسه!.. وسوريا الجديدة ترتمي في أحضان أمريكا، فتطلق سراح شبيحة نظام الطاغية السابق وأزلامه، وتبقي شباب حزب التحرير الداعين للخلافة في السجون ويحكمونهم حتى عشر سنوات.

ثم لم يكتف رويبضات الحكام بذلك بل استسلموا أو سلَّموا بقاعاً أخرى من أرض الإسلام، فكشمير ضمها المشركون الهندوس، وروسيا ضمت الشيشان وغيره من أرض المسلمين في آسيا الوسطى، وتيمور الشرقية نزعت من إندونيسيا، وقبرص قلعة المسلمين لسنوات طوال يتحكم اليوم في معظمها

اليونان، والمسلمون الروهينجا يذبحون في ميانمار، وإذا لجأوا إلى بنغلادش ضيق النظام عليهم، ولم ينصرهم بقتال عدوهم! ثم تركستان الشرقية التي تبطش بها الصين بوحشية تنأى عنها الوحوش، والدول القائمة في بلاد المسلمين صامتة صمت القبور، فإذا نطقت قالت عن بطش الصين بالمسلمين إنها مسألة داخلية! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

* أيها الجند في جيوش المسلمين: ألستم بقادرين على أن تتبعوا من سبقوكم من جند الإسلام، فتقيموا فرض الله القوي العزيز بتحرير فلسطين وغزة هاشم بالجهاد في سبيل الله، ذروة سنام الإسلام، ومن ثم تعيدون كل شبر من أرض المسلمين فصلوه عن أصله أو استولى عليه الكفار المستعمرون في شرق الأرض وغربها وتلاحقونهم إلى عقر دارهم؟ ألستم بقادرين؟ بلى إنكم بإذن الله لقادرون:

-فأنتم أبناء أمة الإسلام، أمة رسول الله ﷺ، أمة المهاجرين والأنصار، أمة الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم، أحفاد الرشيد الذي أجاب ملك الروم لنقض عهده مع المسلمين، والعدوان عليهم، (الجواب ما تراه دون ما تسمعه) وهكذا كان، أحفاد المعتصم الذي قاد جيشاً لجباً لإغاثة امرأة ظلمها رومي فقالت وا معتصماه، ثم إنكم أحفاد الناصر صلاح الدين قاهر الصليبيين ومحرر الأقصى من رجسهم في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ الموافق ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١١٨٧م.

- أنتم أحفاد محمد الفاتح الأمير الشاب الذي شرفه الله بمدح رسول الله ﷺ لفاتح القسطنطينية «**فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**»، فتم فتحها على يديه رحمه الله وأنعم عليه، وذلك في ٨٥٧هـ-١٤٥٣م، أحفاد الخليفة سليم الثالث، الذي في عهده دفعت الولايات المتحدة الأمريكية ضريبةً سنويةً لواليه في الجزائر مقدارها ٦٤٢ ألف دولار ذهباً بالإضافة إلى ١٢ ألف ليرة عثمانية ذهبية مقابل إطلاق أسراها الموجودين في الجزائر والسماح لها أن تمر في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط دون تعرُّض البحرية العثمانية لها، ولأول مرة تُجبَر أمريكا أن توقع معاهدةً بغير لغتها بل بلغة الدولة العثمانية في ٢١ صفر ١٢١٠هـ-١٧٩٥/٩/٥م..

- أحفاد الخليفة عبد الحميد الذي استدعى سفير فرنسا في إسطنبول وتعمد مقابلته باللباس العسكري، ثم هدده بوقف عرض المسرحية التي تفتري على رسول الله ﷺ قائلاً (أنا خليفة المسلمين، سأقلب الدنيا على رؤوسكم إذا لم توقفوا تلك المسرحية)، فاستجابت فرنسا ومنعت عرضها، وذلك سنة ١٣٠٧هـ-١٨٩٠م. أنتم أحفاد هذا الخليفة الذي لَم تُغْرِه الملايين الذهبية التي عرضها اليهود لخزينة الدولة، ولَم تُخِفْه الضغوط الدولية التي استقطبوها ضده

للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين وقال قولته المشهورة: (إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة)، وكان بعيد النظر حيث أضاف (..فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن) وهذا ما حدث!

- أيها المسلمون، أيتها الجيوش في بلاد المسلمين: إن الخلافة إذا عادت عدتم أعزاء كما كان أجدادكم، فتلك فعالهم تنطق بعزتهم وبرضوان من الله أكبر، أقاموا الخلافة وحافظوا عليها، فعزوا وسادوا ونالوا رضوان ربهم، وأنتم أحفادهم، فهلموا إلى الحق الذي اتبعوا فاتبعوه، وإلى العز الذي صنعوا فاصنعوه، أعيدوا الخلافة وحافظوا عليها، وها هو حزب التحرير بينكم فآزروه، فإنه يعمل ليل نهار لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة الراشدة، يتقدم الأمة ويقودها لهذا العمل العظيم، ويقض مضاجع الكفار المستعمرين بدعوته للخلافة، فكيف إذا أصبحت الخلافة قائمة فتزيل الحدود والسدود التي رسمها الكفار المستعمرون من أطراف المحيط الهادي حيث إندونيسيا وماليزيا إلى شواطئ الأطلسي حيث المغرب والأندلس؟! فيعود المسلمون كما كانوا أمة واحدة بدولة واحدة، الخلافة الراشدة التي تعز الإسلام والمسلمين، وتُذل الكفر والكافرين.

إنها ستعيد أرض الإسلام والمسلمين من أيدي الكفار المستعمرين وتلاحقهم إلى أعماق بلادهم وتضيء الدنيا من جديد، ويَحق الحقُّ يومئذ ويَزهق الباطل، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

- وقد يقال أوَتفعلُ الخلافة كلَّ هذا؟ أتصنع النصر وتدفع الهزيمة؟ وتحرر بلاد المسلمين من الكفار المستعمرين بل وتلاحقهم إلى عقر دارهم؟ ونقول نعم، يقول بهذا ربنا سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾، ونصرُ اللهِ الحقَّ لا يكون إلا بإقامة دولة الإسلام التي تقيم أحكامَه، فإذا أقيمت نصرها الله سبحانه، ورسختْ وعزّتْ، فاحترمها أصدقاؤها وهابها أعداؤها. ويقول بهذا رسول الله ﷺ: «**الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ**» فالخليفةُ والخلافة جُنة، أي وقاية، ومن كانت له وقاية، فهو بإذن الله منصور في النهاية، لا تضيع بلاده، ولا يقتربَ منه أعداؤه.

وينطق بهذا تاريخ الخلافة، فأين بيزنطة وصولجانها؟ وأين المدائن والأكاسرة؟ ثم من مدَّ الصوت بالتكبير في تلك البقاع الممتدة على طول الأرض وعرضها من المحيط إلى المحيط إلا دولة الإسلام وجند الإسلام وعدل الإسلام؟ ولو علمت الخلافة حينها أرضاً وراء المحيطين شرقاً وغرباً لخاضت عُبابَهما تدعو إلى الله القوي العزيز الحكيم.

- وقد يقال أيضاً إن حزب التحرير لا بضاعةَ له إلا الخلافة، حيث حلَّ أو ارتحل لا ينطق إلا

بالخلافة، لا يعرف غيرها، ولا إلْفَ له غيرُها. ونقول نعم إن الخلافة هي البضاعةُ والصناعة، هي العزُّ والمنعة، هي حافظةُ الدين والدنيا، هي الأصلُ والفصل، بها تقام الأحكام، وتحدُّ الحدود، وتفتح الفتوح وترفع الرؤوس بالحق. هي التي شَرَع المسلمون بها قبل أن يشرعوا بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه صلوات الله وسلامه عليه، على أهمية ذلك وعظمته، وكل ذلك لعظم الخلافة وأهميتِها حيث رأى كبارُ الصحابة أن الاشتغال بها أولى من ذلك الفرض الكبير: تجهيز دفن الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

أيها المسلمون، أيتها الجيوش في بلاد المسلمين: إن إقامة الخلافة هي قضية المسلمين المصيرية. وإننا مطمئنون بنصر الله، وبعزة الإسلام والمسلمين، وبعودة الخلافة الراشدة المجاهدة، والقضاء على كيان يهود المحتل لفلسطين، وفتح روما كما فتحت القسطنطينية وأصبحت دار إسلام «إسطنبول». نحن مطمئنون بذلك حتى وإن قال الكفار والمنافقون: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ فإن كل ذلك من نصرٍ للمسلمين هو في وعد الله سبحانه، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وبشرى رسوله ﷺ بعد هذا الملك الجبري الذي فيه نعيش، «**ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ**» مسند أحمد. فالخلافة لا بد عائدة بإذن الله، ولكنها تحتاج إلى عمل جاد مجدّ لقيامها، فإن سنة الله العزيز الحكيم اقتضت أن لا ينزل علينا ملائكة من السماء تقيم لنا خلافة، وتحقق لنا وعد الله القوي العزيز وبشرى رسوله ﷺ ونحن قعود دون حراك، بل ينزل لنا ملائكة تساعدنا ونحن نعمل بجد واجتهاد وصدق وإخلاص... ومن ثم يحقق الله لنا النصر، والفوز في الدارين، وذلك الفوز العظيم.

وإن حزب التحرير يعمل بجد لها، ويستبشر بقرب قيامها، فسارعوا أيها المسلمون، سارعوا يا أهل القوة، التحقوا بالدعوة والنصرة، وسارعوا إلى إقامة الخلافة مع الحزب، لا أن تشهدوها منه فحسب، فإن النصر بإذن الله قريب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.■

رجب الفرد لعام ١٤٤٧هـ

كانون الثاني/يناير ٢٠٢٦م

أخوكم المحب لكم

عطاء بن خليل أبو الرشتة

أمير حزب التحرير

الطاغية ترامب وربيبه كيان يهود يشنان هجوماً وحشياً على إيران

شنت أمريكا وكيان يهود هجوماً مشتركاً واسعاً على إيران اليوم السبت إذ دوت انفجارات في العاصمة طهران وعدد من المدن بينها قم وأصفهان وكرمانشاه وكرج.. (وأعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بدء هجوم على إيران وقال بدأنا قبل قليل عمليات قتالية واسعة النطاق في إيران.. وقالت القناة ١٢ الإسرائيلية إن «إسرائيل» ضربت عشرات من الأهداف التابعة للحكومة الإيرانية.. الجزيرة، ٢٠٢٦/٢/٢٨) وتوالت تصريحات ترامب في عنجهيته بأن أمريكا وجيشها هما الأشد والأكثر قوة في العالم وأنه لن يسمح لإيران بالسلاح النووي والصواريخ، وسار ربيبه نتنياهو في التصريحات على خطا سيده ترامب.. وأما إيران فقد (قال وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي إن بلاده ستستخدم قدراتها العسكرية للدفاع عن نفسها في إطار حقنا الأصيل في الدفاع المشروع.. الجزيرة، ٢٠٢٦/٢/٢٨) وقد أطلقت إيران صواريخ على كيان يهود وكذلك على قواعد أمريكية في الخليج.

وهكذا قامت طائرات كيان يهود والطائرات والأمريكية من البر والبحر والجو بهجوم هذا اليوم على قواعد عسكرية ومراكز حكومية في إيران تركزت معظمها على العاصمة وعلى مقرات حكومية وعلى مركز المرشد ورئيس الدولة.. وكانت تصريحاتهم الأولى بأن هذه الهجمات ستستمر مدة أربعة أيام وإلى عشرة أيام وقد تصبح هجمات مفتوحة إلى تحقيق نزع السلاح النووي والصاروخي لدى إيران.. (أشارت مصادر إسرائيلية إلى أن المرحلة الأولى من الهجمات قد تستمر أربعة أيام معتبرة أنها استكمال لحرب ١٢ يوماً التي شنت الصيف الماضي يوليو ٢٠٢٥.. فيما قال مصدر أمريكي إن الحملة العسكرية الأمريكية الحالية قد تستمر نحو ١٠ أيام وفق ما نقلت شبكة سي بي إس الأمريكية.. العربية ٢٠٢٦/٢/٢٨)

أيها المسلمون:

إن هذا الهجوم الوحشي ينفذ على إيران في الوقت الذي كانت فيه تدور في فلك أمريكا.. وقدمت لها خدمات في حربها على العراق وفي أفغانستان وكثير من أجزاء المنطقة، ولم تثر أمريكا معها مسألة الصواريخ والأسلحة النووية، بل وعقد أوباما اتفاقية ٢٠١٥ بمشاركة دول أوروبية في السماح لإيران بالتخصيب

النووي في حدود تخصيب ٣,٦٧٪، وبقيت إيران تسير في الفلك خلال تلك السنوات مثل تركيا.. وعندما جاء الطاغية ترامب أراد من إيران أن تكون دولة تابعة عميلة له تقول ما يقول وتفعل ما يريد، ودخل في البداية من باب المخادعة في تفاوض استمر في مسقط نحو خمس جولات ثم كانت هجمات ترامب ويهود المسماة هجمات الاثني عشر يوماً، وهذا ما حدث فعلاً، فقد أعلن ترامب (استهداف ٣ منشآت نووية إيرانية مؤكداً نجاح الضربة الأمريكية وأشار ترامب إلى استهداف مواقع فودرو ونطنز وأصفهان النووية داعياً إيران إلى صنع السلام وإنهاء الحرب، من جانبه أكد وزير الدفاع الأمريكي بيرت هيغسيست أن الضربة الأمريكية قضت على طموحات إيران النووية.. بي بي سي ٢٠٢٥/٦/٢٢)

ولم تنجح تلك الهجمات في جعل إيران تنتقل من دولة تدور في الفلك إلى دولة عميلة تابعة، بل كأن أصواتاً ظهرت وإن كانت قليلة تقول بالانفكاك حتى من الفلك.. فعادت أمريكا إلى مناورة المفاوضات من جديد مركزة على القضايا نفسها أي نزع سلاح إيران الصاروخي والنووي، وكما حدث في المرة الأولى بالهجوم بعد الجولات الخمس حدث الآن بالهجوم بعد جولات ثلاث!

أيها المسلمون:

إن الحكام في بلاد المسلمين لم يدركوا خطورة الولاء للكفار وأنه خزي في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ ولا يدركون أن الدول الكافرة يهمها في الدرجة الأولى مصالحها وتحمل في ليلها ونهارها العداوة للإسلام والمسلمين، فإذا أظهرت شيئاً من الرضا عن دولة ما تدور في فلكها أو حتى من عملائها فهي لا تريد خيراً لهم بل تبطن الشر وتعلنه، ولو كان هؤلاء الحكام، سواء أكانوا يدورون في فلكها أم كانوا عملاء لها، لو كانوا يدركون أن أمريكا لا تقيم لهم وزناً إذا اقتضت مصالحها زوالهم لاتعظوا من وقائع التاريخ، فكم من عميل أسقطته بعد أن استنفد دوره في خدمتهم.. ولو كان هؤلاء الحكام يعقلون للفظوا الكفار لفظ النواة ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون.. **لقد وصل بهم ولاؤهم للكفار المستعمرين إلى أنه يُعتدى على كل بلد منهم فلا يتحرك الآخرون لنجدته، بل أمثلهم طريقة من يعد القتلى والجرحى! كما هو حادث بالنسبة للهجوم على إيران.**

أيها المسلمون:

إن عزتكم هي عودة دولتكم الخلافة

الراشدة، وإن **حزب التحرير** الرائد الذي لا يكذب أهله قد نذر نفسه للعمل الجاد المخلص بإذن الله لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة، وهو بحق الرائدُ الذي لا يكذبُ أهلَه، وهو حزبٌ ينصع طيبُه، ويبتعد عنه كل من لا يطيقُ طيبَه... هكذا نحسبه ونحسب كل شبابه العاملين معه بأنهم جادون مجدون، عاملون مخلصون، يتطلعون بإذن الله إلى الآخرة فوق فوق ما يتطلعون إلى الدنيا، وهم يصلون ليلهم بنهارهم يرجون رحمة الله بأن يتحقق وعدُه سبحانه وبشرى رسوله ﷺ على أيديهم، وما ذلك على الله بعزيز.

هذا هو الذي ينقذ الأمة ويعيد لها عزتها ويقوي شوكتها ويجعل أعداءها يفكرون ألف مرة قبل أن يعتدوا عليها، هذا هو فقط بأن تعود خلافتها من جديد وتشرق الأرض بخيرها وعدلها، وكما قضت الخلافة على عنجهية القياصرة والأكاسرة فكذلك تقضي على عنجهية أتباعهم كالطاغية ترامب وأمثاله من الكفار المستعمرين.

أما كيان يهود فهو أهون من أن يؤخذ له وزن، فهو كما قال الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ وهو غير قادر على الثبات بذاته، فهو ليس أهل قتال إلا بحبل من الناس كما قال القوي العزيز: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾وقد قطعوا حبل الله وبقي لهم حبل الناس من أمريكا وأوروبا وعملائهم من خونة الحكام في بلاد المسلمين الذين لا يحركون ساكناً في وجه عدوان يهود الوحشي..

فالمشكلة هي في الدول القائمة في بلاد المسلمين هذه الأيام، فحكامها موالون للكفار المستعمرين أعداء الإسلام والمسلمين..

وهكذا فإن مصيبة المسلمين هي في حكامهم؛ وموالاتهم للكفار المستعمرين يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم بدل أن يكون ولاؤهم لله سبحانه، يقيمون أحكامه ويجاهدون في سبيله، ويقتدون برسوله صلوات الله وسلامه عليه، فيعز الإسلام والمسلمون ويذل الكفر والكافرون ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾.■

اجتثاث النظام عند التغيير

الأستاذ عصام الشيخ غانم

غض النظر عن المصطلحات الوردية فإن الحكم أو السلطان أو الدولة يقتضي بالدرجة الأساس امتلاك القوة الغالبة والقاهرة التي لا منافس لها لتنفيذ ما يريده السلطان، والحكم في أي أمةٍ يكون راسخاً عندما تكون الأمة حارسه الحقيقي، ويتناسب نقصان درجة رسوخ الحكم بقدر الزيادة في انحرافه عن أفكار الأمة وغاياتها، وفي بلادنا بعد ١٩٢٤ فإن السلطان والكتاب قد افترقا تماماً، أي إن الكتاب في واد والسلطان في وادٍ آخر، بل إنه معاكس تماماً ومعادٍ للكتاب، وهذا ما تحاول أنظمة الحكم إخفاءه، ولكن يصعب إخفاء الحقيقة التي تظهر في الكثير من مواسم الأحداث.

والحكم أو السلطان مهما كان نوعه فإنه يتمثل في نهاية المطاف بمجموعة من الناس الذين اجتمعوا على توجهٍ محددٍ، وميول سياسية محددة، وطريقة انتظم بها حشدهم حتى صاروا سلطاناً، أي قادةً وزعماء وذوي وزن وثقل، ولما صاروا كذلك فإن سلطانهم قد صار هو الطريقة التي ينتظم بها جمعهم وحشدهم وأخذ يزيد من تفرعاته لتعميق سيطرته على الأمة محاولاً جعلها سيطرة مطلقة، أي لا ينافسه في زعامتها وقيادتها أحد ولا ينغص على حكمه أحد، على أمل أن يقود الأمة في الاتجاه الذي خطه لنفسه واجتمع حشده عليه وأصبح جزءًا من تكوينه لا ينفك عنه.

وإذا قلنا إن المجتمع هو الناس وعلاقاتهم فإن السلطان الذي يقف على رأس هذه العلاقات يريد أن يوجِد الأفكار للناس فيصدقوها فتصبح الأمة أمة السلطان في الاعتقاد، ويريد أن يستحدث مشاعر ويزرعها في قلوب الأمة، مثل مشاعر الوطن والوطنية والقوم والقومية، لتميل حيث يميل السلطان طمعاً باستمرار هذا الحكم وأن تصير الأمة بنفسها تحرس هذا السلطان، بمعنى أن نظام الحكم وبقدر مستواه الفكري يحاول ما استطاع أن يجعل الأمة تعتقد ما يعتقد وتميل حيث يميل. وبما أن السلطان في بلادنا يفرض توجهاً علمانياً غربياً على الأمة فإن هذا التوجه العلماني المغلف بغلاف وطني أو قومي أو اشتراكي أو أي غلاف آخر يتعارض مع فكر الأمة وميولها، وبقدر وعي الأمة ووجود الحركات الواعية العاملة للتغيير تطفو على السطح درجة التناقض بين الأمة والسلطان، وفي حالة الأمة الإسلامية اليوم فإن الأمة ليست حارساً أبداً لهذا السلطان، بل تتربص له وتنتظر به يوماً أسود، وقد هبت شعوبها للتغيير خلال «الربيع العربي» وواجهها السلطان بالقوة

الغاشمة المدعومة من أسياده، فزاد بُعد الأمة عن السلطان الذي وجد نفسه غريباً لا يمثل أحداً إلا باللف والدوران والخداع والتزوير والبلطجة.

وإذ ندرك تفاصيل الاختلاف بين كل نظام ونظام في بلداننا والكيفية التي تَشكَّل بها نظام الحكم وظروف تشكيله المحلية والخيوط الدولية لهذا التشكل فإننا نكتفي هنا بإجمال وصف واحد لأنظمة الحكم تاركين التفاصيل لوقتها، ونقول: إن رجال هذا السلطان أو الحكم هم حشد من رجال الدولة الذين لا ينامون الليل من أجل الحفاظ على حكمهم، لِما لهم فيه من مصالح شتى، مثل متعة الزعامة والقيادة وإجبار كتلة كبيرة من الناس على اتباع توجهاتهم، ومثل متعة النجاح والتفوق في تنفيذ مهمة النطر والحراسة التي ائتمنهم الغرب عليها، مثل حرب الإسلام ومنعه من الحكم والحفاظ على نفوذ الغرب، ولا ننسى الجائزة الكبرى أو الأجرة التي يريد هؤلاء النواطير الاحتفاظ بها؛ وهي الغرق في الفساد المالي والسلطوي والتنعم بملذات هذه الحياة الفانية، وعندما يحصل التغيير المنشود فإن فئةً قويةً ممن يظن هذا السلطان أنها معه تكون قد انقلبت عليه فغيرت الأوضاع في لحظة، وعندما تنجح هذه الفئة في الأيام الأولى في تثبيت وضعٍ جديدٍ وتنجح في منع السلطان من تجميع قوى أخرى لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل أيام فإن السلطان يكون قد انهزم، وأخذ الإسلام يترسخ سلطانا جديدا، وتتمثل المهمة العاجلة للسلطان الجديد بالتخلص من السلطان القديم على الفور. ويخطئ من يظن بأن شل قدرات السلطان القديم عن الحركة هي مسألة آلية وتحصيل حاصل، بل هي مهمة معقدة للغاية، وإن لم يُقَم بها بالشكل الصحيح فإن تجميع بقايا السلطان المخلوع، أي الفلول، يظل ممكناً، وعليه لا بد من اتخاذ إجراءات فورية وعاجلة يكون أدناها وضع أزلام السلطان، أو النظام المخلوع، تحت رقابة صارمة كفيلة بإحباط أي حركة والقضاء عليها في مهدها، ولكن مَن أزلام النظام البائد الذين يجب اتخاذ مختلف الاجراءات للسيطرة التامة عليهم؟ وما فئاتهم؟

تقترح هذه المقالة تقسيم ما نراه من رجالات النظام إلى قسمين: الأول رجال النظام، والثاني أعوانهم. وتقترح فهم النظام السياسي على هيئة شجرة لها ساق غليظة وفروع مختلفة، بعضها قوي وبعضها الآخر ضعيف، وكذلك لها أغصان وجذور، وبناء على ذلك نبين أوصاف كل قسم وفئة من شجرة النظام ونبين درجة خطورتها، وكذلك العمل الواجب اتخاذه ضدها ونبين إطاره الزمني.

فأما الساق، فهم رجال النظام الذين يشكلون نواته الصلبة، وهؤلاء لا يستطيعون العيش إلا به، وإذا ما انهدم النظام رأيتهم يجتمعون ويتشاورون من أجل إيجاد سبل

لإعادته، بمعنى أن هؤلاء الرجال يمثلون العصبة الأكثر صلابة في الوسط السياسي للنظام، وهذه السلسلة من الرجال ومنذ حلقتها الأولى التي هلكت وورثتها الحلقة التالية ثابتة على علمانيتها وعدائها للإسلام تتوارث ذلك في الظلام جيلاً عن جيل، سواء اتصل بها الغرب أم لم يتصل، بمعنى أن هذه الفئة قادرة على العمل والمبادرة إلى تنظيم الصفوف بشكل ذاتي، فهذه المجموعة من الرجال الأقوياء هم النظام بنفسه، وهم موطئ قدم الغرب للنفوذ والتوسع فيه في بلادنا، وهؤلاء تختلف أعدادهم بحسب كل بلد، والتقدير أنهم بين المائة في البلدان الصغيرة كليبيا واليمن، حتى الألف في البلدان الكبيرة كمصر وباكستان، ويعرف هؤلاء بأنهم السند الأول الذين يستند إليهم باقي رجالات النظام وباقي وسطه السياسي، وهم المرجعية لكل فروع النظام، وهم من القوة والحنكة والثقل بحيث يتصرفون ذاتياً للدفاع عن النظام حتى بدون اتصال الغرب بهم، وهم يشكلون مركز القوة أو مراكز القوة في كل نظام، وهؤلاء يجب التعامل معهم بقسوة في الساعات الأولى للتغيير وأن تنتهي عملية التعامل مع غالبيتهم القصوى في الأيام الثلاثة الأولى للتغيير.

وأما فروع شجرة النظام، فهم أولئك الأشخاص الذي وضعهم رجال القسم الأول في مناصب للحفاظ على النظام، كقيادات أجهزة الأمن والوزراء والولاة أو المحافظين وما يشبه ذلك، والأصل في هؤلاء أن تنتهي وظائفهم وتنهار بانهيار النظام، بمعنى أنهم موظفون، ولكن لطول عملهم مع رجالات النظام وارتباط حياتهم ومصالحهم بالنظام فإن التصاقهم به جعلهم جزءًا أصيلاً منه، وهؤلاء يمكنهم أن يتحركوا ضد النظام الجديد بإشارة من أيٍّ من رجال النظام، أي رجالات القسم الأول «الساق»، على أمل إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها، وهؤلاء وإن كانوا لا يعملون ذاتياً بل بالإشارة من رجالات النظام الأقوياء، ولا يجرؤ رجال هذه الفئة على تخطيط عمل مناهض بمحض أنفسهم، بل هم تبع لأولئك، فإنّ هذا لا يقلل من خطرهم.

وإذا كان رجال هذه الفئة هم من يقدمهم رجال النظام للغرب ليعلمهم العلمانية وينظّمهم لنشرها والحفاظ عليها عبر وزاراتهم ودوائرهم فإن أشهر ما يمكن به معرفة الفرع القوي من رجال هذه الفئة من حيث ارتباطه بالنظام من الفرع الضعيف هو اتصال الغرب بهم، لكن وجب أن يكون دعاة التغيير واعين على كل المراكز التي يتصل بها الغرب في الحكومات القائمة، فهو يتصل حتماً بقيادات الجيش والأجهزة الأمنية، وليس الكلام مقصوراً على دوائر العاصمة، بل يتخطاها إلى المحافظات أو الولايات، ويتصل بوزارات غير أساسية مثل التربية والتعليم لنشر فكره العلماني ووضعه حاجزاً أمام الإسلام، بمعنى أن الفروع الضعيفة

التي يمكن إهمالها هي تلك التي لا يتصل بها الغرب، وهذا يكون بحسب كل بلد بعينه، مثل وزارة الأوقاف والزراعة والنقل والمواصلات وغيرها، وأما إذا كانت اتصالات الغرب بمثل هذه الفروع الضعيفة من باب الدعم الفني والمهني، فهذا أيضاً يمكن إهماله بسبب توسع نفوذ الغرب في بلادنا، أي وجب التمييز بين الغث الذي ظل موظفاً والسمين الذي جعله التصاقه بالنظام جزءًا منه.

وهؤلاء الرجال الذي يمثلون الفروع القوية للنظام، هم القيادات المركزية في العاصمة وحواشيهم، وكذلك قيادات المحافظات والمناطق وحواشيهم أيضاً، وهؤلاء يجب التعامل معهم فوراً أيضاً بدءًا برؤوسهم في الأسبوع الأول للتغيير، ثم من يليهم على أن لا يبدأ الشهر الثاني بعد التغيير إلا وقد تمت السيطرة عليهم سيطرةً قصوى، وهؤلاء قد لا يقلّون عن عشرة آلاف رجل في بلد مثل مصر أو السعودية أو العراق.

وأما أغصان شجرة النظام، وهم كثر كثر، كصغار الضباط والموظفين الأمنيين وباقي موظفي النظام البائد، وهؤلاء ليسوا ذوي أهمية، ويمكن ترك التعامل معهم لحين بروز أي خطر من أي منهم، وهؤلاء في العادة موظفون، بمعنى أنه لو دفعت لهم أي مؤسسة راتباً أعلى من راتبهم الحكومي السابق أو وفرت لهم ظروف عمل أفضل فإنهم يخرجون من جزئية النظام على الرغم من أن الأمة تراهم على رأس حربة النظام لمقاومة تحركاتها كصغار رجال الأمن والمدافعين عن النظام بحكم الوظيفة، وهؤلاء إجمالاً ليسوا خطرين ولا يمثلون السلطان، بل هم أعوان السلطان، وهؤلاء يجب مراقبتهم مراقبة حثيثة وطويلة المدى لمنع تجنيدهم من جديد. ويبقى هؤلاء الأعوان وكراً للتجسس على الأمة وسلطانها الجديد وأرخص بضاعة يمكن للغرب أن يشتريها في بلاد الإسلام، وبعضهم سيتغير مع ظهور عزة الأمة، وبعضهم الآخر سيبقى يحن للعيش في المزابل بعد أن ألف رائحتها واستساغها لسنوات.

بقي جزء واحد من أزلام السلطان والذي وصفناه بالجذور، وخطورة هذا الجزء أنه ينتشر في الأمة بشكل أفقي، أي يتواجد في كافة مدنها وأريافها، وقد لا يكون بعضهم موظفاً البتة في الدولة، بل له أعمال أخرى، ولكنه يدافع عن السلطان دفاعاً مستميتاً يعبّر عن قناعته به. وأما كيفية معرفتهم فتقترح هذه المقالة أنهم من يتطوع للدفاع عن النظام ويهب لنجدته بشكل طوعي، حتى لو لم يكلفه أحد ذلك، وذلك ليس لكونه متضرراً من انهيار السلطان فانهارت وظيفته ورزقه، بل لأن النظام يعبر عن قناعاته وتوجهاته، ويعرف الناس هذه الجذور وينظرون إلى أزلامها باعتبارهم آخر ممثلي النظام في المجتمع، بمعنى البُعد من مركز الثقل للنظام، والتقدير بأن هذه الفئة تمثل اثنين من ألف من الأمة، يزيدون قليلاً أو ينقصون

بحسب الموقع، وهؤلاء خطرون ومعادون للإسلام ولحكمه، لأن شخصياتهم بنيت على هيئة علمانية أو وطنية فتأصلت فيهم وتمكنت من نفوسهم، وإن صلوا وإن صاموا، ويرون الإسلام ديناً لا يحق له التدخّل في السياسة، وتعرفهم بما يظهرونه من شدة عداء للتيارات الإسلامية المختلفة، ويعتمد رجال النظام عليهم في التغلغل في الأمة، حتى لو لم يكن هؤلاء موظفين في الدولة أو حتى مستفيدين منها، أو حتى لو كانوا في موقع المعارضة للدولة، فكل نظام تتبعه معارضة من صنفه وجنسه، وهؤلاء إن هبت رياح معاكسة ستجدهم في مقدمة المتطوعين لإسقاط الإسلام من الحكم، لذلك وجب التعامل معهم، ووجب حصرهم في فترة لا تتعدى الشهور الثلاثة الأولى من بدء التغيير، ووضعهم تحت الرقابة الصارمة لوأد أي تحرك في مهده، فهذا أقل أنواع التعامل مع أفراد هذه الفئة، ولا يمكن لتطبيق الإسلام أن ينجح ويتغلغل في المجتمع إذا ظل لأفراد هذه الفئة وجاهة أو سطوة في المجتمع، لذلك وجب منعهم بتاتاً من ممارسة أي أعمال عامة لمدة يترسخ فيها الإسلام ويظهر فيها رجالاته، حتى في أصغر الأرياف البعيدة.

هذا ما تقترح هذه المقالة المبادرة إليه من أجل النجاح في اجتثاث سرطان السلطان التابع للغرب، أي زعاماته وقياداته ورجاله ذوي الثقل والوزن في الدولة والمجتمع، واجتثاث سرطان العلمانية فور بدء عملية التغيير، وألا تبقى هذه الفئات السود ناراً تحت الرماد يمكن أن تشتعل من جديد في وجه سلطان الإسلام الجديد.

والذي يجب أن يكون معلوماً وراسخاً أن رجال السلطان بفئاتهم الثلاث المذكورة هم الصخرة الجبرية التي تمنع دين الله من الظهور، وهم رواد الغرب في بلادنا، وهم مَن قبلوا أن يكونوا رأس الحربة التي تسهر حتى لا تكون كلمة «لا إله إلا الله» هي العليا. ولكي تبقى كلمة الله هي العليا فإن التعامل مع رأس الحربة يجب أن يكون فورياً مع ساقها، وسريعاً مع فروعها القوية، وغير متأخر في خلع جذورها، ومن السذاجة الاستدلال بفكرة «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، لأن السلطان الجبري القائم على قمع الأمة وفرض الكفر عليها والسهر لمنع الإسلام من الظهور لا يحقق مناط الاستدلال، فرجال السلطان هؤلاء بفئاتهم المذكورة ليسوا جزءًا من الأمة، وهم أعداء الإسلام، وهم من يقاتل مع الكفار في الخندق الأول ضد الإسلام، لذلك لا يجوز بحال أن يعاملوا بالحسنى وقد رأيتم حُسنى السيسي مع محمد مرسي في مصر، ورأيتم ورأيتم...، بل يجب أن تفرض عليهم أحكام خاصة صارمة، وأما كيف يكون هذا التعامل معهم فإن ما سترويه نشرات الأخبار عن أحداث حصلت أفضل مما ترويه الكلمات، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.■

مُعْضِلَةُ مدرسةِ «الإصلاح» وأزمتُها المُسْتَفْحِلَةُ في محاولتِها ترقيعَ الواقعِ العلمانيِّ الكافرِ بالإسلام!

الأستاذ مُناجي محمد

اتَّخذت حربُ الأفكارِ والعقولِ ضدَّ الفكرِ الإسلاميِّ والثقافةِ الإسلاميَّةِ منحًى خطيرًا مع نهايةِ القرنِ الماضي، لَمَّا أدرك الغربُ أنَّ المبدئيةَ الإسلاميَّةَ عصيَّةٌ على الكسر، وتَسارَعَت محاولاتُ تفكيكِ مفاهيمِ الإسلام سعيًا من الغرب لإعادةِ فرضِ نتائجه العلمانيَّة بوصفها نتائجَ إسلاميَّةً للتصدي للفكرِ الإسلاميِّ الذي استعاد حيويتَه وفاعليتَه.

وكان من أخطرِ أدواتِ التفكيكِ المُبْتَكَر ما اصطلح عليه فلسفيًّا وعلمانيًّا: «أسلمةُ المعرفة» وتجديدُ الفكر الإسلامي، ومعها زُرِع لغم معرفيّ وغُرِست معضلة فكرية وثقافية في حقلِ المعرفةِ الإسلاميَّة وساحةِ الصراعِ الفكريِّ مع الإسلام؛ أنتجت معها عقولًا من أبناءِ الإسلام مشوَّهةً بمفعولِها، وحركةً فكريةً ومدرسةً قائمةً على أساسِ فلسفتها، وعملًا سياسيًّا بحسب نتائجها سُمِّي إصلاحيًّا.

والحقيقةُ العاريةُ المُرَّةُ أنّنا أصبحنا أمام تيارٍ فكريٍّ وثقافيٍّ وحركةٍ سياسيَّةٍ تسعى لإصلاحِ الكفرِ العلمانيِّ بأدواتِ الفكرِ العلمانيِّ ومن داخلِ المنظومةِ العلمانيَّة؛ اجتمعت بها وعليها الأثافي الثلاث: إصلاحُ ما استحال إصلاحُه، والإبقاءُ على ما وجب تغييره، والتفكيرُ بقواعدِ الكفرِ العلمانيِّ ومن داخلِ القفصِ العلمانيِّ؛ لإعادةِ إنتاجِ الكفرِ العلماني منظومةً وأنظمةً وفكرًا وتفكيرًا. وها هي دوَّامةُ هذا التيارِ الفكريِّ والحركةِ السياسيَّةِ قائمةٌ مستمرَّةٌ تُوظَّف المرَّةَ تلو الأخرى لإعادةِ تدويرِ المنظومةِ العلمانيَّة المفلسة الفاشلة باسم الإصلاح.

هذه دراسةٌ في نهجِ ما اصطلح عليه «أسلمةُ المعرفة» وتجديدُ الفكر الإسلامي، وما تمخَّض عنها من حركاتٍ إصلاحيةٍ قائمةٍ على أساسها، وتسليطُ الضوءِ على نماذجَ من هذه المدرسةِ المعرفيَّةِ المأزومة.

- في المنهجِ والنهجِ أوّلًا:

بدأت ونمت فكرةُ الإصلاح في البلادِ الإسلاميَّة أداةً من أدواتِ الغزوِ الثقافيِّ العلمانيِّ الغربي؛ بذرتها استشراقيَّةٌ غربيَّةٌ اعتمدت ضربَ أسسِ الحياةِ الإسلاميَّة وتشويهَ أحكامِ الشرعِ الحنيف، وغرسَ بذرةِ الفكرِ العلمانيِّ والتمهيدَ للدعوةِ للأخذِ بالثقافةِ العلمانيَّة وحضارتها الغربيَّة باسم الإصلاح. ومن أساليبِ هذا الغزوِ المقنَّع بالإصلاح: احتضانُ مدرسةِ الاستشراقِ الغربيَّة لثلةٍ من رجالاتِ المسلمين والنصارى ليكونوا طلائعَ الهدمِ للحياةِ الإسلاميَّة، والتشويشِ على الفكرِ والثقافةِ الإسلاميَّة، والترويجِ لشبهاتِ

المستشرقين التي تطعن في الإسلام، وتُزَيِّنُ سمومَ الفكرِ العلمانيِّ الغربي.

وكان النبتُ الخبيثُ الأوّل لبذرةِ الاستشراقِ وغزوِ العلمانيَّة لديارِ وعقولِ المسلمين: منهم الأزهريُّ رفاعةُ الطهطاوي، والأفغانيُّ وتلميذُه محمد عبده، ورشيد رضا؛ وكان كلُّ جهدِهم الفكريِّ والسياسيِّ منصبًّا على علمنةِ حياةِ المسلمين عبر ما سُمِّي إصلاحَ أوضاعِ المسلمين المتردية من خلال الاستفادةِ من المنظومةِ الفكريَّة والسياسيَّة العلمانيَّة الغربيَّة وحضارتها ومدنيَّتها.

ومع الفشلِ المأساويِّ والإفلاسِ الحضاريِّ المُدَمِّرِ للمنظومةِ العلمانيَّة في ديارِها وفي ديارِ المسلمين بالخصوص، وهبوبِ رياحِ التغيير على أساسِ الإسلام والاهتداءِ لمشروعِه فكرةً وطريقةً مع وجودِ الثلةِ الواعيةِ المخلصةِ التي تحمل مشروعَ الإسلام الصافيَ النقيّ؛ انتقل الوضعُ من حالةِ غزوٍ ثقافيٍّ ناعمٍ وسيلتُه وأداتُه الأنظمةُ الوظيفية للاستعمار، إلى حربٍ حضاريةٍ طاحنة، وحربِ أفكارٍ وعقولٍ شرسةٍ قاسيةٍ تواجه عنفوانَ الفكر الإسلامي واستعلاءَه بأساليبَ خبيثةٍ ماكرة؛ أبقت على عنوان «الإصلاح» مع مضامينَ أكثرَ خفاءً وسُمِّيَّةً وتدميرًا وتخريبًا.

فمع الفشلِ الثقافيِّ العلمانيِّ والإفلاسِ الحضاريِّ الغربي أمام استعادةِ الفكرِ الإسلامي لغلبته وقهره، اتخذ الغربُ من التحريفِ والتزييفِ والتلفيقِ أداةً في حربِ الأفكارِ والعقول عوضَ الطعنِ المباشر في الإسلام؛ بمعنى تحريفِ المفاهيمِ الإسلاميَّة وإعادةِ صياغتِها بما يتوافق مع علمانيَّةِ الغرب، وصبغِ المفاهيمِ العلمانيَّة بقشرةٍ إسلاميَّة تزييفًا وتلفيقًا لاستساغتها من جديد.

وابتكر الغربُ أسلوبًا جديدًا في غزوه الثقافيِّ العلماني وأداةً مبتكرةً في حربِه الحضارية الثقافية، وهو ما اصطلح عليه «أسلمةُ المعرفة» وتجديدُ الفكر الإسلامي؛ شعاراتٌ برّاقة لتحطيمِ الحواجزِ النفسيةِ لتمريرِ المفاهيمِ العلمانيَّة السامة. فقد ظهر المصطلحُ لأول مرة في الساحة الفكرية في ثمانيناتِ القرن الماضي، ثم تطور بعدها إلى تيارٍ فكريٍّ ومدرسةٍ إصلاحيةٍ جديدةٍ وموجةٍ ثانيةٍ للإصلاح (العلماني).

والمعنى: منهجٌ ونهجٌ آخر في الإصلاح (الغزو الثقافي العلماني) عبر أسلمةِ العلمانية؛ في تلفيقٍ معرفيٍّ فاضح، في ادعاءٍ زائفٍ أن مفاهيمَ الفكرِ العلمانيِّ الغربي تجد جذورها المعرفيَّة في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية. وهي في الحقيقة عمليةُ خداعٍ وتضليلٍ فكري لأبناء الإسلام في إعادةِ غزوهم ثقافيًّا بالعلمانية الغربية، والترويجِ للأمر على أنه اجتهادٌ وتجديدٌ وتوليدٌ لفكرٍ إسلاميٍّ معاصر يلامس قضايا العصر وإشكالاته المستجدة وأزماته الراهنة.

في تفكيكِ الفكرة أولًا:

فمشروعُ أسلمةِ المعرفة ضمنيًّا يفترض وجودَ معرفةٍ لأسلمتها؛ فالحديثُ حتمًا ليس

عن معرفةٍ إسلامية، فحينها يصبح الحديثُ عن الأسلمة عبثًا. فحتما الحديثُ عن معرفةٍ من خارجِ الدائرةِ المعرفية للإسلام. ولما كانت فكرةُ المنظومةِ العلمانيَّة الغربية وثقافتُها هي المهيمنةَ والمسيطرةَ على حياتِنا، كانت المعرفةُ المعنيَّةُ بالأسلمة هي العلمانيَّة الغربيَّة تحديدًا. والأسلمةُ هنا: مشروعٌ الغرب ومُخطَّطه في إعادةِ تأهيلِ منتجِه العلماني المفلس الفاشل وتدويرِه. وأسلمةُ المعرفة تعني تحديدًا وحصرًا الحفاظَ على الجوهرِ الثقافيِّ العلمانيِّ مع قشرةٍ اصطلاحيَّةٍ إسلامية لا تُحدث أيَّ أثرٍ في المضمونِ والمحتوى.

ويشهد أحدُ المنخرطين في مشروعِ أسلمةِ المعرفة -وهو طه جابر العلواني رئيسُ المعهدِ العالميِّ للفكرِ الإسلامي بواشنطن، ورئيسُ المجلسِ الفقهي لأمريكا الشمالية- في دراسةٍ له بعنوان: «إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات« على المنهجِ والنهجِ في أسلمةِ المعرفة، ويقف على حقيقةِ المشروع من أن غايتَه إعادةُ نفخِ الروحِ في مفاهيمِ الفلسفةِ والفكرِ العلمانيِّ الغربيِّ المُتَهَالِك عبر شحنه بمعارف من الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، والهدفُ إعادةُ تأهيلِه وتسويقُه في الساحةِ الفكريَّة والثقافيَّة الإسلامية، ابتكارًا وإنشاءً وتجديدًا للفكر الإسلامي، للخروج من حالةِ الانحطاط، وإصلاحًا للأوضاع المتردية، فيقول:

«لذا كانت القضيةُ التي اضطلع المعهدُ العالميُّ للفكرِ الإسلامي بتحمل مسؤوليتها والتبشير بها هي قضيةُ إصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة، وهي من القضايا التي تطرح نفسها بقوة اليوم، وتعتبر في نظر المعهد من أهم قواعد المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر المتكامل، المقترح بديلاً عن المشروع الحضاري الغربي الذي أصاب أمتنا عنت شديد من سائر وجوه التعامل معه، بسبب مجافاته لعقيدة الأمة وتجاهله لمعادلتها النفسية والاجتماعية، وإهماله للشخصية الحضارية التاريخية لها».

ثم يفصح المشروعُ عن وجهِه الغربيِّ العلمانيِّ القبيح حتى وهو يتدثر بشتى ألحفةِ الأسلمة؛ إذ يقول صاحبُ معهدِ فكرِ واشنطن الإسلامي، طه جابر العلواني: «ويرى هذا المشروع أن المنطلق لكل إصلاح ونهوض إسلامي إنما يبدأ من إصلاح مناهج الفكر لدى المسلمين، وبناء النسق الثقافي الإسلامي (أي إصلاح عالم الفكر وتنقيته) لتحقيق الأصالة الإسلامية، وتصويب الرؤية الحضارية، وبناء العقل القادر على استلهام الأصالة، وهضم الحداثة وتَمَثُّلِها -معًا- في مشروع حضاري إسلامي معاصر متكامل، متحرر من أزمة الفكر وأوهامه، وخطأ المنهج وانحرافاته.. خاصة وأن قضية إصلاح مناهج الفكر الإسلامي، وإسلامية المعرفة، لم تحظ بالاهتمام المطلوب، ولم تبلغ الأبعاد المؤثرة في حياة المسلمين، رغم أهميتها وخطورتها، وإن لم تخل الساحة باستمرار من محاولات، لكنها لم

تتجاوز الجهود الفردية«.

فمختصرُ القضيةِ الإصلاحيَّة في أسلمةِ المعرفة وتجديدِ الفكرِ الإسلامي وهدفُها هو هضمِ العلمانيةِ الغربيَّة (الحداثة) التي قاءها أبناءُ الإسلام ولفظوها، مع خلطها بنكهةٍ إسلامية لاستساغتها من جديد عبر ما سماه صاحبُ معهدِ الفكر الإسلامي بواشنطن: «استلهام الأصالة وهضم الحداثة وتمثلهما معًا«.

ومع حربِ الأفكارِ والعقول التي أعلنها الغربُ أواخرَ القرنِ الماضي، ابتكر الغربُ أساليبَ وآلياتٍ جديدةً للتضليلِ الفكري، اعتمد فيها فكرةَ نقدِ العلمانية من داخلها وبقواعدها لإعادةِ ترميمِ بنيانِها المُتَهَالِك، واستنساخِ مدارسَ في بلادِ المسلمين على أساس هذه الفكرة.

وهكذا أُبرِزَ الإصلاحيون أصحاب مدرسةِ أسلمةِ المعرفة وتجديدِ الفكر الإسلامي بوصفهم ناقدين للفكرِ العلمانيِّ الغربي؛ فكان نقدُهم ليس نقضًا للعلمانية ولا قطيعةً معها، بل هو في الحقيقة استمرارٌ وتقليدٌ لتيارٍ ظهر في الفلسفةِ والفكرِ العلمانيِّ الغربي ينتقد العلمانية ومن داخلِ العلمانية، في محاولةٍ لتداركِ أعطابِها وأزماتِها بعد جنوحِها المعرفيِّ الحادِّ والشاذِّ وانتهائها إلى عدميتها المطلقة والفارغة من القيم والأخلاق.

لقد كان التأسيسُ الأوّل في نقدِ العلمانية غربيًّا خالصًا عبر مدرسةِ فرانكفورت؛ وهي تيارٌ فلسفيٌّ ثقافيٌّ علمانيٌّ غربي تأسس في ألمانيا في أوائلِ القرنِ العشرين، بعد صدمةِ الحربِ العالمية الأولى والفشلِ الذريعِ للعلمانية الغربية في حل المسألة الإنسانية، الذي تمثل في انحدارِ الغرب السحيق لوحشيةٍ فاقت وحشيةَ الوحوش إبان همجية حربه الكبرى. ونما هذا التيار تحديدًا في معهدِ البحوثِ الاجتماعية في جامعةِ فرانكفورت عام ١٩٢٣، وتناسلت النظرياتُ النقدية للحداثة العلمانية ونتائجها المدمرة في كلٍّ من بريطانيا وأمريكا.

ومدرسةُ فرانكفورت لم تهدف لإلغاءِ العلمانية، لكن انتقدتها بشدة من داخلها وبأدواتها، مع إشادتها بقيمتها الفلسفية والعقلية؛ ولكنها عابت عليها العقلَ الماديَّ الآليَّ الجافَّ الذي انتهى إليه العقلُ العلماني حين تجرد كليًّا من القيم الإنسانية والخلقية. وكان هدفُ النقد محاولةَ معالجةِ القصور والفشل العلماني وإفلاسِ العلوم المادية والتقنية في حل المعضلة والعقدة الإنسانية، عبر ضخٍّ بعضٍ من القيم الإنسانية والخُلقية في المنظومة العلمانية لبعث الروح في جيفتها، لتجاوز قصورها وفشلها وإفلاسها الثقافي والحضاري.

وهذه الأدواتُ العلمانية وظّفتها مراكزُ الفكرِ العلمانيِّ الغربي لإعادةِ تأهيلِ المشروعِ العلماني بعد فشله الثقافي والحضاري والسياسي في البلاد الإسلامية، وتسويقِ المشروع عبر مناهج التعليم ومواد وأطروحات وبحوث الجامعات؛ ففرخ معها تيارٌ يتصدر المشهد في

زعم إصلاح أعطاب العقل المسلم لانتشاله من حالة الانحطاط والركود والكسل الفكري والتقليد الغبي إلى حالة النهضة والارتقاء الفكري والتوليد والإنشاء، معتمدًا على نفس الأدوات العلمانية، ولتحقيق نفس الهدف في تهذيب وتخليق الفكر العلماني الغربي، وتحديدًا السياسي منه، وتطعيمه بقيمٍ روحيةٍ وخُلقية. فهو استنساخٌ لمدرسةِ فرانكفورت ولكن في بيئةٍ إسلامية، استوجبت هذه البيئة أن تكون تلك القيم الروحية والأخلاقية من إسلامِ هذه البيئة، بمعنى أنها منظومةٌ ونظامٌ علمانيٌّ، ولكن رئيسه، كأردوغان، يصلي ويتلو القرآن بصوتٍ شجيٍّ، ولا يزني ولا يعاقر الخمر ولا يتفحش، ولكنه يحكم بكل قوانين العلمانية الكافرة شعبًا مسلمًا؛ فيقر ويقنن الربا والقمار وملكية الشركات الرأسمالية لثروات المسلمين، ويقنن الزنى والشذوذ والتفحش والاختلاط والسفور والعري والفن الساقط، ويشارك جيشه في حروب أمريكا الصليبية الاستعمارية، وينخرط في مجلس أمن الغرب وهيئة أمم الغرب، ولا ينصر مسلمي غزة المقهورين وإخوانهم في بورما وتركستان الشرقية امتثالًا للنظام الدولي الغربي...

فهذا التيار (الإصلاحي) ينتقد العلمانية، وبشدةٍ في حالاتٍ عدة، ولكن ليس لنقضها ونسفها والقطيعة معها، بل لأسلمتها بحسب زعمه، وبحسب تلقينها عبر مناهج التعليم العلمانية السامة في بلاد المسلمين. فهذا التيار لا يؤسس لشيء غير علماني، وحتما لا يؤسس لشيء إسلامي؛ بل هي علمانيةٌ متلفعة بخمارٍ إسلامي، وما كان الخمار إلا تعميةً عن حقيقة جوهرها العلماني الكافر.

- في الحالةِ والنموذجِ ثانيًا:

فالنماذجُ الشخصيةُ الإصلاحية بحسب هذه الفلسفة، وانخراطًا منها في مشروعِ «أسلمة المعرفة» وتجديد الفكر الإسلامي بآليات العلمانية، سواء عن حسنِ نيةٍ منها— وهي الفئة التي تعاني من حدةِ التشوهِ الثقافي والفكري عبر تركيزِ شحنها بمفاهيمِ فلسفةِ «أسلمة المعرفة» عبر تثقيفها المركز في هذا الباب وأبواب الثقافة الغربية العلمانية، بل وحتى ما يسمى بالدراسات الإسلامية المشحونة بسموم الثقافة العلمانية الغربية—أو كان من الفصيل الخبيث المنغمس في مشروع الغرب وحربه الحضارية ضد الإسلام وأمته عن رخص عمالة؛ تبقى النتيجةُ والحصيلةُ واحدة: أن الطرفين سلاحٌ من أسلحة الغرب في حرب الأفكار والعقول في إعادته علمنة أبناء الإسلام عبر تجويف إسلامهم وإيمانهم، وشحنهم بمفاهيم علمانية سامة.

وهذه النماذج تنظر للإسلام بمنظار الفكر العلماني الغربي وقواعد فلسفته؛ فنظرتُها للإسلام نظرةٌ فلسفيةٌ علمانية، وليست نظرةً أصوليةً فقهيةً شرعية. فرؤيتُهم في أسلمة

المعرفة وتجديد الفكر الإسلامي تستبطن هزيمةً فكريةً ودونيةً ثقافيةً تلجئهم لتسولِ معرفةٍ إسلامية عبر أسلمة معرفةٍ أقلُّ ما يقال فيها إنها غير إسلامية؛ فكيف بها وهي علمانيةٌ كافرةٌ مناقضةٌ للإسلام! ثم أخزى من ذلك استبطانُهم لاتهامٍ شنيع في قصور الإسلام عن معالجة قضايا العصر، واتهامُهم المستبطنُ الباطلُ أن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية باتا متجاوَزَيْن فكريًّا وثقافيًّا. فقصورُهم المعرفيُّ رمَوا به الإسلامَ وفكره وثقافته؛ علمًا أنهم لو فهموا معنى الانحطاط لأدركوا أن المشكلة في عقولهم التي لم ترقَ فكريًّا إلى مستوى الإسلام وفكره وثقافته لتتشكل عقولها بحسب قواعده وأصوله ومقاييسه، بعد أن تكون قد تطهرت من رجس العلمانية فلسفةً وفكرًا وثقافةً. وحينها تنضج تلك العقول ليكون ينعُ ثمرِها جهابذةً من الأصوليين وفطاحلةً من الفقهاء المجتهدين، ليستنبطوا من نبع الوحي الطاهر فقهًا يعالج كل قضايا الحياة، ليُخرجوا الأمة والبشرية جمعاء من ظلمات أزمات العلمانية الغربية الساحقة الماحقة.

وليس كما هو حالُ انسحاقِكم الفكري اليوم واجترارِكم لنظريات العلمانية المفلسة الفاشلة، وتفلسفِكم في فلسفة الهزيمة. فالعقلُ العلماني وعقلانيتُه فشلت فشلًا مروِّعًا في حل العقدة والمعضلة الإنسانية؛ فكفى اجترارًا لعقلانيتها السقيمة العقيمة. لقد تكشف جليًّا إصابتُكم بفيروس العقلانية العلمانية؛ فالحكمُ والحاكمُ الأعلى عندكم هو العقل، واتخاذُكم من الإسلام قوالبَ فكريةً مُعلَّبةً منسجمةً مع ذلك العقل، وتأويلُ مفاهيم الإسلام بحسب ذلك العقل؛ فيُنتج ذلك العقل المريض أصولَه العقلية وفقهَه العقلي وتفسيرَه العقلي ولغتَه العقلية (أسلمة المعرفة، وتجديد الفكر الإسلامي، واعتماد مقاصد الشريعة مصدرًا تشريعيًا، والاجتهاد الجماعي، والقراءة المعاصرة للغة والنص، وفقه الواقع، وفقه الموازنات والمآلات، ...).

فهذه النماذج اتخذت من الأساس الأول للعلمانية: العقل (العقلانية) أساسًا لها ومصدرًا لمعارفها، حتى وإن زعمت التجرد من الحداثة والعلمانية ونقدها لها؛ ولكنها منفعلةٌ ومتفاعلةٌ مع قواعدها الفكرية في جعل العقل أساسًا في التوليد المعرفي، حتى ولو استبطنت أن القرآن هو المرجع الأعلى وكتاب الهداية والرشاد. ولكنها عقلًا تؤسس لرؤيةٍ خاصة مرجعُها الأعلى حقيقةً عقلُها المريض؛ فهي لا تستنبط قواعدَ أصوليةً شرعيةً ناظمةً ومتحكمةً في عقلياتها، ولا تستنبط أحكامًا شرعيةً كفقهٍ للحياة وقضاياها؛ بل هي تنطلق من مسلَّمةٍ علمانيةٍ استشراقيةٍ سامة أن الفكر الإسلامي يعاني أعطابًا حادة وبات متجاوَزًا في مواكبة العصر، ولا بد من دمج رؤى فلسفيةٍ وثقافيةٍ من خارجه لمعالجة قصوره المعرفي الموهوم والمزعوم علمانيًّا. ثم تأتي برؤى فلسفيةٍ وفكريةٍ

وثقافيةٍ من المنظومة الثقافية العلمانية الغربية من حيث هي إنتاجٌ عقلي خاص بها؛ بمعنى أن التوليد—إن كان—فهو عقليٌّ علماني، والإسلامُ لإضفاء النكهة الروحانية الخُلقية على المنتج العلماني.

فهذه المرجعيةُ العقلية ترى في القرآن مصدرًا من مصادر معارفها وإن كان الأعلى، ولكن بجانبه مصادرُ علمانيةٌ، منها العلومُ الإنسانية العلمانية (علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية...)، والتي تَعدُّها في الحقيقة المصدرَ العمليَّ لأنظمةِ الحياة (الدستور والقوانين، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، واقتصاد السوق، والقانون الدولي...)، والقرآن وظيفتُه إعطاؤها المسحة الروحانية الخلقية.

فالإصلاحُ بحسب هذه المدرسة السقيمة العقيمة هو في تهذيب أخلاق المسلم وإعلاء قيمه الروحية عبر عباداته الفردية، طلبًا لتهذيب الحياة العلمانية وتأديبها، بينما يحياها ويتحاكم إلى أنظمتها وتتحكم هي في طريقة تفكيره ومشاعره وميوله.

فهؤلاء الإصلاحيون لا يرون في العلمانية كفرًا، ولا في عقيدة فصل الإسلام عن الحياة والسياسة كفرًا، ولا في ديمقراطيتها كفرًا، ولا في حقوق إنسانها كفرًا، ولا في حرياتها كفرًا، ولا في اقتصاد سوقها كفرًا، ولا في استعمارها كفرًا... بل يرونها اجتهادًا فكريًّا إنسانيًّا، وثقافةً إنسانيةً، وحضارةً إنسانيةً؛ تجوز لهم كما تجوز لغيرهم، بها بعض الأعطاب كأي اجتهادٍ بشري. فهُم في سقيم فهمهم يَعُدّون العلمانية عمليًّا بابًا من أبواب الصناعة والعلوم، حتى ولو صرحوا نظريًّا بأنها من الثقافة؛ فهم لا يفقهون أن الثقافةَ دين. فبذرةُ عقيدةِ كفرِها في إقصاءِ الإسلام عن الحياة هم في عمًى فكري وثقافي تامٍّ عنها.

فمُتصدّرو مشروع «أسلمة المعرفة»، من أمثال إسماعيل راجي الفاروقي (أمريكا) من المنظرين الأوائل في ثمانينات القرن الماضي لأسلمة المعرفة وتجديد الفكر الإسلامي، (درس الفلسفة في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم في جامعة إنديانا بالولايات المتحدة، وحصل على الدكتوراه قسم الفلسفة من جامعة هارفارد)، والمنظر الآخر وهو سيد محمد نقيب العطاس بماليزيا (درس في جامعة ماكغيل في كندا، وهي من أبرز الجامعات الغربية في دراسات الأديان، ثم نال الدكتوراه من جامعة لندن في الفلسفة والفكر الإسلامي)، وكذلك طه عبد الرحمن (بالمغرب)، ومحمد عمارة (بمصر)، وطه جابر العلواني (بأمريكا)؛ ما يجمعهم أنهم يشتركون في نفس الرؤية (العلمانية): أن الدين قاصرٌ عن حل إشكالات الحياة، حتى ولو ادعوا علويته النظرية. وبناءً عليها لا بد من المعارف العلمانية المتعلقة بقضايا المجتمع وأنظمة الحياة (العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية العلمانية) بعد تهذيبها عبر تطعيمها بقيم روحية وخلقية إسلامية باسم مشروع أسلمة المعرفة وتجديد

الفكر الإسلامي لطرق باب النهضة والخروج من أزمة الانحطاط.

فهي محاولةٌ بائسةٌ يائسةٌ للدمج بين منظومتين ثقافيتين متناقضتين: جَذرُ الأولى المعرفيُّ وحيٌ رباني، والأخرى جَذرُها وضعيٌّ بشري مناهضٌ ومعادٍ للوحي. فهي محاولةُ تلفيقٍ ثقافيٍّ يتعسف ويتكلف أصحابُها الجمعَ بين المتناقضات: بعضٌ من القيم الروحية والخُلقية الإسلامية عبر مزجها بأنظمةٍ ماديةٍ علمانيةٍ فلسفتُها العلمانية تكفر بشدة بإسلام تلك القيم.

ومن تلامذةِ تلك المدرسة اليوم: نايف بن نهار من قطر، ويكاد يكون تلميذًا نجيبًا ونسخةً للمنظر والمعلم الأول إسماعيل راجي الفاروقي والمنظر الآخر سيد محمد نقيب العطاس، ويقول بكثيرٍ من أفكارهما في أسلمة المعارف الغربية وتحديدًا «العلوم الاجتماعية». يقول في كتابه: التوطين التفاعلي في العلوم الاجتماعية:» ضرورة توطين العلوم الاجتماعية لتناسب السياقات الثقافية والاجتماعية المحلية، بدلاً من تقليد النماذج الغربية بشكل أعمى». والتوطينُ هنا ثقافيًّا بمعنى جعلها جزءًا من المنظومة الثقافية السياسية لأبناء الإسلام، كمادةٍ من مواد تعليمهم وتثقيفهم، ومصدرًا لأنظمة حياتهم.

أما عن الديمقراطية فيرى أن «الديمقراطية الغربية» التي تروج لحقوق الإنسان والحريات الفردية قد تجاهلت «الحقوق الجماعية» و«العدالة الاجتماعية»، ما أدى إلى «تفاوتات اجتماعية» و«انقسامات مجتمعية». لذلك فهو يرى ضرورةَ «تطوير نموذج ديمقراطي إسلامي» يأخذ بعين الاعتبار «العدالة الاجتماعية» و«المساواة» و«المسؤولية الجماعية». فهو لا يعيب على الديمقراطية كفرَ فلسفتها، بل على عكس ذلك يرى فيها نظامَ حكمٍ لحياتنا يجب تفعيلُ بعض الجوانب المهملة فيها تهذيبًا للديمقراطية بأدوات الفكر العلماني، وبعدها تُسوَّق من جديد باسم الديمقراطية الإسلامية التي أعيد قولبة شكلها عبر ماكينة أسلمة المعرفة ومعمل تجديد الفكر الإسلامي!

هذه بعضٌ من نماذج مدرسة أسلمة المعرفة وتجديد الفكر الإسلامي والإصلاح بناءً عليهما؛ وهي نماذجُ أنتجتها المدرسةُ العلمانية التي استوطنت في ديار المسلمين بعد استعمارها، وتصميمِ مناهج التعليم طبقًا للفلسفة العلمانية في فصل الإسلام عن الحياة. وتشكلت هذه العقلياتُ والنماذج الفكرية لتكون جزءًا من المشروع العلماني الغربي، وليس ضدًّا له؛ ولم تكن المدرسةُ العلمانية لتنشئ عقلياتٍ إسلاميةً نقيضًا لها تسعى في هدم ونسف فلسفتها ونمط حياتها وطريقة عيشها!

ومن السفه الفكري والطيش الثقافي المغلف بإحسان الظن: النظرُ إلى حديد الفكر بعين العاطفة، والنظرُ لهذه النماذج كأحجارٍ

في عملية البناء الإسلامي؛ بل هي معاولُ هدم، ولا قيمة لطيبتهم أو خبثهم، كما لا عذر لهم في جهلهم، ولا عذر لنا في إحسان الظن بهم وتصديقهم. فالقضيةُ هي قضيةُ إسلامٍ خالصٍ وإيمانٍ تامٍّ لا يقبل بمثقال ذرةٍ من كفر. فالمسألة يقينًا في فزع الزلزلة:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

ختامًا:

لا بد لأبناء الإسلام من صدماتٍ فكريةٍ وصاعقةٍ ثقافيةٍ لإيقاظ ما خمل من فكرهم، وتنبيههم لإسلامهم ومنطقة إيمانهم الحيوية. فخطورةُ مشروع مدرسة أسلمة المعرفة وتجديد الفكر الإسلامي والإصلاح السائر بحسب منهجها وعلى نهجها أنها بحق عمليةُ علمنةٍ شديدةُ الخفاء والتركيب، تتسلل إلى عقول أبناء الإسلام حتى العميقة منها؛ تعتمد فائضًا من عسل مفردات الثقافة الإسلامية، وسيولةً عارمةً من الخطاب الفكري المشاعري الإسلامي، مع قواعدَ علمانيةٍ سامةٍ مركزةٍ ومكثفةٍ وشديدةِ الخفاء والتركيب للتحكم في عملية الإدراك والفهم. وبحسب هذه القواعد العلمانية— لا بحسب المفردات والمعلومات الثقافية الإسلامية—تُبنى العقليات ويُصمَّم التفكير!

فهذه المدرسة جعلت السلطةَ العليا للعقل في توليد المعرفة؛ فلا محل هنا للأصولي والفقيه المجتهد، بل تَعُدّ الأصولَ والفقه جمودًا وتحجرًا واستِمساكًا بالقديم المتجاوز. فالقضية عندهم محصورةٌ في المفكر العقلاني والفيلسوف، ومعهما تقديسٌ للعقل على حساب الوحي عمليًّا، وإن ردد أصحابها علوية القرآن والوحي نظريًّا.

فالتجديد عند القوم ليس اجتهادًا فقهيًّا في المستجدات، ولا استنباطًا لأحكامٍ شرعية تعالج قضايا عصرنا وأزمة زماننا في غياب الإسلام عن حياتنا وتعطيل تحكيم شرع ربنا؛ ولكن تجديد مدرسة الإصلاح وأسلمة المعرفة وتجديد الفكر الإسلامي هو في إلباس رقاعةِ العلمانية الغربية لبوسَ الإسلام، لإعادة تأهيلها وتوظيفها في الاحتلال الثقافي والحضاري والسياسي العلماني الجاثم على صدورنا لأزيد من قرن، في مستوطنات الاستعمار المسماة دولًا وطنية.

هي محاولةٌ بائسةٌ يائسةٌ لإصلاح الكفر، علمًا أن من بدهيات الإسلام والإيمان أن الكفر يُكفَر به ويُجتث ويُستأصل، ولا يُهادَن ولا يُتعايش معه. واستحال أن يجتمع الإسلام وكفرُ العلمانية في صعيدٍ واحد، واستحال أن يجتمعا في قلب رجلٍ واحد؛ فكيف بقلب مسلم؟!

قال تعالى:﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.■

هل نعيش نهايةَ مرحلةٍ تاريخيَّةٍ أم بدايةَ انهيارٍ طويل؟

الأستاذ نبيل عبد الكريم

ليس من طبيعةِ التحوّلاتِ التاريخيَّةِ الكبرى أن تُعلِنَ نفسَها في بيانٍ رسميٍّ أو لحظةٍ فاصلةٍ، بل غالبًا ما تتكشَّف عبر سلسلةِ أزماتٍ تُدار بدلًا أن تُحلّ، وتُحتوى بدلًا أن تُفهم.

وعندما تتزامن الضغوط التضخميَّةُ مع اختلالاتِ الديونِ السياديَّة، ويترافق العجزُ الاقتصاديُّ مع تصلّبٍ سياسيٍّ وتفكّكٍ اجتماعيٍّ، فإن ما يواجهه العالمُ يتجاوز منطقَ الدوراتِ الاقتصاديَّةِ المعتادة، ويدخل في نطاقِ التآكلِ البنيويِّ للنظامِ الدوليِّ نفسه.

إن الإشاراتِ القادمةَ من مراكزِ القرارِ والأسواقِ والنزاعاتِ الجيوسياسيَّة لا توحي بمرحلةِ تصحيحٍ، بل بانتقالٍ قلقٍ من نظامٍ كان قادرًا—ولو نسبيًّا—على ضبطِ التوازنات، إلى واقعٍ تتقدَّم فيه إدارةُ الأزمة على التخطيط، وتُستبدل فيه بالقواعد الاستثناءاتُ، وبالمؤسَّساتِ ردودُ الفعل. وفي مثلِ هذا السياق يصبح الحديثُ عن الاستقرار نوعًا من المكابرة، ويغدو الانهيارُ احتمالًا زاحفًا لا حدثًا مفاجئًا.

من هنا لا يُطرح السؤالُ حول طبيعةِ اللحظةِ الراهنة بدافعِ التشاؤم، بل بدافعِ التحذيرِ السياسيِّ الواجب، والاستشرافِ لفجرٍ جديدٍ يليقُ بالإنسان.

هل يشهد العالمُ نهايةَ مرحلةٍ تاريخيَّةٍ استنفدت أدواتِها وشرعيتَها، أم هو دخل فعلًا في مسارِ انهيارٍ طويلٍ ستتحدَّد كلفتُه وفق قدرةِ الفاعلين على إدراكِ عمقه، لا وفق نواياهم المعلَنة؟

إن تجاهلَ هذا السؤال لا يؤجِّل الإجابة، بل يتركها تُفرض لاحقًا بواقعات أكثرَ قسوةً وأقلَّ قابليَّةً للاحتواء.

يمكن تصوّر ما نعيشه نهايةَ مرحلةٍ تاريخيَّةٍ، ليس بوصفِها أزمةً عابرةً في الأداءِ السياسيِّ أو الاقتصاديِّ، بل بوصفها تعبيرًا عن استنفادِ النموذجِ الذي حكم العالمَ لعقود.

فالأنظمةُ لا تسقطُ فقط عندما تُهزمُ عسكريًّا، بل حين تعجزُ عن تفسيرِ الواقعِ الذي أنتجته، أو عن تقديمِ حلولٍ للأزماتِ التي باتت جزءًا بنيويًّا من وجودها.

أحدُ أبرزِ مؤشّراتِ نهايةِ المرحلة يتمثّل في تآكلِ شرعيَّةِ النظامِ الدوليِّ الليبراليِّ الذي تشكَّل بعد الحربِ العالميَّةِ الثانية. هذا النظامُ، القائمُ على مؤسَّساتٍ، كالأممِ المتحدة وصندوقِ النقدِ الدولي والبنكِ الدولي، كان يُفترض أن يوفِّر آلياتٍ عادلةً لإدارةِ الصراعِ والتنمية؛ غير أن العقودَ الأخيرة كشفت تحوُّلَه من إطارِ حوكمةٍ عالميَّة إلى أداةٍ تُدار وفق ميزانِ القوى؛ حيث تُطبَّق القواعدُ على الضعفاء وتُعلَّق عند تعارضها مع مصالحِ القوى الكبرى.

فالحروبُ التي اندلعت دون تفويضٍ دوليٍّ، والعقوباتُ التي تُفرض خارجَ أي توافقٍ قانونيٍّ، تَشي بأن النظامَ بات لا يُنتجُ الشرعيَّة، بل يستهلك ما تبقّى منها.

سياسيًّا، يتجلّى انتهاءُ المرحلة في أزمةِ

الدولةِ الوطنيَّةِ نفسها؛ فالدولةُ التي كانت تُقدَّم باعتبارها الضامنَ للاستقرارِ والعدالةِ الاجتماعيَّة، باتت عاجزةً عن حمايةِ مواطنيها من التآكلِ الداخلي، أو من تقلّباتِ الأسواقِ العالميَّة، أو حتى من قراراتٍ تُتخذ خارجَ حدودها.

دولٌ كبرى اليوم تجد نفسها رهينةً لسلاسلِ توريدٍ عالميَّةٍ أو لأسواقٍ ماليَّةٍ قادرةٍ على معاقبتها في أيامٍ معدودة؛ ما يعني أن السيادةَ السياسيَّة باتت غير متناسبةً مع المسؤوليَّةِ الاجتماعيَّة، وهو اختلالٌ خطيرٌ في منطقِ الحكم.

وعلى مستوى القوى الكبرى، فإن تحوُّلَ الصراع من تنافسٍ منضبطٍ إلى صدامٍ مفتوحٍ على القواعد يشكِّل علامةً إضافيَّةً على نهايةِ المرحلة.

فالصراعُ بين الولاياتِ المتحدةِ والصين، على سبيل المثال، صار لا يدورُ فقط حول النفوذِ التجاريِّ أو التكنولوجيِّ، بل حول تعريفِ القواعدِ نفسها: من يصوغها؟ ومن يملك حقَّ خرقها؟ هذا النوعُ من الصراع لا ينتمي إلى نظامٍ مستقر، بل يشير إلى مرحلةٍ انتقاليَّةٍ لمّا تتبلورْ فيها معالمُ التوازنِ الجديد.

ويُضاف إلى ذلك انهيارُ الوهمِ المرتبطِ بالاستقرارِ الاقتصاديِّ طويلِ الأمد؛ فالنموذجُ الذي قام على الدَّين، وتوسيعِ الكتلةِ النقديَّة، وتأجيلِ الأزمات عبر أدواتٍ ماليَّةٍ، وصل إلى حدودِه القصوى.

التضخُّمُ اليوم ليس حادثًا استثنائيًّا كما كان في الماضي، بل أداة سياسيَّة غير معلَنةٍ لنقلِ كلفةِ الأزمات إلى المجتمعات. وعندما تتحوَّل السياساتُ النقديَّة إلى وسيلةٍ لإدارةِ الغضبِ المجتمعي بدلَ تحقيقِ العدالةِ الاقتصاديَّة، فإن ذلك يشير إلى مأزقٍ تاريخيٍّ لا تقني.

والأخطرُ من ذلك أن هذه التحوّلات تجري في ظلِّ عجزِ النخبِ السياسيَّة عن إنتاجِ سرديَّةٍ مقنعةٍ للمستقبل. ففي مراحلِ الصعودِ السابقة، كانت النخبُ قادرةً على الوعدِ بالنموِّ أو الرفاهِ أو الأمن؛ أمّا اليوم فغالبُ الخطابِ السياسيِّ يدورُ حول إدارةِ الخسائر، وطلبِ الصبر، والتحذيرِ من الأسوأ.

وعندما تعجزُ النخبُ عن الوعد وتكتفي بالتخويف، فإنها تعترف ضمنيًّا بأن المرحلةَ التي تمثّلها شارفت على نهايتها.

وعليه، فإن تصوّر ما نعيشه نهايةَ مرحلةٍ تاريخيَّة لا يقوم على التشاؤم، بل على قراءةٍ سياسيَّة لمسارٍ طويلٍ من التآكلِ البنيوي. نحن أمام نظامٍ بات عاجزًا عن إعادةِ إنتاجِ نفسه بالقواعدِ ذاتها، وعن احتواءِ تناقضاته دون اللجوء إلى أدواتٍ قسريَّةٍ أو استثنائيَّة؛ وهذا بالضبط ما يميّز نهاياتِ المراحل: ليست لحظةَ سقوطٍ مدوِّية، بل زمنَ فقدانِ القدرةِ على الاستمرارِ بالطريقةِ نفسها.

إن الانهيارَ الطويل هو الشكلُ الذي تتخذه هذه النهايات عندما تعجزُ القوَّةُ المهيمنة عن الاعترافِ بها أو عن إدارةِ الانتقالِ منها. فالانهياراتُ في العصرِ الحديث لا تأتي على هيئةِ سقوطٍ واحدٍ شامل، بل تتجسّد في مسارٍ ممتدٍّ من التآكلِ المتدرِّج، حيث تستمرُّ البنى في العمل شكليًّا بينما تفقد قدرتَها الفعليَّة على

الإنتاجِ والضبطِ والشرعيَّة.

وحالةُ الانهيارِ الطويل لها عدّةُ سماتٍ، منها:

السِّمَةُ الأولى:

تحوُّلُ الاستثناءات إلى قواعد، وتُدارُ الأزماتُ المتلاحقة دون أفقٍ حسم. التضخُّمُ يصبح واقعًا جديدًا، والديونُ ضرورةً، والحروبُ إدارةَ مخاطر.

في هذا السياق لا يُنظرُ إلى الاختلال بوصفه خللًا يجب إصلاحه، وإنما بوصفه معضلةً دائمةً ينبغي التعايشُ معها، وهذه أخطرُ مراحلِ الانهيار؛ لأنها تُفرغُ السياسةَ من وظيفتها التحويليَّة وتحصرُها في إدارةِ الخسارة.

السِّمَةُ الثانية:

تآكلُ المعنى السياسي؛ فالديمقراطيَّة تتحوَّل إلى إجراءٍ بلا مضمونٍ اجتماعي، والسيادةُ إلى خطابٍ بلا أدوات، والتنميةُ إلى أرقامٍ لا تنعكس على حياةِ الناس.

ومع غيابِ المعنى يتصاعد الغضبُ الشعبي، لا بوصفه مشروعًا بديلًا، وإنما رفضًا غامضًا للنظامِ القائم.

وهنا تنمو الشعبويَّة، لا حلًّا، وإنّما عرَضًا جانبيًا لانهيارِ الثقةِ في النخبِ والمؤسَّسات.

السِّمَةُ الثالثة:

عسكرةُ الاقتصاد وتسييسُ الأسواق؛ فليست الحروبُ اليوم امتدادًا للسياسة بوسائلٍ أخرى، بل باتت الأسواقُ نفسها ساحةَ صراع: عقوبات، وحروب عملات، وسلاسل توريدٍ مُسَيَّسة، وتكنولوجيا تُستخدم سلاحًا. هذا التداخلُ بين الاقتصادِ والأمن يشير إلى مرحلةٍ فقد فيها النظامُ العالمي آليَّةَ الفصلِ والضبط، وأصبح الصراعُ شاملًا، لكنه منخفضُ الكثافة وممتدٌّ زمنيًّا بدلَ أن يكون حاسمًا.

غير أن التاريخ لا يسيرُ في خطٍّ انهيارٍ مفتوحٍ بلا احتمالاتِ قطع. فالانهياراتُ الطويلة تُنتج دائمًا الحاجةَ إلى مبدأٍ جديدٍ يعيد تنظيمَ العلاقات، حتى وإن لم يكن أكثرَ عدالةً بالضرورة. والسؤالُ هنا ليس: هل سيظهر مبدأٌ جديد؟ بل: أيُّ مبدأ؟ وعلى يدِ من؟

وهنا أمامنا ثلاثةُ احتمالات:

الاحتمالُ الأوّل:

نشوءُ نظامٍ تعدديَّةٍ صلبة لا يقوم على هيمنةِ قطبٍ واحد، بل على توازنِ قوى إقليميَّةٍ كبرى. في هذه الحالة لا تُدارُ العلاقاتُ الدوليَّة بمنطقِ القيمِ العالميَّة، بل بمنطقِ المصالحِ المتقاطعة والحدِّ الأدنى من الاستقرار. هذا الاحتمال قد يحدُّ من الفوضى الشاملة، لكنه يحملُ مخاطرَ تكريسِ مناطقِ نفوذٍ وصراعاتٍ متعددةٍ ومجمَّدة، ويبقي العالمَ في حالةِ توترٍ دائم دون انفجارٍ شامل.

الاحتمالُ الثاني:

صعودُ مبدأِ السيادةِ الاقتصاديَّة بدلَ العولمةِ المنفلتة؛ أي عودةُ الدول إلى حمايةِ إنتاجها وغذائها وطاقتها، وتقليصُ ارتهانها للأسواقِ العالميَّة. هذا الاحتمال قد يعيدُ التوازنَ الداخليَّ للدول، لكنه في الوقتِ نفسه ينهي وهمَ السوقِ العالميِّ الموحَّد، ويفتح البابَ أمام تنافسٍ حادٍّ على الموارد ما لم يُضبط بأطرٍ تعاونيَّةٍ جديدة.

وفي جوهره، فإن الاحتمالين الأوّل والثاني

يشبهان بداياتِ الحالةِ التي نعيشها، وقد يكونان إعادةَ إنتاجٍ للرأسماليَّة بأشكالٍ جديدة.

الاحتمالُ الثالث:

بروزُ مبدأٍ إنسانيٍّ تنمويٍّ بديلٍ يعيد ربطَ الاقتصادِ بالإنسان، لا بالأرقام وحدها.

إن المبدأَ الإسلاميَّ هو الوحيدُ القادرُ على اعتلاء ساحةِ انهيارِ النماذجِ السائدة، لكن بشرطٍ حاسم: أن يُحمل ويُطبَّق بوصفه منهجَ حياةٍ وحكمٍ وعدالة، لا بوصفه شعارَ هويَّةٍ أو أداةَ صراع.

وهنا سوف أتناوله تحديدًا في نقاطِ الفشلِ الكبرى في النظامِ العالميِّ الحالي.

فالمبدأُ الإسلاميُّ لا يفصلُ الاقتصادَ عن وجهة النظر في الحياة، بل يضبطُه ضمن أحكامٍ شرعيَّةٍ تراعي الإنسانَ وتوزيعَ الثروات، ولا تتركُ الثروةَ لقانونِ التراكمِ الأعمى. وهو يُحرِّم الربا والاحتكارَ وكل أدواتِ الرأسماليَّة التي تخنقُ الدولَ والمجتمعاتَ اليوم، ويعملُ على تقليصِ الفوارقِ الطبقيَّة، وإنهاءِ الفقرِ من جذوره.

وفي جوهرِه السياسي، لا يؤسِّس لحكمٍ يقبلُ الديكتاتوريَّةَ ولا الفوضى الشعبويَّة، بل لمنطقِ مسؤوليَّةِ الحاكم، ومركزيَّةِ العدل، وأولويَّةِ المصلحةِ العامَّة؛ وهو ما يفتقده العالمُ اليوم. ناهيك عن كونه منهجًا ربانيًّا صُمِّم أساسًا لسعادةِ البشريَّة من ربِّ البشر.

لذلك فإن مبدأَ الإسلام هو الحلُّ الأعمقُ لأزمةِ العالمِ الحديث.

وفي المحصِّلة، لا يعيشُ العالمُ لحظةَ سقوطٍ نهائيٍّ، ولا يقف على أعتابِ خلاصٍ قريبٍ واضح، بل يعبرُ مرحلةَ فراغٍ تاريخيٍّ يتقدَّم فيها الانهيارُ أسرعَ من تشكُّلِ البدائل. وفي مثلِ هذه اللحظات لا تكونُ الأزمةُ في غيابِ الأفكار، بل في غيابِ من يملكُ الجرأةَ على تحويلِ الأفكارِ إلى مشروع، والقيمِ إلى مؤسَّسات، والعدلِ إلى ممارسةِ حياة.

إن المبدأَ الإسلاميَّ بما يحملُه من توازنٍ نادرٍ على جميع الأصعدة لا يُقدَّم اليوم إجابةً جاهزةً على أسئلةِ العالم، بل أفقًا حضاريًا مؤجَّلًا ينتظر شروطَه التاريخيَّة. فصِحَّةُ النظرية لا تكفي، والعدالةُ المجرَّدة لا تفرضُ نفسها تلقائيًّا ما لم تجد من يُجسِّدُها في نموذجٍ عمليٍّ يصمدُ أمام تعقيدِ العصر وضغوطِ القوى.

هنا يظهر حزبُ التحرير، بمشروعِه وكتلتِه القادرة على تطبيقِ المشروع، وندعو كلَّ مسلمٍ في وسطِ هذا الكفرِ المتحكِّم في بلادِ الإسلام أن يَغذّ السيرَ مع هذا الحزبِ العظيم، الذي بنظرتِه المستنيرة وعملِه الدؤوب جهَّز كلَّ شيءٍ لقيامِ دولةِ الإسلام، وهو يأخذُ بيدِ أبناء الأمَّة حتى يجعلوا قضيتَهم؛ استئنافَ الحياةِ الإسلاميَّة، قضيَّةً مصيريَّة، ويتخذوا تجاهها إجراءَ الحياةِ أو الموت؛ فيقيموا دارَ الإسلام، ويجمعوا بلادَ المسلمين، وينطلقوا وهم يحملون مفهومَ الأمَّةِ الواحدة بخليفةٍ واحد، ويردِّدوا بإيمانٍ صادقٍ واستنارةٍ ووعي مقولة رسولهم ﷺ:«**يا عمّ، واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري على أن أتركَ هذا الأمر حتى يُظهرَه الله أو أهلِكَ فيه، ما تركتُه**».■

الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥:
هل تنجح في وقف الانحدار والسقوط أم تُعجِّل بهما؟

الأستاذ نصر أبو إبراهيم

في الخامس من كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٥، أعلن ترامب للرأي العام وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديدة، والمقدَّمة إلى الكونغرس الأمريكي. والناظر إليها يجد أنها، في جوهرها وأصولها، لم تختلف عن سابقاتها، وإن اختلفت في الأساليب، أو في مدى الخبث وطغيان شخصية الرئيس، سواء أكان من الحزب الديمقراطي أم من الحزب الجمهوري.

فترامب، الذي تتجلّى في شخصيته الغطرسة المفرطة، والهوس بالسلطة، وحب الاستعراض، والافتقار إلى الحكمة، والميل إلى الصراعات الداخلية وإقصاء الخصوم، مع حالة من النشوة؛ يهدف إلى الحفاظ على القيادة الأمريكية العالمية، وإيقاف الانحدار الذي تعاني منه أمريكا من خلال شعارات سافرة ودون أقنعة، مثل "**أمريكا أولًا** "و»السلام من طريق القوة»، بل ويذهب إلى حد إهانة حلفائه دون مواربة. وهذا ما عبّر عنه ترامب صراحةً في وثيقته الإستراتيجية بقوله)وتهدف هذه الإستراتيجية إلى جمع كل هذه المزايا وغيرها لتعزيز القوة والهيمنة الأمريكية، وجعل بلادنا أعظم مما كانت عليه في أي وقت مضى). **وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام ٢٠٢٥.**فيحصل، بناءً على ذلك، ترتيبُ الأهداف والأولويات في تحقيق القيم الأمريكية والخطوط العريضة للسياسة الأمريكية القائمة على الحفاظ على القيادة العالمية الأمريكية وتكريس هيمنتها.

إن الهدف من نشر الإستراتيجية للكونغرس الأمريكي، وبالتالي للرأي العام، هو تحديد أولويات التهديدات ووضع الأهداف التي تحقق المصالح الوطنية حسب ما تراه الإدارة الجديدة، والتي تحقق القيادة العالمية والهيمنة الأمريكية.

ومع رفع ترامب شعار **"أمريكا أولًا"** وشعار «لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى»، فقد أحدث تحوّلًا في الأولويات التي تحقق الأهداف، وفي تعريف المصالح الأمريكية التي تحافظ على القيادة الأمريكية وتعزّز هيمنتها على العالم، وتمنع بروز أي قوة تضاهي الولايات المتحدة.

فهذه الوثيقة تختلف عن سابقتها في تعريفها للمصالح الأمريكية؛ فبينما غلّفت إستراتيجياتٌ سابقة هذه المصالح بلغة الشراكة والقيم والنظام الدولي، تتخلّى وثيقة ٢٠٢٥ عن هذا الغلاف وتستعيض عنه بخطاب مباشر يقوم على المنفعة الصريحة.

وهنا نتناول أبرز ما تناولته الإستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي ٢٠٢٥، والتي كانت الأساس في الإستراتيجية الدفاعية

الأمريكية ٢٠٢٦، والتي نُشرت في هذا الشهر (يناير/كانون الثاني).

هذا أبرز ما جاء فيها:

١-التفوق العسكري المطلق

بالحفاظ على ردع نووي قوي وحديث، وحماية أمريكا ببناء القبة الذهبية والقوى العسكرية الأخرى، وجاهزية الجيش، وبناء دفاعات سيبرانية متينة، وملاحقة الإرهابيين الإسلاميين القادرين على ضرب الوطن الأمريكي وتحييدهم.

٢-تأمين الحدود والتحكم بتدفق المهاجرين

وجعلها في المستويات الدنيا، وخاصة من المنطقة الإسلامية؛ وذلك لمنع أي تهديد على البنية المجتمعية في أمريكا، سواء للعِرْق الأبيض أو لطراز العيش الأمريكي.

جاء في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية تحت عنوان **"نهاية عصر الهجرة الجماعية:"** (لقد انتهى عصر الهجرة واسعة النطاق. فالأشخاص الذين تسمح لهم أي دولة بدخول أراضيها، وعددهم، ومنشؤهم، سيحددون حتمًا مستقبل تلك الأمة. وكل دولة تعتبر نفسها ذات سيادة لها الحق والواجب في أن تحدد مستقبلها).

٣-الإحياء الروحي والثقافي الأمريكي

وإعادة الترويج لخطاب الفخر الوطني، والتمسك بالأسرة التقليدية، ورفض القيم الليبرالية الدخيلة.

٤-عادة بناء القاعدة الصناعية الدفاعية الأمريكية

بما هو جزء من إحياء صناعي وطني أشمل. فالإستراتيجية تَعدّ التمسك بعقيدة العولمة والتجارة الحرة خطأً، لأنها أضعفت الطبقة الوسطى والقاعدة الصناعية الأمريكية.

وهذا يعني نهاية العولمة التي وضعت أمريكا قواعدها عبر منظمة التجارة العالمية وسياسات التجارة الحرة، لتنتقل إلى الحمائية وتقديم أولوية الاقتصاد الوطني على المصالح الخارجية مع الدول الأخرى.

٥-التفوق الاقتصادي

من طريق تحقيق الأمن الاقتصادي، والتجارة المتوازنة، وتأمين الوصول إلى سلاسل التوريد والمواد الحيوية، وإحياء قاعدة الصناعات ومنها الصناعات الدفاعية، وهيمنة الطاقة، وحماية الهيمنة الأمريكية وتنميتها في القطاع المالي وعملتها الوطنية (الدولار)، والحرص على الريادة التكنولوجية المستمرة، لا سيما في مجالات الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا المتقدمة.فأمريكا ترى أن الصراع اليوم أصبح يدور حول الهيمنة على مصادر إنتاج الطاقة، والقدرة الصناعية والتكنولوجية، وإمكانات الابتكار.

٦-الدفاع بحزم عن المصالح الأمريكية في نصف الكرة الغربي

وذلك بضمان الوصول العسكري والتجاري إلى المواقع الحيوية، ولا سيما قناة بنما، وخليج أمريكا، وغرينلاند.

فقد أوضحت الإستراتيجية الأمريكية للأمن

القومي اهتمامًا كبيرًا بمنطقة نصف الكرة الغربي، والتي تَعُدّها «منطقة خالصة للولايات المتحدة الأمريكية»، وذلك عبر:

- إحياء عقيدة مونرو لعام ١٨٢٣ بالنسخة الترامبية التي تضع مسافة بين ضفتي الأطلسي، فتمنع أوروبا من أن يكون لها نفوذ في نصف الكرة الجنوبي.
- استبعاد تام للصين وروسيا من التمركز العسكري أو السيطرة على الأصول الإستراتيجية داخل الحيّز الغربي.
- توسيع النفوذ الاقتصادي عبر التعريفات والحوافز، واستخدام القوة العسكرية إذا لزم الأمر.

وعليه نجد أن ترامب طلب من كندا الانضمام إليها لتصبح الولاية رقم ٥١، وهدد بنما لتلغي الاتفاقات مع الصين فقامت بنما وألغتها. وكذلك هاجم يوم ٢٠٢٦/١/٣ فنزويلا، وضرب عاصمتها كراكاس، واعتقل رئيسها مادورو وزوجته، في غطرسة تفوح منها رائحة الاستعمار التقليدي المقيت! وسمّى هذا التعامل مع نصف الكرة الغربي بمبدأ ترامب المكمِّل لمبدأ مونرو. بل إن ترامب قفز بتهديداته إلى غرينلاند التابعة للدنمارك العضو في حلف الناتو.

٧-مواجهة التهديد الأيديولوجي الإسلامي

وذلك على الصعيد العالمي وحتى في الداخل الأمريكي. تقول مديرةُ الاستخبارات الوطنية الأمريكية تولسي غابارد في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٥: »إنّ هذه الأيديولوجية الإسلامية تُشكّل تهديدًا مباشرًا لحريتنا؛ لأنها في جوهرها أيديولوجية سياسية تسعى إلى إقامة خلافة عالمية.«

فترامب ينص في إستراتيجيته عن الشرق الأوسط على: (منع المنطقة من أن تصبح بؤرة للإرهاب).وهو في عرفهم الخبيث: الإسلام وحكم الإسلام، وهو ما صرّحت به إستراتيجية الدفاع الأمريكية لعام ٢٠٢٦؛ حيث جاء فيها: (تتمثل أولوية الوزارة (وزارة الحرب الأمريكية) في إفريقيا في منع الإرهابيين الإسلاميين من استخدام ملاذات آمنة إقليمية لشن هجمات على الوطن الأمريكي... وفي الوقت نفسه، سنسعى إلى تمكين الحلفاء والشركاء من قيادة الجهود الرامية إلى إضعاف التنظيمات الإرهابية الأخرى وتدميرها).

وهذا يعني أن الخطر -في نظرهم- هو في الإسلام الذي تدين به المنطقة الإسلامية، حيث إن أهلها مسلمون يسعون لإقامة دولتهم وتحرير بلادهم من الهيمنة الأمريكية والغربية، وإسقاط الأنظمة التابعة لهم، والقضاء على كيان يهود.

٨-إبقاء الشرق الأوسط تحت الهيمنة الأمريكية

ومنع أي دولة معادية من السيطرة على ثرواته وممراته المائية، أو أن تهدد إمدادات الطاقة، أو أن تصبح المنطقة حاضنةً أو مصدِّرةً للإرهاب ضد المصالح الأمريكية أو الأراضي الأمريكية، وأن تبقى (إسرائيل) آمنة.

فقد جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن

القومي: (نريد منع قوة معادية من السيطرة على الشرق الأوسط، واحتياطاته من النفط والغاز، وعنق الزجاجة التي تمر عبرها، مع تجنب «الحروب الأبدية» التي أغرقتنا في هذه المنطقة بكلفة باهظة).

(ولدينا أيضًا مصلحة واضحة في توسيع «اتفاقيات أبراهام» لتشمل دولًا أخر في المنطقة ودولًا أخر من العالم الإسلامي).

فأمريكا -من أجل أن تحقق مصالحها- تعلن الشراكة مع الأنظمة الدكتاتورية في الشرق الأوسط، وخاصة الدول الخليجية، وعدم فرض القيم الديمقراطية بالقوة ما دامت تحقق المصالح الأمريكية، أو القيام بحروب كما تسميها «بناء الأمم» الفاشلة، ومواجهة التهديدات على المستويين الأيديولوجي والعسكري مع هذه الدول.

جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي :٢٠٢٥ (ويُظهر شركاء الشرق الأوسط التزامهم مكافحةَ التطرف؛ وهي نزعة ينبغي للسياسة الأمريكية أن تواصل تشجيعها. ويتطلب ذلك التخلي عن التجربة الأمريكية غير الحكيمة المتمثلة في ترهيب هذه الدول، ولا سيما ملكيات الخليج، لدفعها إلى التخلي عن تقاليدها وأشكال حكمها التاريخية. وينبغي لنا تشجيع الإصلاحات والإشادة بها عندما تنشأ بشكل طبيعي، من دون السعي إلى فرضها من الخارج. ومفتاح العلاقة المثمرة مع الشرق الأوسط هو قبول المنطقة وقادتها ودولها كما هم، مع التعاون في مجالات المصالح المشتركة).

(كما أنها لا ترى أن فرض أسلوب حياتنا بالقوة أمر ضروري، ولا تسعى إلى حل جميع مشكلات العالم)**الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية ٢٠٢٦.**

لذلك فإن الولايات المتحدة تريد أن تحتكر منطقة الشرق الأوسط، على اعتبار أن هذا مصدر للاستثمارات الدولية ووجهة لها، وفي قطاعات أوسع بكثير من النفط والغاز، بما في ذلك الطاقة النووية والذكاء الاصطناعي وتقنيات الدفاع. ولتعزيز مصالح اقتصادية أخر، سواء لتأمين سلاسل الإمداد أو لتعزيز فرص تطوير أسواق صديقة ومفتوحة في مناطق أخر من العالم، مثل أفريقيا.وكذلك تدفع واشنطن بالشركاء الإقليميين، بمن فيهم دولة يهود وحلفاؤها في المنطقة، لتحمُّل مسؤولية أكبر في إدارة أمنهم الإقليمي؛ ما يسمح لواشنطن بتوجيه مواردها نحو تحديات إستراتيجية أخرى، وألّا تتحمل الولايات المتحدة فيها التزامات عسكرية طويلة الأمد.

٩-الحفاظ على حرية أوروبا وأمنها

مع استعادة ثقة الحضارة الأوروبية بذاتها وهوية الغرب.

فأمريكا ترى أن أوروبا تواجه خطر أن تُمحى حضاريًّا نتيجة خطر التحول الأيديولوجي بسبب المهاجرين في أوروبا، وهذه المخاطر تهدد بتفكيك حلف الناتو.

جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي :٢٠٢٥ (ويُقابَل هذا التراجع الاقتصادي بأفق أكثر قتامة يتمثل في محوٍ حضاري محتمل. ومن

بين المشكلات الأكثر خطورة التي تواجهها أوروبا: أنشطة الاتحاد الأوروبي وهيئات عابرة للحدود الأخرى التي تقوّض الحرية السياسية والسيادة، وسياسات الهجرة التي تُغيّر ملامح القارة وتُنشئ صراعات، والرقابة على حرية التعبير وقمع المعارضة السياسية، وانهيار معدلات المواليد، وفقدان الهويات الوطنية والثقة بالنفس. وإذا استمرت الاتجاهات الحالية، فستصبح القارة غير قابلة للتعرّف عليها خلال عشرين عامًا أو أقل. وفي ظل هذه الظروف، ليس من الواضح إطلاقًا أن بعض الدول الأوروبية ستمتلك اقتصادًا وجيشًا قويَّين)

ويعمل ترامب اليوم على دعم الأحزاب اليمينية، وهو ما أعلنه نائب الرئيس الأمريكي من دعم الأحزاب اليمينية؛ فقد جاء في إستراتيجية الأمن القومي: (ونحن سنعارض القيود غير الديمقراطية التي تفرضها النخب على الحريات الأساسية في أوروبا، وفي الفضاء الأنجلوسكسوني، وفي بقية العالم الديمقراطي، ولا سيما بين حلفائنا).

وتعمل أمريكا على أن تتولى أوروبا أمنها وزيادة تحمّل التكاليف والأعباء، وهذا يؤثر على الدول الأوروبية ويقلل النمو على الصعيد الاقتصادي.

وأمريكا تريد أن ينحصر الجهد الأوروبي على الأمن الداخلي؛ فقد جاء في الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية :٢٠٢٦ (وأخيرًا، سنكون واضحين مع حلفائنا الأوروبيين بأن جهودهم ومواردهم من الأفضل تركيزها على أوروبا، وذلك لسبب بسيط هو أن أوروبا هي المكان الذي يستطيعون فيه -ويجب عليهم- إحداث أكبر فرق لدفاعنا الجماعي).

١٠-زيادة تقاسم الأعباء مع الحلفاء

والمطالبة بأن يتحملوا نصيبهم العادل من أعباء الدفاع.جاء في وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام ٢٠٢٥، تحت عنوان فرعي **"تقاسم الأعباء ونقل التكاليف"**، فقد ألزم دول حلف شمال الأطلسي تخصيصَ **٥٪** من ناتجها المحلي الإجمالي للدفاع.ما يعني أن يتحول العبء على الحلفاء، وليس على الولايات المتحدة التي ترى أنها استُنزِفت، وأنها غير قادرة على تحمل الأعباء مع ما تعانيه من أزمات اقتصادية. وأيضًا من أجل تقاتل حتى آخر جندي من حلفائها.

١١-روسيا ليست تهديدًا وجوديًا

ترى الوثيقة أن روسيا باتت لا تشكل تهديدًا وجوديًّا لها، بل هي مجرد خصم يمكن التفاهم معه، والأفضل لها هو احتواؤه عبر المفاوضات والحد من المواجهة المباشرة.

١٢-ردع الصين في منطقة المحيطين الهندي والهادئ

عبر القوة لا المواجهة، من خلال موقف تفاوضي قائم على القوة.

فأمريكا تعمل على ردع الصين، ولكن ليس من طريق المواجهة المباشرة في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، وإنما من طريق القوة، ودفع حلفائها إلى زيادة قوتهم وتحمل الأعباء، وأن يكونوا هم في المواجهة، مثل كوريا الجنوبية

واليابان وأستراليا ودول أخر ضمن التحالفات التي أنشأتها أمريكا في المنطقة، تحسبًا لحروب متزامنة متعددة الأماكن.

جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥: (ونظرًا لإصرار الرئيس ترامب على أن تتولى كل من اليابان وكوريا الجنوبية نصيبًا أكبر من المسؤولية، يتعين علينا حثّ هذين البلدين على زيادة إنفاقهما الدفاعي، مع التركيز على القدرات -بما في ذلك القدرات الجديدة- اللازمة لردع الخصوم وحماية «سلسلة الجزر الأولى». وسنعزز أيضًا وجودنا العسكري في غرب المحيط الهادئ، مع حثّ تايوان وأستراليا على زيادة إنفاقهما الدفاعي، كما كنا نفعل حتى الآن)

وهذا يمكن أمريكا من استهداف النفوذ الصيني الذي بنته عبر مشروعها **الحزام والطريق**، والمساعدات الاقتصادية (القروض) الميسّرة، واستثماراتها المختلفة، وشراء الأراضي، والشراكات التجارية مع الدول في مختلف دول العالم؛ لتعطيل هذه المشاريع، ومنع تقدمها، وإنهاء نفوذها عبر استهداف أماكن تواجدها، سواء في نصف الكرة الجنوبي أو أفريقيا أو الشرق الأوسط أو القطب الشمالي أو محيطها في الهندي والهادئ.

وتعمل أمريكا على منع الصين من احتلال تايوان أو السيطرة على مضيق تايوان، وكذلك منعها من إضعاف الهيمنة الأمريكية على القطاع المالي والدولار وسوق الطاقة...

١٣-إضعاف تأثير المؤسسات والمنظمات الدولية

لتحقيق المصالح الأمريكية.فأمريكا تعيد تشكيل التحالفات الدولية خارج المنظمات الدولية؛ بعد أن كانت في السابق تعتمد على هذه المؤسسات لتحقيق الهيمنة الأمريكية، ترى اليوم -مع تنامي قوى تعارضها على المسرح الدولي- أن التزام هذه المؤسسات يتوقف على مدى تحقيق مصالحها، وإن كان التزام هذه المؤسسات يتعارض مع مصالحها؛ انسحبت منها أو قامت بشن هجوم عنيف عليها، وهذا ما تفعله مع القانون الدولي.

فقد جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥، في بيان التأثير السلبي لالتزام المؤسسات الدولية: (وربطت السياسة الأمريكية بشبكة من المؤسسات الدولية، بعضها مدفوع بمعاداة أمريكية صريحة، والعديد منها تحركه نزعة عابرة للحدود تسعى صراحةً إلى إذابة سيادة الدول الفردي)

وهذا يجعل أمريكا تستغل حاجة الدول للمساعدات لتحقيق صفقات والسيطرة والهيمنة على الدول والمعادن النادرة؛ فقد جاء في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥: (وينبغي للولايات المتحدة أن تنتقل من علاقة مع أفريقيا قائمة على المساعدات إلى علاقة قائمة على التجارة والاستثمار، عبر تفضيل الشراكات مع دول كفيّة وموثوقة تلتزم فتح أسواقها للسلع والخدمات الأمريكية. ويُعدّ قطاع الطاقة وتطوير المعادن الحيوية مجالات استثمار فورية للولايات المتحدة في أفريقيا، مع آفاق جيدة للعائد على الاستثمار.

كما أن تطوير التقنيات المدعومة أمريكيًا في مجالات الطاقة النووية، وغاز البترول المسال، والغاز الطبيعي المسال يمكن أن يحقق أرباحًا للشركات الأمريكية ويساعدنا في المنافسة على المعادن الأساسية وغيرها من الموارد).

١٤- إعادة الاصطفاف عبر السلام

"الازدهار عبر السلام"، وذلك من طريق إنهاء صراعات وحروب؛ لتتمكن أمريكا من السيطرة على ثروات، أو فتح أسواق جديدة، وآفاق جديدة، أو نفوذ جديد في تلك الأماكن.

(يُعد السعي إلى اتفاقيات سلام بقيادة الرئيس، حتى في المناطق والدول الطرفية بالنسبة لمصالحنا الأساسية المباشرة، وسيلة فعالة لزيادة الاستقرار، وتعزيز النفوذ العالمي للولايات المتحدة، وإعادة اصطفاف الدول والمناطق مع مصالحنا، وفتح أسواق جديدة).

إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي ٢٠٢٥ الخاتمة

إن الناظر إلى الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي ٢٠٢٥، وكذلك ما جاء في الإستراتيجية الدفاعية ٢٠٢٦، يجد أن التحديات التي تواجه الولايات المتحدة كبيرة: تحديات داخلية وخارجية، وأن أمريكا تعاني من التراجع، وتواجه خطرًا يتهدد الهيمنة الأمريكية؛ أيديولوجيةٌ مصدرها العالم الإسلامي. فالأيديولوجية الإسلامية هي الوحيدة في العالم اليوم التي تتحدى وتشكل خطرًا عليها وعلى مصالحها في العالم.

فأمريكا تنظر إلى الصراع مع الصين على أنه صراع تكنولوجي وصناعي وتحديات اقتصادية وعسكرية صاعدة، وهي في صراعها مع الإسلام تخسر؛ لأن الإسلام يملك القوة الجاذبة. وفي صراعها مع المسلمين استنزفتها الحروب على الصعيد الاقتصادي والقيمي والمكانة الدولية. وإذا أضيف إلى ذلك فساد الحضارة الغربية، واستنزاف الرأسماليين الجشعين الذين يريدون تحقيق مصالحهم على حساب شعوبهم، فخاضوا حروبًا جرّت الويلات عليهم وتسببت في أزمات مالية، فتعاظمت الديون الأمريكية إلى ما يقارب **٤٠تريليون دولار**.

فأمريكا تعمل على وقف النزيف في اقتصادها عبر إعادة الحياة للاقتصاد بدعم القاعدة الصناعية، وإعادة الشركات والمصانع إلى الداخل الأمريكي، وهذا يصطدم بارتفاع الأجور، وخاصة أجور أصحاب الكفايات. أما إجراءاتها الأخرى فلا تخلو من عقبات وتحديات كبيرة، مثل تعزيز الأسواق المالية، والحفاظ على هيمنة الدولار من حيث هو احتياطي وعملة موثوقة يجري التسعير بها، وكذلك إجراء التحويلات المالية بها، وتقليل العجز التجاري مع المنافسين، والسيطرة على سلاسل التوريد والمعادن النادرة، والهيمنة على سوق الطاقة، واعتماد الحمائية لتنشيط التجارة المحلية والتصنيع، ضاربةً عرض الحائط بمبدأ التجارة الحرة والعولمة الاقتصادية؛ فإن تحقيق ذلك ليس بالأمر السهل أو في متناول اليد.

ولذلك فهي توظف القوة العسكرية والتلويح بها لتحقيق أهدافها، حسب مبدأ

"فرض السلام بالقوة"، وتستخدم الإكراه الاقتصادي سلاحًا بعد أن فشلت في القوة الناعمة، وهي بذلك تضرب بمنةً ويسرةً، لا تفرق بين خصم وصديق، أو عدو وحليف؛ المهم عندها تحقيق مصالحها، والحفاظ على قيادتها وهيمنتها الدولية، وأن تمنع أي دولة من التفوق عليها. فهي لا تعير اهتمامًا لقواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية السائدة بين الدول، ومبدأ سيادة الدول، التي عملت على إرسائها بعد الحرب العالمية الثانية، إن كان ذلك يعارض مصالحها.

فهي تعيد شكل الاستعمار القديم وسيطرة الإمبراطوريات القديمة، وقد ضربت بعرض الحائط المؤسسات والمنظمات الدولية، وخرجت من أكثر من ستين منظمة لأنها ترى فيها أنها تعيق تحقيق مصالحها. وهي تضعف تأثير الأمم المتحدة، وتعمل على تشكيل تحالفات بديلة عنها لتحقيق مصالحها، كما أنها تزيد من الانقسام الداخلي وتعمّقه عبر التغييرات في المؤسسات الحكومية، واستهداف الخصوم السياسيين في الداخل الأمريكي، وإذكاء العنصرية ضد السود والمهاجرين. وكذلك، من ناحية أخرى، فإن سيطرة الديمقراطيين والليبراليين أصحاب الرؤى الاجتماعية الشاذة قد فاقمت نشر الشذوذ وفوضى الإباحية وإضعاف الأسرة وقلة الإنجاب، وهي لا تملك ثقافة تعالج هذه الأمراض.

فقيام ترامب بهذه التحولات الداخلية، وبالعربدة والعنجهيّة الخارجية وسلوك راعي البقر، لا يحل مشكلات أمريكا ولا ينقذها من سقوطٍ مدوٍّ؛ فإن أمريكا بذلك تنقض بنيانها بنفسها، وتعمق من أزماتها الداخلية، وأيضًا تفتح على نفسها أزمات خارجية حتمية نتيجة هذا السلوك البلطجي الأرعن، الذي سيزيد الأعداء والخصوم، وسيزيد من التفكير والعمل للانعتاق من الهيمنة الأمريكية، يستوي في ذلك القوي والضعيف. وهذا سيجعل أمريكا مستنزفة خارجيًا، وينخرها السوس داخليًا، فتسقط وإن كانت في أوج قوتها العسكرية، وما أمثلة التاريخ عنها ببعيد، ولكنها تحتاج إلى من يركلها فتسقط أرضًا، فتكثر السكاكين التي تمزقها، وهذه هي سنة الله في الطغاة والمتكبرين؛ الذين قالوا: مَن أشد منا قوة؟ والذين علوا وتجبروا، فكان الله لهم بالمرصاد.

وإن أمريكا تضع منع وصول الإسلام إلى الحكم نصب عينيها في هذه الإستراتيجية، وهي تعمل على محاربة العاملين للخلافة، ولكن أمر الله نافذ، ووعده حق وصدق، وسترى أمريكا من العاملين للخلافة ما يسوؤها ويرد كيدها وينهي قيادتها وهيمنتها على العالم، وهو ما كانت تحذر منه :**خلافةٌ على منهاج النبوة**.

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ **(الأعراف: ١٣٧)**.■

عَبَدَةُ الطَّاغُوتِ

الأستاذة عائشة الزعتري- الأرض المباركة فلسطين

ذكر القرآن الكريم الطاغوت في عدة آيات، وقابل بينه وبين الإيمان بالله وعبادته عزّ وجلّ، حتى يُقِرَّ بأن الناس في حياتهم الدنيا على أحد سبيلين: إمّا سبيل الحق وهو هديُ الله عزّ وجلّ، وإمّا سبيل الباطل وهو ضلالاتُ مَن هم دون الله ـ والذين أسماهم القرآن الكريم الطاغوت ـ ومن أمثلة هذه المقابلة المواضع الآتية:

قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾﴿النحل﴾. إنَّ الله أرسل الرسلَ للناس ليأمروهم بعبادة الله واجتناب الطاغوت، وليبينوا لهم عاقبةَ من اهتدى وعاقبةَ من ضل، فكان الناس بعد ذلك إمّا مؤمنٌ مهتدٍ يعبد الله، وإمّا ضالٌّ متبعٌ للطاغوت.

وقوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾﴿البقرة﴾. الآية تبين أن الطريق واضح؛ فالرشدُ واضحٌ بيّنٌ، والغيُّ كذلك واضحٌ بيّنٌ. والاستمساك بالعروة الوثقى، أي الثبات على الصراط المستقيم وهو طريق الإيمان والإسلام، يكون باتباع الرشد وهو الإيمان بالله، واجتناب الغيّ، وهو اتباع الطاغوت؛ ليهتدي به الناس ويتبعوه.

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾﴿الزمر﴾؛ فاجتناب الطاغوت يقابله عبادةُ الله والإنابةُ إليه عزّ وجلّ.

فهذه آياتٌ كريمة تقابل بين الإيمان بالله واتباع هديه، وبين اتباع الطاغوت وضلالاته، من حيث هما سبيلان يسير الإنسان في أحدهما حتمًا في هذه الحياة الدنيا؛ فإمّا الحق أو الباطل، إمّا الهدى أو الضلال، إمّا أن يحيا في سبيل الله أو يحيا في سبيل الطاغوت، وذلك بعد أن هيأ الله له أسبابَ العلم والمعرفة بهذين السبيلين، وأسبابَ الاختيار بينهما أيضًا.

والطاغوت لغةً: من طغى، إذا عدا قدرَه فتجاوز حدَّه في الطغيان. وقد اختلف بعض المفسرين في دلالته؛ فمنهم من قال إن الطاغوت هو الشيطان، ومنهم من قال إنه الساحر، وقال بعضهم هم الكهنة، وهناك من جمع بين كل هذه المعاني، مثل تفسير الطبري حيث جاء فيه: «والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، فَعُبِد من دونه؛ إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعةٍ ممن عَبَده له،

وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء». وجاء عند ابن كثير أن الطاغوت هو: «ما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله». وقال البغوي في معناه: «كل ما عُبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: كل ما يطغي الإنسانَ هو طاغوت». فهذه التفاسير تُبيّن أن كل ما عُبد من دون الله هو من الطاغوت.

وهناك آياتٌ كريمة تشير إلى معانٍ أخرى تندرج في دلالة الطاغوت؛ فلا تقتصر فقط على العبادة واتخاذ الآلهة، بل تشمل الاتباع وما يترتب عليه من إذعانٍ وخضوعٍ وانقيادٍ لهذا المُتَّبَع، وتحاكمٍ إليه، وموالاةٍ له. ومن أمثلة ذلك:

يقول سبحانه وتعالى:﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ ﴿البقرة﴾. الآية الكريمة تشير إلى الانقياد بين الفرد والفكرة التي يؤمن بها؛ فمن اتبع أمرًا وسلك طريقه نقله من حالٍ إلى حالٍ آخر. فطريق الإيمان بالله يُخرج السالكين فيه من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية، وأمّا الطاغوت فيُضل أتباعه ويُخرجهم من نور الهدى إلى ظلمات الشقاء والضلال. فالآية الكريمة تشير إلى معاني الانقياد والتبعية التي تتحقق في مفهوم الطاغوت، بالإضافة إلى معنى الموالاة التي تتحقق ضمنيًا نتيجة الإيمان والاتباع؛ فالله وليُّ المؤمنين، والطاغوت وليُّ الذين كفروا بالله.

ويقول سبحانه وتعالى في آيةٍ أخرى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ٦٠﴾ ﴿النساء﴾. إن التحاكم إلى غير شرع الله الذي نزل به الوحي هو تحاكمٌ إلى الطاغوت؛ فالمسلمون أُمروا بالتحاكم إلى شرع الله، ونُهوا عن التحاكم إلى غيره، وكل جهةٍ يُتحاكم إليها من غير شرع الله هي من الطاغوت.

ويقول تعالى أيضًا:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ ﴿النساء﴾. وهنا تُبيّن الآية الكريمة صنفين من الناس: المؤمنين أولياءَ الله الذين يقاتلون في سبيله، والكافرين أولياءَ الشيطان الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت؛ فهذا توضيحٌ أن معنى الولاء والتبعية يتحقق في معنى الطاغوت.

فالطاغوت إذن: كل ما يُعبد ويُتَّبع ويُتحاكم إليه ويُتخذ وليًا من دون الله؛ لأن في هذا تجاوزًا للحد الذي فرضه الله. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الطاغوت: «هو كل ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو

مطاعٍ»، وهذا ما تُبيّنه آياتُ القرآن الكريم؛ فلا يقتصر الأمر على العبادة، بل يتعداها إلى غيرها من الحالات المذكورة آنفًا.

ومما يجب التحقق منه عند المسلم، أن مفهوم الطاغوت يُطلق على ما يُعبد ويُتَّبع ويُتحاكم إليه من دون الله على وجهين:

الأول: الجهةُ ذاتُها التي يعبدها الناس أو يتحاكمون إليها ويوالونها؛ فهي عينها طاغوت. فكل ما يتحاكم الناس إليه ويجعلونه مصدرًا يُشرِّعون منه نظامًا لحياتهم، ولم ينزل الله عليهم به سلطانًا، هو طاغوت بعينه. ومن الأمثلة عليه: الأنظمة الوضعية المطبقة في بلاد المسلمين، والمجالس التشريعية، والقانون الدولي، ومؤسساته ومنظماته وما يصدر عنها من قراراتٍ واتفاقيات، وغير ذلك من جهاتٍ يرجع لها الناس لسنِّ القوانين والاحتكام والتشريع؛ فكلها طاغوت بعينها.

ومن الطاغوت ما يتخذه الناس من أديانٍ لم ينزل بها الوحي من السماء، وكذلك الأديان السماوية التي حُرّفت، وأيضًا كل ما عبده البشر على مر التاريخ من دون الله، كالأصنام والنار والشجر والبشر، وسائر ما اتخذوه من آلهة؛ فكل ما ألّهه البشر وعبدوه من دون الله، وكل ديانةٍ ليس مصدرها السماء، كلها طاغوت في ذاتها.

وكذلك ما يتخذه الناس من عقائد وأفكار ومفاهيم عن حياتهم، ومصدرها ليس الوحي أو تتناقض مع الإسلام، فهي طاغوت؛ لأن حياة الفرد تسير وتنضبط بناءً عليها. والله أمر الإنسان بالتزام أوامره وتشريعاته في حياته، ولم يُترك الإنسان دون صلةٍ بخالقه في هذه الدنيا، بل هو مقيدٌ بطاعة الله فيما يعتقد ويتخذ من مفاهيم عن حياته؛ بل إن هواه يجب أن يكون تبعًا لما جاء به نبيُّ الأمة ﷺ. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ به**» رواه البيهقي.

والمسلمون منذ زمن طويل قد غزتهم أفكارٌ الكفر والباطل والضلال، وسادت بينهم وطغت على حياتهم، وخاصة أفكارُ الرأسمالية، كالعلمانية، والديمقراطية، والنفعية، والفردية، ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة، والحريات، وغيرها. وإن الرأسمالية من حيث هي مبدأ هي طاغوت هذا العصر؛ فقد أضلت العالم وجعلته يغرق في ظلماتٍ حالكة السواد، بعضها فوق بعض.

والعقائد والأفكار الباطلة تُعدّ بعينها طاغوتًا؛ لأن الطواغيت من البشر الذين يحملون هذه الأفكار والمفاهيم يطغون بسببها؛ فهي التي تقودهم وتدفعهم إلى هذا الشر. وإن الإنسان ليطغى إمّا بفكرٍ باطل تجسد فيه، أو لهوىً فاسدٍ تملّكه. فشخصُ من تجاوز الحدَّ في الطغيان طاغوت، وفكره الباطل كذلك طاغوت.

والبعض من المفكرين يميزون بين الجبت والطاغوت، حيث اقترن ذكرهما معًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ

ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]؛ فيجعلون الجبت أكثره على الفاسد من الفكر والمعتقد، والطاغوت أكثره على شخص الفرد الذي يطغى ويتجبر ويتجاوز الحد في الطغيان. ولكن بما أن الطاغوت أشمل وأعم من الجبت كما قال بعض المفسرين، فالجبت يندرج تحته؛ صح لذلك اعتبار المعتقد والفكر الباطل طاغوتًا.

والخلاصة: أن ذاتَ المعبود الذي عُبد من دون الله، وكل جهةٍ تُشرِّع للناس وتضع لهم نظامًا لحياتهم وليس مصدرها الوحي، والمفاهيم التي تؤثر على سلوك الناس وليست منبثقةً من العقيدة الإسلامية ولا مبنيةً عليها؛ كلها طاغوت في ذاتها.

ثانيًا: يُعَدّ من الطاغوت أيضًا كل من تجاوز حدَّه في الطغيان من البشر على الناس؛ كمن يحكم بغير ما أنزل الله، ويقهر الناس على اتباع غير هدى الله وعبادة من هم دونه، أو من أضل الناس فاتبعوه في عبادته ومعتقداته عن رضا وجهلٍ منهم، وكل ذي سلطانٍ استبد بالناس وحاربهم في دينهم، ومنعهم من تطبيق شرع الله والتحاكم إليه، وكل من منع تعظيم شعائر الله؛ فكل هؤلاء ومن شابههم طواغيت بعينهم.

ولا يقتصر الطاغوت في هذا الباب على الحكام فقط، بل يشمل كل من كان له تأثيرٌ في الناس لمنصبٍ له أو نفوذٍ أو جاهٍ أو شهرة، واستغل ذلك لمحاربة دين الله ومنع تطبيقه في الأرض، أو لإفساد الناس وإفساد دينهم عليهم وتضليلهم؛ فهو طاغوت. وكل من أعان هؤلاء الطواغيت وأيدهم فهو منهم؛ فالحاكم الطاغية المستبد لا ينفذ طغيانه من خلال شخصه فقط، بل من خلال نظام حكمٍ وأجهزةٍ ومؤسساتٍ وأعوانٍ يشكلون بمجموعهم أداةَ سطوته وبطشه؛ فكل من أعان هؤلاء الطغاة وكان يدهم التي يبطشون بها فهو منهم.

وفي القصة المشهورة: «أنه لما سُجن الإمام أحمد بن حنبل، جاء السجان إليه، فقال له: يا أبا عبد الله، الحديث الذي رُوي في الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال الإمام أحمد: نعم. قال السجان: فأنا من أعوان الظلمة؟ فقال الإمام أحمد: فأعوان الظلمة من يأخذ شعرهم، ويغسل ثوبهم، ويصلح طعامهم، ويبيع ويشتري منهم. أمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم».

إذن الطاغوت يتحقق في هذين الجانبين: ذاتُ الشيء الباطل والفاسد الذي يتبعه الناس، كالمعبود من دون الله، والمعتقد الباطل، والنظام الوضعي، وما شاكل ذلك. وأيضًا يتحقق في شخص من طغى وتجبر من البشر، وأخضع الناس لهذا الباطل. وكل الطاغوت أمر الله باجتنابه وحرّم اتباعه.

والناس السالكون في طريق الطاغوت صنفان: الطاغوت الذي تجبر واستبد وأقام للباطل قائمةً في هذه الأرض، فضلّ وأضلّ بشرًا

كثيرًا؛ والأتباع الذين يعتاشون على هذا الباطل والطاغوت، ويرتضونه لحياتهم منهاجًا. لذلك قيل في تعريف الطاغوت: إنه كل من تجاوز الحد في الطغيان.

وتجاوزُ الحد في الطغيان يكون بأن يتعدى طغيانُ الإنسان على غيره من الناس؛ فكل من طغى نفسه بأن رضي لها الباطل والضلال وسار في طريق الطاغوت فهو تبعٌ له، وكل من تعدى بطغيانه على غيره بأن يدعوهم إلى الباطل— سواء بالتضليل والخداع فيضلهم، أو يجبرهم ويقهرهم عليه—فهو طاغوت؛ لأنه تجاوز الحد في طغيانه.

وهنا يظهر خطر الأمر على المسلم؛ فكم من مسلم يوحد الله ويعبده، ويبذل الوسع في التقرب إليه سبحانه بالعبادات، الفرائض منها والمندوبات، ولكنه يتهاون في أبعادٍ أخرى في دينه، فيسير في طريق الطاغوت ويعلي شيئًا من لوائه؛ كأن يرى مشروعيةَ التحاكم إلى الأنظمة الوضعية، أو القانون الدولي والمنظمات الدولية، أو يزعم عدم جاهزية المسلمين لتطبيق شرع الله، أو عدم صلاحية شرع الله ليحكم بين الناس، أو يؤيد حاكمًا لا يطبق شرع الله ويوالي الكافرين، ويبرر له ذلك بمبررات لا ترضي الله، أو يرى مشروعية الحريات، أو يتخذ المنفعةَ مقياسًا لأعماله دون الحلال والحرام، أو يتخذ أفكارًا تناقض عقيدته ودينه كالقومية والوطنية، وغيرها الكثير من الحالات؛ فيكون متبعًا للطاغوت من حيث يدري أو لا يدري.

فواجبُ المسلم أن يعي أن حياته كلها يجب أن تكون في طاعة الله وفي سبيل الله، ويجب عليه اتباعُ أمر خالقه واجتنابُ نهيه، وأن يَحذَر اتباع ما يضله من البشر والفكر الباطل؛ فكله ضلال.

والضلال طريق الطاغوت كما أن الهدى طريق الإيمان. فليس محور الأمر من يُطلق عليه اسم الطاغوت أو لا يُطلق، بل مدار الأمر: في أي سبيل يسير المسلم في حياته؟ وهل طاعته لله أم للباطل وأهله ممن طغوا وتجبروا؟ يقول تعالى:﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ ﴿الأنعام﴾.

فالمؤمن يعيش حياته في سبيل الله، وفي ظل ما أُنزل على رسوله ﷺ، ولا يرضى الحيد عن هذا السبيل، ويستعين بالله العزيز أن يهديه الصراط المستقيم، وأن يرزقه الثبات عليه. والمؤمن يجتنب الطاغوت في كل صوره، بل يتخذ تجاهه موقفًا يرضي الله سبحانه وتعالى منه؛ فيعلن عداوته للطواغيت، ويدعو لإزالتها ولإقامة دين الله، حتى تنعم الأرض من جديد بنور الهدى وتنجلي عنها ظلمات الضلال: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ ﴿يونس﴾.■

ربيع الأمة القادم... من الثورة إلى الخلافة

الأستاذ جمال الخميسي - ولاية اليمن

إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم، وحال العرب خصوصاً، بعد فشل الموجة الأولى من ثورات الربيع العربي، يدرك تماماً أن الموجة الثانية قادمة لا محالة، وأن الأرض تغلي تحت أقدام الطغاة، لكن هذه المرة بشروط أقوى، ووعي أعمق، وسخط أشد.

فالعوامل التي أدت لانفجار الثورات الأولى، لا تزال قائمة، بل تضاعفت سوءاً، والأنظمة التي تشكلت بعد إجهاض الثورات ليست سوى أنظمة أوهن من بيت العنكبوت، قائمة على الخيانة والتبعية للغرب، والظلم والقمع.

فلو تأملنا مصر لوجدنا أن نسبة البطالة قد ارتفعت وأن الدين الخارجي قفز من ٣٤,٩ مليار دولار (١٤,٩٪ من الناتج المحلي) في عهد مبارك، إلى أكثر من ٨٨,١ مليار دولار (٣٦,٨٪) في عهد السيسي. ارتفعت البطالة، وانتشر الفقر، وامتلأت السجون بعشرات الآلاف من المظلومين، بينما ينعم حفنة من الفاسدين بثروات البلاد.

وفي ليبيا جرى تقسيم البلاد، وإغراقها في الاقتتال، وتشريد أهلها، وتدمير بنيتها، حتى أصبحت مرتعاً للتدخل الدولي والارتزاق السياسي.

وفي تونس، انقلب النظام على من قبلوا حتى بالحلول الديمقراطية، وأعاد البلاد إلى عهد الدكتاتورية البوليسية متحدياً للناس لا يأبه بهم ولا بمعاناتهم.

أما اليمن والسودان، فقد تمزقتا شر ممزق، وتقاسمهما النفوذ الإقليمي والدولي، وتفاقم فيهما الفقر والدمار والتهجير. وما زالت الدماء تسفك ليل ونهار.

وفي الشام، قلب الثورة النابض، نجح الغرب عبر أدواته، وعلى رأسهم «جولاني أردوغان العرب»، في حرف بوصلة الثورة من المطالبة بإقامة الخلافة وتطبيق الإسلام، إلى مجرّد تغيير وجوه، فأنشأوا حكومة عميلة أكثر تبعية وانبطاحاً للغرب.

لكن رغم هذا الظلام، فإن الأمة لم تمت، ولن تموت، فما زال فيها رجال مخلصون، وشباب مؤمن، ونساء صابرات، ينادون: «هي لله، لا للسلطة ولا للجاه».

إن الموجة القادمة لن تكون كما سبقها، فهي هذه المرة ليست مجرد حراك عابر أو صرخة غضب مؤقتة، بل هو زلزال حقيقي يضرب أركان الأنظمة الجبرية العميلة التي

حكمت الأمة بالحديد والنار لعقود طويلة. أنظمة تُركت على عروشها بعد أن هُدمت الخلافة، ومُكّنت من أعناق الشعوب بصفقات دولية وتدخلات استعمارية، لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ولا من الحكم إلا قمعه. فكل هذه الأنظمة اليوم تترنح، وتتهاوى تحت ضربات الواقع، فقد تكشفت عورتها أمام شعوبها، وأمام الأمة كلها، ومما زاد هذا الانكشاف تعريةً ووضوحاً، عملية طوفان الأقصى، التي أسقطت آخر أوراق التوت عن خيانة الأنظمة، وكشفت خذلانها للمسجد الأقصى وللقضية المركزية للأمة، والناس اليوم ليسوا بحاجة لدليل، فقد رأوا الخذلان الرسمي العربي بأم أعينهم، وسمعوا الصمت القاتل، بل ورأوا التآمر العلني من بعض الحكام على الأقصى وغزة، حتى صار التشكيك في خيانة هؤلاء ضرباً من العمى القلبي.

والأمة اليوم تغلي؛ فالأزمات تتراكم، والظلم يتضاعف، والجوع يزداد، والخوف من الغد ينهش قلوب الناس، وما هي إلا لحظات تاريخية قريبة حتى ينفجر صبر الشعوب، ليس بثورة تقليدية، بل بموجة جديدة أشد وأنضج وأوعى من سابقاتها، فالأمة أدركت أن سبب ما تعيشه من نكسات ومصائب وأزمات، هو استبدال أحكام الكفر الغربية بالإسلام واستيراد الديمقراطية والعلمانية كنظام حكم واقتصاد واجتماع، وفرضها بالقوة والمكر والخداع على رقاب المسلمين.

لقد قام الاستعمار، بعد هدم الخلافة، بنشر ثقافته من خلال الإعلام والتعليم، وبزرع حكام عملاء ومشايخ مضبوعين بالغرب، يفتون بما يرضي الطاغوت ويضللون الأمة باسم الإسلام. وجعلوا من الديمقراطية وثناً جديداً، يزعمون أن الفساد ليس منها، بل من التطبيق! وهذا كذب وتضليل، فالديمقراطية في أصلها تشريع من دون الله، وهي تناقض العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة.

لهذا، فإن التغيير الجذري الجاد لا يكون إلا بوضوح الهدف والوسيلة؛ فالهدف إقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، والوسيلة هي العمل السياسي الواعي والصراع الفكري والكفاح السياسي لإقامة حكم الإسلام كاملاً، بعد أن أدرك الجميع أن أصل الفساد الذي استشرى في كل جوانب الحياة، إنما يعود في المقام الأول إلى فساد نظام الحكم، فقد كان الحد الفاصل الذي مكّن أعداء الإسلام من التحكم بمصير الأمة، هو إسقاط الخلافة عام ١٣٤٢هـ. ومنذ ذلك الحين، أصبح الإسلام غريباً عن أنظمة الحكم، ومغيباً من حياة الناس.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا، حين قال: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّما انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي**

تَلِيها، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ» فمتى ترسخ هذا الفهم في عقول أبناء الأمة، تولد عندهم وعي عام بأن واقعنا الحالي ليس إسلامياً لا في أنظمته، ولا في ثقافته، ولا في قيمه، بل هو واقع مفروض من الغرب الكافر المستعمر، يناقض الإسلام من الجذور.

وعند هذه النقطة، يتغير مسار التفكير، فلا يبقى الناس ينخدعون بتغيير الأسماء والوجوه، بل يدركون أن التغيير الحقيقي يجب أن يكون جذرياً، لا تجميلياً، فليس المقصود بـ«إقامة الإسلام» رفع بعض الشعارات أو تطبيق بعض الأحكام داخل واقع فاسد، بل المقصود اقتلاع جذور الفساد وتغيير الواقع برمّته وفق منهج الإسلام.

من هنا، يجب أن يكون واضحاً أن المعركة التي تخوضها الأمة معركة تامة شاملة في جميع أبعادها، فالحل الجذري لا يكون إلا بثورة على أساس الإسلام، تخلع حكام الخزي والعار من الجذور، وتعيد الأمة إلى مركز قيادتها للبشرية.

وهنا، لا مكان لليائسين، ولا للمرجفين، ولا لأصحاب النظر السطحي، الذين يشكلون عائقاً أمام أي نهضة حقيقية. فإن الأمة الآن تمر بمخاض تاريخي، وتحتاج إلى رجال ونساء يحملون وعياً سياسياً شرعياً، يَفهمون الواقع ويقودون الأمة ببصيرة وصدق، لا يُزيّنون الباطل ولا يُهادنون الظالمين، بل يثبتون على طريق التغيير الحقيقي، فلا يصلح أن يقود الثورة من يجعل سقف تطلعاته ما يسمح به الغرب، أو من يختزل مشروعه في إصلاح النظام بدل اقتلاعه، فالثورة القادمة، إذا أريد لها أن تُحقق التغيير الحقيقي وتُنقذ الأمة مما هي فيه، يجب أن تكون ثورة وعي لا مجرد انفجار غضب، ثورة يقودها رجال يحملون رؤية موحّدة وجامعة، ومشروعاً حضارياً متكاملاً ينبثق من العقيدة الإسلامية، ويقوم على فهم دقيق لواقع الأمة وطبيعة الصراع.

فهؤلاء الرجال لا بد أن يملكوا خططاً واضحة للانتقال من واقع الأنظمة الوضعية العميلة، ومن الحكم الجبري المظلم، إلى تطبيق شرع الله في ظل الخلافة على منهاج النبوة، في أقصر مدة ممكنة، حتى لا يحصل فراغ سياسي تستغله قوى الكفر كما حصل في الموجة الأولى من الثورات. فاستمرار الدوران في حلقة «ثورة - وتغيير شكلي - وإحباط - ثم ثورة من جديد»، لن يحقق للأمة عزّتها، بل سيُكرّس واقعها البائس، ما لم تتغيّر آلية التفكير نفسها، فالمشكلة الكبرى ليست في الإخلاص، فأمة الإسلام مخلصة، لكن ما طُبّق عليها من أفكار مستوردة أفسد إدراكها، حتى صارت تجعل الواقع مصدراً للتشريع، وليس العقيدة الإسلامية.

فالصراع اليوم ليس صراعاً وطنياً قطرياً

محدوداً كما يزعمون بل هو صراع حضاري بين أمة الإسلام والغرب الكافر المستعمر. ومن لا يدرك هذه الحقيقة، فلن يكون أهلاً لقيادة التغيير.

فمن لا يحمل مشروعاً كاملاً مستنداً إلى القرآن والسنة، ومن لا يتحرك بعزيمة المؤمنين، وبثقة لا تزعزع أن الله ناصر هذا الدين، فلن يقيم ديناً، ولن يحرر أرضاً، ولن يُخرج الأمة من ظلمات الرأسمالية إلى نور الإسلام.

ونحن في حزب التحرير قد نذرنا أنفسنا لتحكيم شرع الله وإقامة الخلافة، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الصف الأول من هذا الصراع المصيري، صراع لتحرير وعي الأمة، وردّها إلى هويّتها الإسلامية الجامعة وتذكير أبنائها بجذورهم الإسلامية الأصيلة، بعد أن شوهتها قرون من الاستعمار، والغزو الثقافي والفكري، من حملة صليبية، واحتلال بريطاني فرنسي، وهيمنة أمريكية شرسة.

ونسأل الله أن يكون الهدف الأول للثورة القادمة إزالة كل ما علق في أذهان أبناء الأمة من شرعية الواقع الجاهلي المعاصر، الذي بُني بعد إسقاط الخلافة وهدمِ دار الإسلام وطمسِ شريعة رب العالمين، فلقد تحوّل الإسلام خلال مائة سنة ونيف إلى دينٍ كهنوتي معزول، بعد أن كان دين حكم وتشريع، يُسيّر الحياة كلها، يحكم السياسة والاقتصاد والمجتمع، ويقود البشرية نحو النور.

يا أبناء الإسلام: إن الإسلام لا يصلح لترقيع الرأسمالية، ولا لتلميع وجهها القبيح، فوظيفة الإسلام ليست التكيّف مع الظلم، بل اجتثاثه من جذوره. فوظيفة الإسلام هي نقل البشر من ظلمات الرأسمالية إلى نور الإسلام، ومن جورها وجرائمها إلى عدل الإسلام وأمانه. فالإسلام جاء لينقل البشرية من جور الأنظمة الوضعية إلى عدل الشريعة، من عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، إلى عبودية الله وحده لا شريك له، هذا هو الإسلام الذي نريد أن نُقيمه، الإسلام الذي يحكم العالم، لا الذي يُستضعف في زاوية.

فكونوا أنصار هذا الدين، وكونوا مع من يعمل لإعادته إلى مكانه الصحيح: قائداً للبشرية لا تابعاً، حاكماً لا محكوماً، عزيزاً لا ذليلاً، فلا خلاص للأمة إلا بخلافة تجمع شتاتها، وتعيد سلطانها، وتطبق شريعتها، وتحمل رسالتها إلى العالم. وقد وعدنا الله سبحانه بذلك: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾، ونصرة الله تكون بنصرة دينه، وتحكيم شرعه، وإقامة دولته، وإنّا على يقين، بإذن الله، أن الربيع القادم هو ربيع الخلافة، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾.■

كيف ضربت بريطانيا مُمْسِكاتِ الوحدة، وقطفت أمريكا الثمرةَ بسياسةِ حدودِ الدم

المهندس باسل مصطفى-عضو مجلس حزب التحرير في ولاية السودان

في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٩٨م، دخلت جيوشُ الكافرِ المستعمِرِ الإنجليزي، بقيادة كتشنر، مدينة أمدرمان؛ عاصمة الدولةِ المهدية، لتُعلن بذلك وضعَ السودان تحت نفوذِ الكافرِ المستعمِر، وما زال حتى يومنا هذا. ومنذ ذلك الحين والسودان يتقلب في حضن الاستعمار الغربي، ولأجل ديمومة هذه الأوضاع واستمرار جني ثمارها، قامت بريطانيا بأعمالٍ سياسية وفكرية وثقافية استهدفت بها فصلَ السودان عن مصر، ثم إضعافه واستهداف وحدته، وهو ذلك المارد الغني بحضارته وثرواته. فبدأت بصياغة الحياة فيه على أساس الحضارة الغربية، وإخراج الإسلام من حياة الناس، وهو أهمُّ مُمْسِكاتِ وحدة البلاد. وكيف لا تفعل ذلك، وهي التي هدمت دولةَ المسلمين الخلافة، قبل ١٠٥ سنوات، في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ الموافق ٣ آذار/مارس ١٩٢٤م؟ بل إن بريطانيا العجوز هي نفسها التي استبقت هدمَ الخلافة باتفاقية سايكس-بيكو، التي وقعتها مع حليفتها فرنسا في ١٦ أيار/مايو ١٩١٦م، وهي الاتفاقية التي أعملت المبضع في جسد الأمة لتقضي على وحدتها، من خلال مستعمراتٍ وظيفية على أسسٍ قومية أو وطنية ضيقة سُمّيت دولًا؛ حيث جُعل لكل دولةٍ حدودٌ وعَلَمٌ ويومٌ وطنيٌّ، تكريسًا للتفرقة والانقسام.

لقد كانت سياسةُ الاستعمار البريطاني تستهدف وحدةَ السودان بشكلٍ مباشر، حيث ركزت استعمارها بإنشائها للمواعين التي تصوغ بها عقولَ الأجيال مبكرًا؛ ففي ٨ نوفمبر ١٩٠٢م افتتحت كلية غردون (جامعة الخرطوم)، لتُخرج أجيالًا من الأوساط السياسية وكبار الموظفين الذين أُشربوا حضارةَ المستعمِر، والذين لم يكتفوا، عندما أُجلسوا على كراسي الحكم، بأن يديروا البلاد لصالح بريطانيا المستعمِرة، بل نفذوا لها أولَ مخططاتها التي استهدفت لحمةَ البلاد، عندما أعلنوا من داخل البرلمان انفصالَ السودان عن مصر في ١٩ كانون أول/ديسمبر ١٩٥٥م! ولم يشف ذلك غليلَ الكافرِ المستعمِر، بل أطلق معاولَ الهدم. ولأجل تهيئة جنوب السودان للانفصال، قننت بريطانيا في العام ١٩٢٢م ما عُرف بسياسة المناطق المغلقة؛ حيث منعت دخول المسلمين من شمال السودان إلى جنوبه إلا بتصاريح، وأدخلت كبريات بعثات التبشير النصرانية إلى الجنوب، ومنعت استخدامَ اللغة العربية في الجنوب، وفرضت اللغة الإنجليزية للتعليم والإدارة، فصنعت قطيعةً كاملة بين شمال السودان وجنوبه. ولم تكتفِ بذلك، بل وهي تتجهز لإخراج قواتها من السودان، وحتى تحافظ على استعمارها له بتغيير شكل الاستعمار، أطلقت شرارةَ الحرب الأهلية في السودان بتمرد فيلق الاستوائية

بتاريخ ١٨ آب/أغسطس ١٩٥٥م.

إن بريطانيا، ومنذ أن وطئت أقدامها أرضَ السودان، عمدت إلى سياسةٍ خطيرة تستهدف وحدةَ البلاد، تتمثل في نقطتين:

أما **الأولى:** فهي إثارةُ القبيلة ككيان، وإخراجُها عن حقيقتها الشرعية بوصفها كيانًا مجتمعيًا للتعارف، وتحويلُها إلى كيانٍ سياسي يتطلع إلى الحكم، بل إلى تمزيق وحدة البلاد.

و**أما النقطة الثانية،** فهي سياسة الحواكير، أي تمليكُ الأراضي والمراعي والأحراش والغابات لأكبر قبيلةٍ في المنطقة، وتسميتُها بدار بني فلان نسبةً للقبيلة الكبيرة، وتجاهلُ بقية المكونات القبلية واعتبارُها غير موجودة؛ وهو، بلا شك، من أهم أسباب إثارة النزاعات القبلية المستمرة، خاصةً مع احتكاك المزارعين والرعاة سنويًا. وبذلك جرى ترويضُ أهل السودان على الصراعات المستمرة لإضعاف وحدة البلاد وتمزيقها.

إن الدولةَ الوطنية التي صنعها المستعمِر الإنجليزي في السودان كانت، وما زالت، قاصرةً عاطلةً عن أسباب الحياة إلا بوصاية الغرب الكافر؛ لذلك كانت مستهلكةً لمعالجات الغرب الكافر وتصوراته السياسية. فبفكرة حق تقرير المصير فُصل السودان عن مصر، ثم فُصل جنوب السودان عن شماله، وبفكرة الفيدرالية هُيئت أقاليمُ السودان للانفصال، وارتفعت دعاوى العنصرية من عِرقية وجهوية وقبلية لتمزيق ما تبقى من السودان.

لقد صنعت أمريكا عالمَ ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ فهي المنتصر الذي لم يصله دمارُ الآلة العسكرية التي دكّت أرجاء المعمورة شرقًا وغربًا لمدة ستة أعوام. لذلك خرجت أمريكا من عزلتها لتجني ثمار انتصارها، فروجت لفكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها؛ تريد بذلك طردَ الاستعمار الأوروبي من مستعمراته لتحل هي محلَّه. لكن الاستعمار الأوروبي، وبخاصة البريطاني، كان قد أعد لهذه اللحظة العدة؛ فبدأ في تسليم الحكم للأوساط السياسية والأحزاب التي صنعها لهذا اليوم، ومعها كاملُ مؤسسات الدولة التي يقوم عليها عملاءُ له. وبذلك ظلت المستعمرات البريطانية عصيةً على النفوذ الأمريكي، ما جعل أمريكا تلجأ إلى فكرة الانقلابات العسكرية من أجل إزاحة النفوذ الإنجليزي؛ فاستدعت هذه الفكرة من حديقتها الخلفية، أمريكا الجنوبية، فأدخلت نفوذها عبر ما يسمى بانقلابات الضباط الأحرار إلى مصر في العام ١٩٥٢م، ثم أدخلت نفوذها إلى السودان بانقلاب جعفر النميري في ٢٥ أيار/مايو ١٩٦٩م. ومنذ ذلك الوقت أصبح السودان ساحةً للصراع الدولي؛ حيث عمد النميري إلى القضاء على النفوذ الإنجليزي، ونقل الوصاية على كيان الدولة الوطنية السودانية من بريطانيا لتصبح أمريكا هي الوصي على هذا الكيان. وبذلك تحول السودان إلى ساحةٍ للصراع الدولي بين المستعمِرين البريطاني والأمريكي، وما زال.

لقد سار النميري في تصفية النفوذ الإنجليزي، فوجه ضرباتٍ ساحقة إلى الأوساط السياسية المرتبطة بالإنجليز، وأخرجها من معادلة حكم البلاد، ولاحق قوتهم التي حاولت

أن تتبلور في قوةٍ مادية في الجزيرة أبا، وضرب تلك القوة مستعينًا بالطيران المصري. ومضى في إفشال محاولات رجال الإنجليز للعودة إلى حكم السودان؛ فأفشل محاولةَ قوات الجبهة الوطنية التي دربت في ليبيا وغزت العاصمة الخرطوم في ٢ تموز/يوليو ١٩٧٦م، وغيرها. ومضت أمريكا ترسخ نفوذها في السودان؛ حيث نصبت الحكومةَ المصرية ومؤسساتها وكيلًا لأمريكا في السودان.

ورث الأمريكيون خطةَ الإنجليز لتمزيق السودان، بل خطتهم لتمزيق جميع بلاد المسلمين؛ فشككوا في جدوى اتفاقية سايكس-بيكو، وطرحوا فكرة «حدود الدم» بدلًا من حدود سايكس-بيكو. ففي العام ٢٠٠٦م نشر الجنرال الأمريكي المتقاعد رالف بيترز مقالةً مصحوبةً بخريطة جديدة للشرق الأوسط، في عدد المجلة العسكرية الشهرية للجيش الأمريكي «أرمَد فورسز جورنال(Armed Forces Journal)»، حيث عنون مقالته بـ«حدود الدم». قال فيها: (إن الولايات المتحدة الأمريكية أضاعت فرصةً ثمينة لأنها لم تقدم على تقسيم العراق إلى دول بعد سقوط النظام السابق؛ حيث كان من الممكن مثلًا إعلان قيام الدولة الكردية، وجميع الأكراد يطالبون بذلك، وتجميع الأكراد من إيران وسوريا وتركيا في هذه الدولة).

ويوضح الجنرال الأمريكي رؤيته بأن الدول الأوروبية التي استعمرت المنطقة قسمتها «على أساسٍ جغرافي بحيث لم تكن الحدودُ التي وضعتها مستقرةً على مر الزمن»، وأضاف أن هذه الخريطة «تصحح الوضع القائم من خلال تقسيم الشرق الأوسط على أساس ديموغرافي، من حيث الحقائق القومية والمذهبية والطائفية»، زاعمًا أن «الحل المناسب لوقف إراقة الدم في المنطقة هو ألا تبقى الطوائف المختلفة والمتباينة مع بعضها، وتعيش كل طائفة في كيانٍ سياسي خاص بها».

وهذه المقالة ترجمةٌ لفكر اليميني المتطرف برنارد لويس؛ «سياف الشرق الأوسط»، الذي يقول: «إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى مكونات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال لديهم»، ويستطرد أن خطة التقسيم هذه تقوم على إذكاء الصراعات العرقية والطائفية، ومن ثم فرض التقسيم والانفصال بالقوة؛ حيث إن زعزعة الاستقرار في دولةٍ ستهيئ لزعزعة الاستقرار في جوارها بشكلٍ دراماتيكي.

وعقب فصل جنوب السودان في العام ٢٠١١م، صرّح البشير بتاريخ كانون الثاني/يناير ٢٠١٢م قائلًا: (إن أمريكا كانت وراء تقسيم السودان لتحقيق مصالحها في النفط وإضعاف البلاد). وبهذا تكون أمريكا هي من أجهزت على وحدة السودان بفصل جنوبه.

وفي نيسان/أبريل ٢٠١٩م كانت حكومة البشير قد فقدت دورها واستنفدت أغراضها للأمريكيين؛ إذ إنها فصلت جنوب السودان، وأشعلت الحريق في دارفور، وباتفاقية الدوحة في ٢٠١١م أعطت دارفور حكمًا ذاتيًا موسعًا في اتجاه سلخها، وتبنت النظام الفيدرالي وجعلته

من المكاسب الراسخة، مهددةً بذلك وحدة الدولة. لذلك أسقطت أمريكا حكومةَ البشير، وكانت تظن أنها تستطيع أن تعيد إنتاج السيناريو المتكرر الذي يفضي إلى تغيير شخص الحاكم المغضوب عليه مع بقاء النظام في بنيته وولائه. غير أن رجال الإنجليز في السودان كانوا قد خرجوا من تحت الرماد، وأعدوا للسيناريو الأمريكي عُدته؛ حيث حشدوا الملايين على أسوار القيادة، ومضوا في اتجاه كسر عظم النفوذ الأمريكي بالأعمال السياسية.

غير أن رجال أمريكا انحنوا للعاصفة وقبلوا بالوثيقة الدستورية على مضض، ثم لم يلبثوا أن انقلبوا عليها في ٢٠٢١/١٠/٢٥م. ولكن رجال أمريكا عجزوا عن تسيير البلاد، وبدأ حبل الإنجليز؛ «الاتفاق الإطاري»، يلتف مجددًا حول رقبة النفوذ الأمريكي في السودان، ما حدا بأمريكا إلى إطلاق هذه الحرب في السودان لتشيطن عملاء الإنجليز وتخرجهم من معادلة حكم البلاد، ولتنفيذ سياسة «حدود الدم»؛ فتسلخ دارفور، وتجهز على وحدة بقية أقاليم السودان.

ولأجل ذلك فهي تمضي قدمًا في تركيز السيناريو الليبي في السودان، لتكرس سلخ دارفور إنفاذًا لخطة معهد السلام الأمريكي، الذي عقد ورشةً في نيروبي في نيسان/أبريل ٢٠٢٤م، بمشاركة القوى السياسية والمدنية المناهضة للحرب، وخلص المعهد في الورشة إلى أن وجود حكومتين في السودان يؤدي إلى خفض حدة القتال، ويفتح المسارات إلى طاولة المفاوضات! (الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠٢٥/٠٨/٠٤م). لذلك دفعت طرفي الحرب لإخراج هذه التوصية إلى أرض الواقع.

فيا أهلَ السودان:إن أمريكا التي فصلت جنوب السودان تعود الآن لسلخ دارفور وتمزيق ما تبقى من بلدكم. فإن تعاملتم مع هذه القضية بالنهج نفسه الذي تعاملتم به مع قضية جنوب السودان، فإن مخططها لتمزيق السودان إلى خمس دول—ترسم حدودها بدمائكم ودماء أبنائكم—كائنٌ لا محالة، وذلك هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

ختامًا:

إنه لمن المؤسف حقًّا أن تكون بلادُنا ساحةً للصراع الدولي على النفوذ بين أمريكا وبريطانيا؛ يتاجرون بدماء أهلنا وأعراضهم، وهم العدوُّ ملةً واحدةً، لا يريدون الخير للمسلمين في أي مكان وأي زمان. قال الله سبحانه وتعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

إن الكفار المستعمرين لا يضيرهم قتلُ المسلمين، ولا يضيرهم انتهاكُ أعراضهم. ولقد وصلنا إلى هذا الحال بعد أن هُدمت الخلافة، وغاضت الحياة على أساس الإسلام. ولن تقوم لنا قائمةٌ إلا بجعل الخلافة هدفًا دونه المُهَجُ والأرواح؛ نصل الليل بالنهار، ونستنفر لأجله كلَّ جهود أهل القوة والمنعة بأقصى طاقةٍ وأقصى سرعة.■

رمضانُ لِمَنْ آمنَ واهتدى وعملَ صالحًا واتَّقى، وشَهِدَ له رمضانُ ولم يَشْهَدْ عليه

الأستاذ إبراهيم سلامة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ومَن والاه. منذ سنين طويلة يأتي رمضان ويذهب، والأمَّةُ قد ادلهمَّت عليها الخُطوبُ والمحنُ والشدائدُ والفِتَن، وقد استمرأتِ الحُكمَ بغير ما أنزل الله، وهذا إثمٌ وظلمٌ عظيم، وأركنت إلى الظالمين، فاستسلمتْ لشرارها عبيدِ الكفّار ومواليهم! فكان حالُ الأمّة مصداقًا لما ورد في الحديث الشريف: «**... ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، يُجعَلُ الوَهَنُ في قلوبِكم، ويُنزعُ الرُّعبُ من قلوبِ عدوِّكم؛ لِحُبِّكم الدنيا وكراهيتكم الموتَ**».

أفلا نسأل أنفسنا: أين رمضان منَّا؟ وأين نحن من رمضان؟ شهر الخير والبركة والرحمة والغفران، شهر الطاعة والصلاة والدعاء. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. اللهُ تبارك وتعالى، بفضلِه وكرمِه ومِنَّتِه ونِعَمِه، يتفضَّل علينا ويُخبرنا أنَّه قريبٌ منَّا؛ فلا ترجوا أحدًا إلا الله، إنَّه نعم المولى ونعم النصير. إنَّه قريبٌ يُجيب دعاءنا ويسمع نداءنا: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. وهذه الآية الكريمة من أرجى الآيات في القرآن الكريم؛ كلُّها وُدٌّ وأُنسٌ وطمأنينةٌ تبعث الرضا في قلب المؤمن، والعزيمةَ في العمل، وإخلاصَ التوجُّه لله، والطاعةَ المطلقة، والتوكُّلَ عليه؛ فتطمئنُّ قلوبُ المؤمنين بتحقيق وعد الله ورحمته ورضوانه، فيعيشون في ملاذِ أمنٍ ونفسٍ مطمئنَّة، فلا يطيعون إلا الله ورسولَه ﷺ، ولا يعبدون إلا الله.

واللهُ تبارك وتعالى يُوجِّه عبادَه ويأمرهم بطاعتِه والاستجابةِ له والإيمانِ به والعملِ بشريعتِه ومنهاجِه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. فالأمرُ كلُّه بيد الله، لا مُعقِّبَ لأمرِه. والاستجابةُ لله من الرُّشد، والإيمانُ والعملُ بمنهج الله وشريعتِه، بالحُكم والتحاكم لشرع الله حصرًا وقصرًا؛ والراشدون هم الذين يستجيبون لله، فيلتزمون بشرع الله، ويأتمرون بأمره، وينتهون عن نهيه، فيُقيمون دين الله وشريعتَه ومنهاجَه الذي اختاره الله لعباده المؤمنين وللبشر كافة، وأمر به وحضَّ عليه. فالإسلامُ دينُ الحقِّ المبين، هو الرشدُ والعدلُ والإنصافُ والخيرُ العميم، وما عداه كفرٌ وضلالٌ وسفهٌ وظلمٌ وفسقٌ وعصيان.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِه، لتأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجابُ لكم**». فظاهرةُ عدم استجابة المسلمين لله تنبع من تشتُّت أمرهم وتفرُّقهم، واستحلالِ حرمات الله بالحكم بغير

ما أنزل الله؛ فأصاب المسلمين شيءٌ من الغبش والخلل في تصوُّرهم لحقيقة الإيمان، وقد استمرؤوا إقصاء الإسلام عن الحكم وتنظيم حياة الناس، وركنوا إلى الظالمين، وأخذوا مقولات البشر وتصوراتهم وأفكارهم أساسًا للحكم والعدل والإنصاف، وهجروا شرع الله. فاستفحل الحكم الجبريُّ في بلاد المسلمين، وتولَّى شرارُهم أمرَهم، واتَّبعوا الكفّار واتخذوهم أولياء. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. شريعةُ الله هي العدلُ والإنصاف، ولا تُبقي لأهل الكفر والظلم والعصيان مكانًا بين الناس؛ فتجد الظلمةَ والعصاةَ والكفارَ والمنافقين يُحاربون الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والأساليب. والله تبارك وتعالى يأمر المسلمين ويُنَبِّههم: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾؛ فلا تخشوا الناس لأيِّ حال، ولا تهابوهم، ولا يَقِفْ شيءٌ بينكم وبين الحكم بشرع الله ومنهاجه. واعلموا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾حقًّا وصدقًا. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]. سؤالٌ استنكاريٌّ فيه تقريعٌ لكلِّ مسلم لا يحكم بما أنزل الله:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ فمَن يجرؤ ويدَّعي أن تشريعَه وحكمَه أحسنُ من شرع الله ومنهاجه؟! وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١١٩-١٢٠]. بمعنى: اتبعوا ما أُنزل إليكم، فهو الحقُّ من ربِّكم، ولا تتَّبعوا اليهود والنصارى؛ إنهم أعداؤكم، وسيظلون يحاربونكم ويكيدون لكم، ولا يرضون عنكم ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، حتى تصبحوا مثلهم كفارًا. فالحرب بيننا وبينهم حربُ عقيدةٍ ودين، وليست حربَ هذه الشعارات الزائفة من وطنيةٍ وقوميةٍ واستقلال. وحربُ فلسطين خيرُ شاهدٍ على ذلك. وأدعياءُ الوطنية والقُطْرِيَّة والقومية والثورة والاستقلال متماهُون بذُلٍّ وهوانٍ وإذعانٍ في خدمة اليهود والأمريكان؛ فأين المسلمون؟!

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ على سبيل الحصر والقصر؛ هدى الله هو الهدى، وما عداه ليس بهدى، ولا يجوز اتِّباعه ولا العمل به ولا الدعوة إليه. ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر،﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾. بمعنى: هل نحن على العهد والميثاق، ليكون رمضان شاهدًا لنا على طاعة الله، وتنفيذ أمره، والانتهاء عن نهيه؟ هل نحن متمسِّكون بكتاب الله وعهده وميثاقه، مستجيبون لله ولرسوله ﷺ، مؤمنون بالله ورسله وكتبه حقَّ الإيمان؟ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

[الأعراف: ١٧٠]. فالتمسُّك بكتاب الله يعني العملَ بأحكامه، والامتثالَ لأمره ونهيه، باتِّباع نهج رسول الله ﷺ ومنهاجه، بالسمع والطاعة المطلقة، والعبادة الصادقة القائمة على تسيير شؤون حياة الناس وحكمها بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، بالتجرُّد لله، والتوكُّل عليه، والتوجُّه إليه، والعمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ حصرًا وقصرًا.

ومن صفات أهل رمضان أنهم يعلمون ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ فيتَّبعونه: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾[الرعد: ١٩-٢٢]. فمَن عَلِم وآمن وعمل صالحًا بمقتضى إيمانِه ثم اهتدى، ورسَّخ العقيدة والإيمان في حياة الناس بالحكم والتحاكم لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، بجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فهو ممَّن يرجى له الفلاح.

والكفرُ ضلالٌ وجهلٌ وعَمًى في البصر والبصيرة؛ فلا يؤمن الكفّار بالله، ولا يتَّبعون رسولَ الله ﷺ، ولا يحكمون بكتاب الله. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أولئك الذين يتذكَّرون إذا ذُكِّروا، وتخشع قلوبُهم لذكر الله وآياته؛ فقلوبهم وعقولهم مُدركةٌ لوجوب طاعة الله والتزام شريعته ومنهاجه، فيحكمون بما أُنزل على رسوله ﷺ، و**﴿يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾**. وعهدُ الله: الإيمانُ به وبرسوله ﷺ، والعملُ بكتابه وسنَّة رسوله ﷺ، وهو أساسُ كلِّ عهدٍ وميثاق، لا ينقضُه المؤمن ولا يتعدَّى العملَ به لغيره. ثم يأتي الالتزامُ بكلِّ عهدٍ وميثاقٍ تمَّ بين المسلمين وغيرهم حسب شرع الله، وما كان خارج شرع الله فلا قيمة له. ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾: هي الطاعةُ الكاملةُ المخلِصةُ الصادقةُ لأمر الله على الإطلاق، خشيةَ عذابه ورجاءَ رحمته. والتقوى تعمُر قلوبَهم، ويحاسبون أنفسَهم قبل يوم الحساب. ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾: يصبرون لوجه الله وطاعتِه واحتسابِ أجرِه ورضوانِه، ولهم الحُسنى على نعمة الصبر والرضا والقناعة بنعمة الله وعطائه. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: هؤلاء ممَّن يشهد لهم رمضان على طاعة الله، وممَّن يرجون استجابةَ الله لدعائهم. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٥]. فهؤلاء وأمثالُهم ممَّن يشهد عليهم رمضانُ بعصيانهم لله، ونقضهم للإيمان، والحكمِ بغير شرع الله، واتباعهم للكفّار، وصدِّهم عن سبيل الله، وإفسادهم في الأرض بالحكم بقوانين

الكفار وأنظمتهم وما يشرِّعون من عند أنفسهم بأحكام الكفر والطاغوت. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

وقال تعالى:﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١]. التجئوا إلى الله؛ فهو ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾، واعتمدوا عليه وتوجَّهوا إليه وتوكَّلوا عليه في كل شأنٍ وأمر، ولا تُشركوا بالله شيئًا؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشِركَه**» (رواه مسلم). ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: أمرٌ بإخلاص الطاعة لله وتوحيده سبحانه، لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، وتنبيهٌ وتحذيرٌ متكرِّر، كلُّه غفرانٌ ورحمةٌ ورضوانٌ لعباده المُخلِصين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. إن الغايةَ والقصد من خلق الجنِّ والإنس عبادةُ الله تبارك وتعالى حصرًا وقصرًا: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾. فوظيفتهم في الحياة الدنيا عبادةُ الله وحده لا شريك له، العبادةُ المطلقة التي لا يأتي العبدُ فيها بأيِّ أمرٍ أو شأنٍ إلا بما أمره سيِّدُه ومولاه: عبدٌ يطيع ويعبد ربَّه كما أمره، وربٌّ يُعبد فيأمر فيُطاع؛ فتستقيم الحياة وتُسَيَّر بما أنزل الله على رسوله ﷺ.

فيستقرُّ مفهوم العبودية في القلب، وتستقيم حياة الناس بالعبودية لله، فلا يأتي أحدٌ بأيِّ عمل، ولا تقوم جوارحُه وحواسُّه وعواطفُه وشعورُه بأيِّ نشاطٍ أو سكونٍ، أو فكرٍ أو تصوُّرٍ، إلا بما أمر الله به وبما نهى عنه. فتستقيم حياة الناس بالعبودية لله خالقِها: عبدٌ يعبد، وربٌّ يُعبد، يُطاع أمرُه ويُنتهى عن نهيه، وتُلتزم شريعتُه ومنهاجُه. فمدلولُ العبادة أوسعُ وأشمل ممَّا ترسَّخ في أذهان كثيرٍ من المسلمين هذه الأيام من أنها محصورةٌ في الشعائر التعبُّدية والنسك؛ بل إن العبادة تشمل جميع جوانب الحياة وشؤونها: في السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع والعدل والإنصاف والجهاد في سبيل الله، وخلافة الأرض وإعمارها. فالحياةُ كلُّها عبادةٌ لله، بأن تُسَيَّر بما أمر الله وبما نهى. فالعبادة هي الطاعةُ المطلقة لله بالتجرُّد إليه، بتنفيذ أمره وطاعته، والتوجُّه إليه، والتوكُّل عليه، بتنفيذ شريعته والتزام منهاجه. فيعيش الإنسان حياتَه عبدًا لله، يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه، فيجد الطمأنينةَ في قلبه، والرضا في نفسه، بإقراره بعبوديته لله وحده لا شريك له، بتنفيذ أمر الله والتزام شريعته وإقرارها في واقع الحياة بالحكم والتحاكم، بجعل كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وهذا يتجلّى في فهم معنى العبودية لله بأنها غايةُ الوجود، وأنها وظيفةُ الإنسان في الحياة الدنيا بإقامة دين الله وسيادة شرعه في واقع حياة الناس،

بالتزام شريعة الله ومنهاجه ونشرِه والمحافظة عليه إلى أن تقوم الساعة، باتخاذ رسول الله ﷺ القدوةَ والأسوة الحسنة، الواجب اتِّباعُه وتمثُّلُ أفعاله وأقواله، واتباعُ سنَّته والتزامُ نهجه ومنهاجه.

ورسولُ الله ﷺ أبلغُ مثالٍ للعبودية لله بأوضحِ وأنصعِ صورة، يجب التزامُها في الحياة بجميع جوانبها وشؤونها، طاعةً لله واقتداءً برسوله ﷺ، بالرضا والتسليم. فالمسلم عبدٌ لله خالقِه وسيِّدِه، لا يشغله عن ذلك شاغل، بتجرُّده لله وتنفيذ أمره والانتهاء عن نهيه، بإقامة دين الله وشريعتِه؛ وهذه هي وظيفته في الحياة الدنيا. عندها فلا يضلُّ ولا يشقى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

والرزقُ بحدِّ ذاته مكفولٌ؛ فقد كفله الله للناس مؤمنِهم وكافرِهم، فلا يطلب أحدُنا الرزقَ بمعصية الله، ولا يظنَّنَّ أحدٌ أن الرزق بيد الحاكم الظالم فيمنعك شيئًا منه، أو بيد الحاكم الصالح فيعطيك من عنده. كلُّنا عبيدٌ لله؛ رزقُنا وأجلُنا بيده.

ولا يطلب الله تبارك وتعالى من أحدٍ أن يُطعمه أو يرزقه: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾. فحين يُكلِّفهم بالإنفاق على المحتاجين والمحرومين؛ فإنما لتزكية أنفسهم وتطهيرها من البخل والشحِّ، ولتطمئنَّ قلوبُهم ويرسخ في أنفسهم وحواسِّهم أن ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾، فلا تبخل نفوسُهم ولا تخاف فقرًا فتحجم عن الإنفاق.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّها الناسُ، اتقوا اللهَ وأجملوا في الطَّلب، فإنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تستوفيَ رزقَها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا اللهَ وأجملوا في الطَّلب، خذوا ما حلَّ ودَعوا ما حرُم**». بمعنى: التزموا شرع الله في طلب الرزق، خذوا ما أحلَّ الله لكم، واتركوا ما حرَّم عليكم، ولا تستعجلوا أرزاقكم بمعصية الله، فلن تنالوا إلا ما قُدِّر لكم، وأنفقوا ممَّا رزقكم الله ولو بشقِّ تمرة. ومعنى ذلك أيضًا: ألَّا يكون الجهدُ كلُّه والعملُ مُنصبًّا على تحصيل الرزق؛ فإنه مكفولٌ من الله، فأجملوا في طلبه، ولا تطلبوه بمعصية الله، وليكن جهدُكم مُنصبًّا على تحقيق العبودية لله بإخلاص طاعته والتجرُّد إليه بإقامة دينه، وتحقيق شريعته حاكمةً ومهيمنةً على تصريف شؤون حياة الناس وتنظيمها وحكمها بالرشد والإحسان والعدل والإنصاف، بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. ربَّنَا اغفرْ لنا ولوالدَيْنا ولِمَن له حقٌّ علينا، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، واعتِقِ اللهم رقابَنا ورقابَ آبائنا وأمهاتنا من النار، واجعلنا من عتقاء شهر رمضان. وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).■

إسقاط فكرة الاستدلال باختلاف المطالع على دخول الشهور القمرية، وإسقاط فكرة أن لكل أهل بلد رؤيتهم للهلال

بحث شرعي فلكي يتناول القول الفصل بين اعتبار الرؤية والحسابات الفلكية

الأستاذ: ثائر سلامة، أبو مالك

القسم الأول من البحث: النصوص النبوية الصحيحة

التي تتعلق بمسألة **انتهاء الشهر وابتداء الذي يليه، وعدد أيام الشهر، وعدم اعتماد الحساب،** مجمّعة بصيغة شاملة مع المحافظة على **ألفاظ الروايات الأصلية** من **الصحيحين أولاً**، ثم **السنن الأربعة** و**المسانيد الصحاح**، مع **ضم الروايات المتفرقة** من نفس الحديث ضمن متن واحد **بين أقواس.**

الحديث الأول: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، أصل الرواية: صحيح البخاري، «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً**». رواه البخاري (حديث رقم: ١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، وأبو داود (٢٣٢٠)، والترمذي (٦٨٤)، والنسائي (٢٠٩٧)، وابن ماجه (١٦٥٤). **روايات أخرى:** «فإن غمّ عليكم فاقْدُروا له» رواية مسلم، «فإن أغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين يوماً» رواية أبي داود، «فإن غُبّي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» رواية النسائي، **تنبيه:** فُسّر «فاقدروا له» بتفسيرات منها: أكمِلوا العدة ثلاثين (وهو الصحيح المعتمد عند الجمهور)، أو احسبوا له منازل القمر (قول عند الحنفية وبعض الظاهرية، لكنه مرجوح عند الجمهور). المعنى الذي تُفسِّره الروايات الصحيحة لِلَفْظ «فاقدروا له» هو إكمال العدة ثلاثين، لا تحويل مناط الإثبات إلى الحساب؛ إذ جاءت روايات مفسِّرة صريحة بـ «فأكملوا العدة/عدة شعبان ثلاثين». وعليه: فالقول بجعل الحساب طريقًا مستقلاً لإثبات الشهر لا يوافق ظاهر هذه الروايات المفسِّرة، وإن وُجدت أقوال قليلة حملت اللفظ على الحساب فهي مقيدة ومختلفة، ولا تنهض لمعارضة التفسير النبوي العملي الذي عليه جمهور واسع من أهل العلم.

الحديث الثاني: العمل برؤية الهلال لا بغيره من سبب (علامات). حديث: «لا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه»، رواه البخاري (١٩٠٦)، ومسلم ، (١٠٨٠)، فائدة: هذا نص قاطع بأن المعتبر هو **رؤية الهلال**، لا الغيم، ولا الحساب، ولا التقدير.

الحديث الثالث: الشهر يكون ٢٩ أو ٣٠ يوماً: أصل الرواية: صحيح البخاري: «**إنّا أمةٌ أمّيّة، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا** - يعني: ثلاثين، ثم قال: - **وهكذا وهكذا وهكذا**- يعني: تسعًا وعشرين.» رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، وأبو داود (٢٣١٩)، والنسائي (٢١١٠)، والترمذي (٦٨٥)،. **روايات أخرى:** «إن الشهر تسع وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه» رواية مسلم، «فإن غُم عليكم فاقدروا له» رواية الترمذي.

الحديث الرابع: الصوم يوم يصوم الناس: أصل الرواية: سنن الترمذي: «**الصوم يوم يصوم الناس، والفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحي الناس**». رواه الترمذي (٦٩٧) وقال: حسن

غريب، وأبو داود (٢٣٢٤) في بعض معناه، والدارقطني (١٦٢/٢) وصححه ابن خزيمة (١٩١٦) وابن حبان (٨٧١). **روايات أخرى:** «والفطر يوم يفطر الإمام» رواية الدارقطني، «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون» رواية ابن خزيمة.

الحديث الخامس: لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين: أصل الرواية: صحيح البخاري: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه**». رواه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢)، وأبو داود (٢٣٣٥)، والنسائي (٢١٨٨). **روايات أخرى:** «إلا أن يكون صوماً يصومه أحدكم فليصمه» رواية مسلم، «إلا أن يوافق صوماً كان يصومه أحدكم» رواية النسائي.

الحديث السادس: الهلال لِلصوم والإفطار: أصل الرواية: سنن أبي داود: «**الهلال هلالُ صيام، والهلال هلال فطر، فلا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه**». رواه أبو داود (٢٣٢١)، وابن ماجه (١٦٥٣)، **روايات أخرى:** «فإن غُمّ عليكم فعدّوا ثلاثين يوماً» رواية ابن ماجه.

الحديث السابع: إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا: أصل الرواية: صحيح مسلم: «**إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمّ عليكم فاقدروا له ثلاثين**». رواه مسلم (١٠٨١)، وأبو داود (٢٣٢٠)، والترمذي (٦٨٤)

الحديث الثامن: حديث: «فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا»، «فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا». رواه النسائي (٢١١٧)، وأبو داود (٢٣٤٠)، وابن حبان (٨٧٦) وصححه.

حديث ابن عمر: «تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه» رواه أبو داود (٢٣٤٢)، والدارقطني (١٥٧/٢)، وصححه ابن خزيمة (١٩٠٥): **فائدة:** تدل على **الاكتفاء بشهادة العدل الواحد في رؤية هلال رمضان**، بينما يشترط شاهدان في رؤية شوال عند بعض الفقهاء.

الحديث التاسع: الصيام بنية من النهار إذا بلغ الخبر: حديث: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت الهلال، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم. قال: فأذّن في الناس أن يصوموا» رواه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، والنسائي (٢١١٥)، وفي رواية: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: إني رأيت الهلال، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: يا بلال، أذن في الناس أن يصوموا غدًا». رواه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، والنسائي (٢١١٦)، وابن خزيمة (١٩٠٧)، وابن حبان (٨٧٠)، والدارقطني (١٦١/٢)، فائدة: فيه دليل على بدء الصيام بعد طلوع الفجر إذا ثبت دخول رمضان بعده، وقد أجاز ذلك المالكية والحنابلة، وبعض الأحناف. وبعض الفقهاء استدلوا بسياقات أخرى على جواز الصيام بنية من النهار إذا لم يعلم الشخص أن رمضان قد بدأ، منهم: المالكية: قالوا يصح صوم رمضان بنية من النهار إذا ثبت دخول الشهر بعد الفجر. وأحمد بن حنبل في رواية: أجاز الصيام من النهار إذا بلغه الخبر ولم يأكل. والشافعي في قول مرجوح: أجاز النية من النهار في رمضان لعذر الجهل.

الحديث العاشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أنه

رأى الهلال، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالإفطار، فأفطروا، ثم خرج فصلى بهم المغرب.» رواه النسائي (٢١٠٦) والدارقطني، هذا يدل على: أن الخبر جاء أثناء النهار (قبل المغرب). والرؤية كانت ليلة العيد (هلال شوال). والنبي ﷺ أمر الناس بالإفطار، رغم أنهم صائمون ذلك اليوم. لم يُشترط أن يكون الشاهد من نفس البلد. ولم يُشترط أن يُبلّغ الناس قبل الفجر. بل حتى لو جاءهم الخبر أثناء النهار، كان الحكم يتغير فورًا. وهذا يؤيد مذهب من يقول بوحدة الرؤية إذا ثبتت، ويدل على أن الشريعة لا تُعلّق دخول الشهر على الحسابات أو الحدود الجغرافية الضيقة، وإنما على الرؤية الصحيحة متى بلغت المسلمين في الوقت الصالح للعمل بها. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غيم، ثم طلعت الشمس». رواه البخاري (١٩٥٩). هذا الحديث لا يدل على العمل بخبر رؤيةٍ، لكن يدل على سهولة رفع الحكم بصوم اليوم بعد تحقق خطأ التقدير، وفيه إشعار أن الحكم يمكن أن يُبنى على ما يَظهر لاحقًا، لا فقط ما كان معلوماً عند طلوع الفجر.

القسم الثاني من البحث: وحدة المطالع في إثبات الهلال واختلافها:

تُعدُّ مسألةُ رؤيةِ الهلالِ وتحديدِ بداياتِ الأشهرِ القمرية من القضايا التي تجمعُ بين العلومِ الشرعيةِ والفلكيةِ، حيثُ يتداخلُ فيها النصُّ الشرعيُّ مع المعطياتِ العلميةِ الحديثةِ. وقد أُثيرت تساؤلاتٌ حولَ إمكانيةِ توحيدِ المطالعِ بينَ بلاد المسلمين، خاصةً مع تباينِ مواقعِها الجغرافيةِ واختلافِ ظروفِ الرؤيةِ.

المصطلحات المتعلقة بالبحث مع شرح مبسط لها:

تعاريف مبسطة وشرح سهل وواضح يصلح للباحثين وطلبة العلم والمهتمين بفقه الأهلة:

١. الاقتران(Conjunction) : التعريف: هو اللحظة التي يكون فيها **القمر والشمس والأرض على خط واحد (محور واحد) تمامًا**، قبل غروب الشمس، بحيث يكون القمر بين الأرض والشمس، ولا نرى أي جزء مضيء منه. **(ملاحظة لو وقفت الأرض والشمس والقمر على خط واحد يحصل الكسوف للشمس، وهو حالة خاصة من حالات الاقتران). شرح مبسط:** تخيل أن الشمس والقمر والأرض على خط مستقيم... في هذه اللحظة يولد القمر الجديد (الهلال)، لكنه لا يُرى بعد، لأنه في جهة الشمس تمامًا. وهذه لحظة **ولادة القمر** فلكيًا، وتُحسب بدقة تصل إلى الثانية، وتُسمى أحيانًا: الاقتران المركزي.

٢. الإهلال(Visibility / Appearance) : التعريف: هي اللحظة التي **يمكن فيها رؤية الهلال بالعين أو بالتلسكوب** بعد الاقتران، وتحدث عند ابتعاد القمر قليلًا عن الشمس في السماء. أي هي **افتراق القمر عن الشمس بعد الاقتران. شرح مبسط:** الاقتران يعني أن القمر وُلد، أما «الإهلال» فيعني أن القمر بدأ يُرى، وقد يتأخر هذا الظهور عدة ساعات بعد الاقتران. نرى القمر حين يُضيء جزء منه، ويبتعد قليلاً عن نور الشمس الساطع.

٣. الاستطالة(Elongation) : التعريف: هي الزاوية بين **الشمس والقمر** كما نراها من الأرض.

شرح مبسط: كلما ابتعد القمر عن الشمس في السماء، تكبر الزاوية بينهما، وتصبح رؤيته أسهل.إذا كانت الزاوية صغيرة جدًا (أقل من ٥ درجات)، يصعب رؤية الهلال. عادة، تحتاج الاستطالة أن تكون **أكثر من ٨ درجات** لرؤية الهلال بالعين.

٤. ارتفاع القمر عن الأفق (Altitude): التعريف: هو **كم درجة** يكون القمر فوق الأفق وقت غروب الشمس. **شرح مبسط:** إذا كان القمر أعلى في السماء بعد غروب الشمس، يكون من الأسهل رؤيته. أما إذا غرب قبل الشمس أو كان قريبًا من الأفق، لا يمكن رؤيته. عادةً يجب أن يكون القمر **على الأقل ٥ درجات فوق الأفق** عند الغروب.

٥. فرق الغروب بين القمر والشمس (Time Lag): التعريف: هو الوقت الذي **يغرب فيه القمر بعد الشمس. شرح مبسط:** إذا غرب القمر بعد الشمس بزمن كافٍ، يبقى في السماء قليلاً فيصبح من الممكن رؤيته. الأفضل أن يكون الفرق **٤٥ دقيقة أو أكثر** لرؤية الهلال بالعين.

٦. الإضاءة النسبية(Illuminated Fraction) : التعريف: هي نسبة الجزء المضيء من سطح القمر عند لحظة الرؤية. **شرح مبسط:** الهلال هو أول جزء مضيء من القمر. إذا كان أقل من ١٪، يصعب رؤيته. الرؤية تبدأ عادة من ١ – ٢٪ **إضاءة.**

٧. زاوية دانجون (Limit Danjon): التعريف: هي **أصغر زاوية استطالة** يمكن عندها رؤية الهلال بالعين المجردة. **شرح مبسط:** كان يُعتقد أن العين لا تستطيع رؤية الهلال إذا كانت الزاوية أقل من **٧ درجات**، لكن بعض الدراسات الحديثة تقول: **٤,٥ درجات تكفي أحيانًا** في ظروف ممتازة.

٨. اختلاف المطالع: التعريف: هو الاختلاف بين البلدان أو الأماكن في الأرض في **مكان وزمان إمكانية رؤية الهلال. شرح مبسط:** بسبب دوران الأرض واختلاف موقع البلدان، يُرى الهلال في بعض المناطق بينما لا يُرى في مناطق أُخَر في نفس الليلة.

٩. ولادة القمر قبل الغروب أم بعده: التعريف: من الشروط المهمة: أن **يولد القمر (أي يحدث الاقتران) قبل غروب الشمس** في بلد ما. **شرح مبسط:** إذا لم يولد القمر إلا بعد غروب الشمس، فلا يمكن رؤيته في تلك الليلة. أما إذا وُلد قبل الغروب، فقد يمكن رؤيته إذا توفرت باقي الشروط.

ما المطالعُ الفلكيةُ:

تعريف المطالع فلكيًا: المطالع اصطلاحًا: هي أماكن طلوع الهلال أول مرة بعد ولادته (الاقتران). والمطالعُ تشيرُ إلى المواقعِ التي يُمكنُ منها رؤيةُ الهلالِ بعدَ غروبِ الشمسِ، وتختلفُ هذه المواقعُ بناءً على عواملَ فلكيةٍ متعددةٍ، منها: أولا: **موقعُ القمرِ بالنسبةِ للأفقِ: يؤثرُ ارتفاعُ القمرِ عن الأفقِ عندَ غروبِ الشمسِ على إمكانيةِ رؤيتهِ. ثانيا: زاويةُ الاستطالةِ: وهي المسافةُ الزاويةُ بينَ الشمسِ والقمرِ، فكلما زادت هذه الزاويةُ، زادت فرصُ رؤيةِ الهلالِ. ثالثا: ظروفُ الغلافِ الجويِّ: فلِنقاوةُ الجوِّ وخلوُّهُ من العوالقِ دور مهم في تحسينِ فرصِ الرؤيةِ.**

الاختلافُ في رؤيةِ الهلالِ: ماذا تعني المطالع الفلكية بالضبط؟

تُظهرُ الخرائطُ الفلكيةُ الحديثةُ تباينًا في إمكانيةِ رؤيةِ الهلالِ بينَ المناطقِ المختلفةِ، حيثُ تُقسَّمُ المناطقُ إلى: أولا: مناطقُ تكونُ فيها الرؤيةُ مستحيلةً: حيثُ يغربُ القمرُ قبلَ الشمسِ أو يكونُ قريبًا جدًا منها. ثانيا: مناطقُ تكونُ فيها الرؤيةُ ممكنةً باستخدامِ التلسكوبِ فقط: نظرًا لضعفِ إضاءةِ الهلالِ أو قربِهِ من الأفقِ. ثالثا: مناطقُ تكونُ فيها الرؤيةُ ممكنةً بالعينِ المجردةِ: وذلك عندَ توفرِ الظروفِ الجويةِ المناسبةِ وارتفاعِ الهلالِ بشكلٍ كافٍ عن الأفقِ.

مثالٌ تطبيقيٌّ: هلالُ شوالَ لعامِ ١٤٤٦هـ: وفقًا للتقاريرِ الفلكيةِ، حدث الاقترانُ المركزيُّ لهلالِ شوالَ لعامِ ١٤٤٦هـ يومَ السبتِ ٢٩ مارسَ ٢٠٢٥م. وبعدَ غروبِ الشمسِ في ذلكَ اليومِ، كانت رؤيةُ الهلالِ غيرَ ممكنةٍ في معظمِ البلادِ العربيةِ والإسلاميةِ نظرًا لقربِهِ من الشمسِ والأفقِ. ومع ذلكَ، كانت الرؤيةُ ممكنةً في بعضِ المناطقِ الغربيةِ من العالمِ، ما أدى إلى اختلافِ بدايةِ شهرِ شوالَ بينَ البلادِ الإسلاميةِ.

هناك إحدى عشرة مدرسة للحسابات الفلكية التي تحدد المطالع، يعني ينقسم الفلكيون لأحد عشر رأيا، كل منها له طريقته في الحساب، ولكل منها عوامل تؤخذ بالحساب تختلف عن العوامل التي تعتبرها المدرسة الأخرى، وبالتالي تختلف نتائجهم حول إمكانية رؤية الهلال أو استحالتها في مناطق العالم، اختلافات هائلة في مقدارها!!

سأقدم لكم عرضًا مفصلًا بلغة علمية فقهية دقيقة، يشرح الفروق بين الحسابات القطعية وتلك الظنية، ويفصل عوامل اختلاف مدارس تقدير إمكانية الرؤية (المطالع)، مع أمثلة وبيان القيم التقريبية لكل عامل.

- تختلف المطالع بناءً على موقع القمر بالنسبة للأفق، وزاوية ميله عن الشمس.
- فلكيًا، هناك ما يُعرف بـ»خط اتحاد المطالع»، ويفصل الكرة الأرضية إلى قسمين:
  - غرب الخط: الرؤية ممكنة
  - شرق الخط: الرؤية مستحيلة
- لكن هذا الخط يتغير شهريًا حسب دورة القمر، ما يجعل الاعتماد عليه مرنًا غير ثابت.

وعليه، فيلاحظ أن عمليتي الاقتران والإهلال تعتمدان على حركة الأرض والقمر، ففي مشرق الأرض قد يتأخر حصول الاقتران أو الإهلال أو كليهما، لأن ذلك يتوقف على موعد ميلاد القمر، وموعد اقترانه بالشمس، ومن ثم افتراقه عن الشمس (الإهلال)،

ثانيًا: أنواع الاختلاف الفلكي في الرؤية

- **قد يكون القمر وُلد بالفعل (حدث الاقتران)، لكن:**
  - لم يظهر بعد عند الغروب في بلدٍ ما.
  - وقد يحدث الإهلال بعد الاقتران لكن يكون القمر تحت الأفق في بعض المواقع.
  - أو تكون زاوية الاستطالة (المسافة الزاوية بين الشمس والقمر) صغيرة فلا يُرى.

- أو يكون القمر موجودًا لكن ضوءه مشتّت أو الجو ملوث فلا يُبصَر.
- وقد يحدث الاقتران أو الإهلال بالنسبة لبلدٍ ما بعد غروب الشمس.
- وقد يحدث الإهلال بعد الاقتران لكن يغرب القمر قبل الشمس في بعض البلدان.
- وقد يحدث الإهلال بعد الاقتران لكن يكون القمر قريبًا من الشمس بالنسبة للرؤية، أو من خط الأفق، ما يجعل رؤيته متعذرة في بعض البلدان. وغير ذلك مما يؤدي لتأخر رؤية هلال أول الشهر ليوم أو أكثر في بعض البلدان.

ولهذا، تُقسم خرائط رؤية الهلال الحديثة إلى أربع مناطق، وأحيانًا إلى خمس:

اللون في الخرائط	نوع الرؤية الممكنة
رمادي	الرؤية مستحيلة
أحمر	الرؤية ممكنة بالتلسكوب فقط
برتقالي	الرؤية ممكنة بالتلسكوب وشرط صفاء الجو
أخضر	الرؤية ممكنة بالعين المجردة
أزرق	الرؤية ممتازة ومضمونة

On March 29, the moon can be seen in North and Central Americas. On March 30, it can be easily seen in most o the world except New Zealand and Australia (See visibility curves).

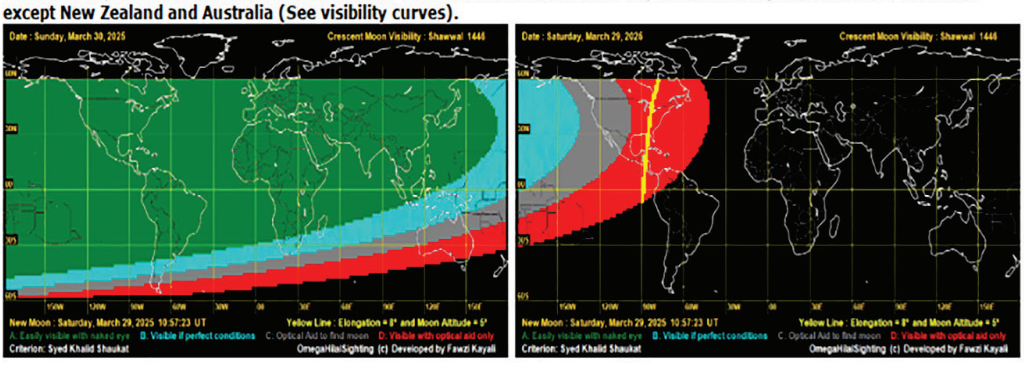

هذه المناطق التي تراها في الخرائط، والتي تجتمع تحت لون واحد هي ما يعرف بالمطالع!

مثال: خريطة من موقع: moonsighting على اليمين منها السبت ٢٩ مارس، والقسم الأيسر منها الأحد ٣٠ مارس ٢٠٢٥، المناطق الخضراء تكون الرؤية فيها ممكنة بيسر بالعين المجردة، وهكذا.

تُقسَّم خرائط رؤية الهلال الحديثة إلى مناطق ملوّنة تُظهر إمكانية رؤية الهلال في مختلف أنحاء العالم. تُشير هذه الألوان إلى «المطالع»، وهي المناطق التي تتشارك في نفس إمكانية رؤية الهلال، بغض النظر عن الحدود السياسية بين الدول. هذا يعني أن دولًا متباعدة جغرافيًا قد تقع

ضمن نفس المطالع، مما يؤدي إلى توافقها في إمكانية رؤية الهلال.

الاختلافات بين المدارس الفلكية في تحديد المطالع:

تختلف المدارس الفلكية في تحديد معايير إمكانية رؤية الهلال، ما يؤدي إلى اختلاف تقسيم المناطق على الخرائط:

- **مدرسة يالوب (Yallop): تعتمد على معايير مثل ارتفاع القمر عن الأفق، زاوية الاستطالة، وفرق الغروب بين الشمس والقمر. تُستخدم هذه المعايير لتحديد إمكانية الرؤية بالعين المجردة أو باستخدام التلسكوب.**
- **مدرسة عودة (Odeh): تستخدم معايير مشابهة مع التركيز على بيانات الرصد الفعلي وتحديث المعايير بناءً على المشاهدات الميدانية.**
- **مدرسة سايمون (SAAO): تركز على زاوية الاستطالة والارتفاع، مع اعتبار تأثيرات الغلاف الجوي على إمكانية الرؤية.**

هذه الاختلافات تؤدي إلى تباين في تحديد المطالع بين المدارس الفلكية، مما يؤثر على تحديد بدايات الأشهر القمرية في الدول المختلفة.

خلاصة: المطالع لا تتبع الحدود السياسية للدول، بل ترتبط بالظروف الفلكية والجغرافية التي تؤثر على إمكانية رؤية الهلال. لذلك، قد تشترك دول متباعدة جغرافيًا في نفس المطالع، ما يستدعي تنسيقًا وتوحيدًا في تحديد بدايات الأشهر القمرية بناءً على المعايير الفلكية والرؤية الشرعية.

انظر على سبيل المثال وقارن بين الخريطتين التاليتين اللتين تتعلقان بالأول من مايو ٢٠٢٢، بداية لشهر شوال ١٤٤٣هـ حيث تجد أن مساحة هائلة مثل شمال إفريقية كله تحتاج لتلسكوب للرؤية، بينما في الثانية قد يرى الهلال بالعين المجردة في تلك المناطق، ومناطق تمتد من شرق الأرض إلى نحو منتصف الهند اختلفت التقديرات في إمكانية الرؤية بينها.

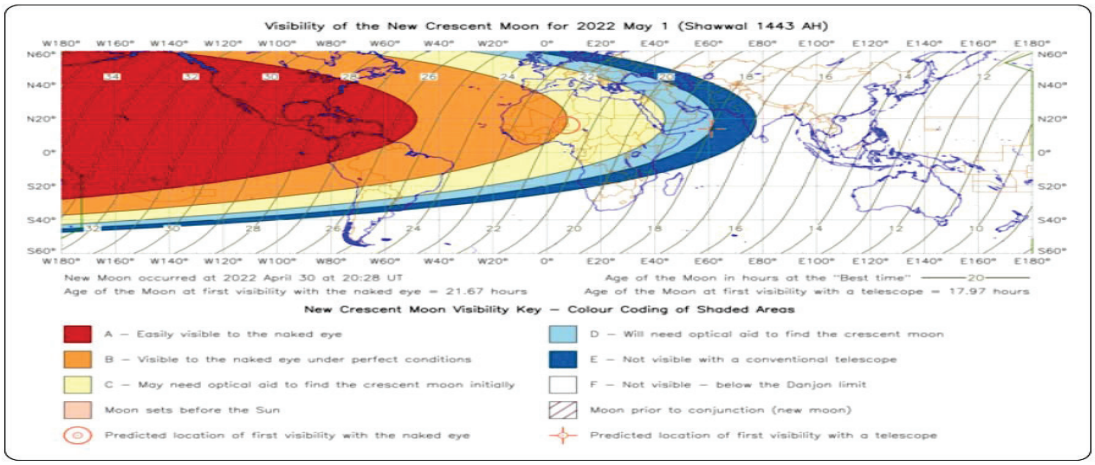

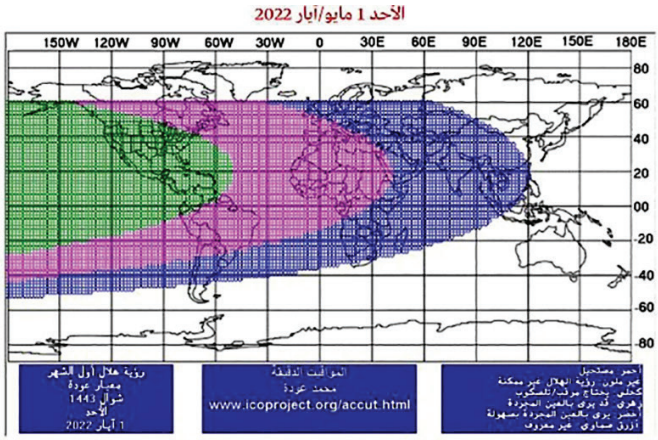

باعتماد التقويم الهجري العالمي المبني على حساب إمكانية رؤية الهلال، فإن بداية الشهر في النطاق الشرقي تكون يوم الإثنين 02 مايو/آيار 2022، وبداية الشهر في النطاق الغربي تكون يوم الإثنين 02 مايو/آيار 2022. الرجاء ملاحظة أن التقويم الهجري العالمي يعتمد على الحسابات المسبقة (أي لا ينتظر الرصد العملي و رؤية الهلال) وهو يتبنى معياراً معيناً لبدء الشهر الهجري الجديد. وقد تتبنى بلدك أو منظمتك معياراً آخر لبدء الشهر، لذا فإننا ننصح وبشدة أن يتم الاطلاع عما جاء في صفحة التقويم الهجري العالمي في موقعنا قبل إصدار أي أحكام.

الفرق بين الحسابات القطعية والظنية في رؤية الهلال، أهم العوامل التي تدخل في الحسابات الفلكية:

النوع	ما هي؟	مدى الاعتماد عليها شرعًا	هل هي قطعية؟
الحسابات القطعية	حساب ولادة القمر (الاقتران الفلكي)	يمكن الاعتماد عليها لنفي الرؤية فقط (إذا لم يولد القمر، لا يمكن رؤية الهلال)	✓نعم (دقيقة جدًا إلى الثواني)
الحسابات الظنية	حساب إمكانية رؤية الهلال بعد ولادته	لا يعتمد عليها شرعًا إلا استئناسًا، لأنها تخضع لاحتمالات كثيرة	✗لا، لأنها تعتمد على عوامل كثيرة متغيرة

ماذا تعني «إمكانية الرؤية»؟ ولماذا هي ظنية؟

إمكانية الرؤية لا تعني وجود الهلال فحسب، بل أن يكون مرئيًا بالعين أو التلسكوب بناء على عشرات العوامل الدقيقة، بعضها لا يمكن حسمه رياضيًا. أبرز هذه العوامل:

١. **عمر الهلال (منذ لحظة الاقتران):**

- لا يُعتمد «عمر الهلال» وحده معيارًا قطعيًا للرؤية؛ لأن قابلية الرؤية تتوقف على معايير هندسية ورصدية متعددة (الاستطالة، وارتفاع الهلال، والزمن الفاصل بين غروب الشمس وغروب القمر، وصفاء الجو وخبرة الراصد...)؛ ولذلك صرّحت جهات علمية بأن التنبؤ بالرؤية اعتمادًا على العمر وحده غير يقيني، وأن الهلال في الأيام الأولى يكون قريبًا من الأفق ويُرى في شفق شديد، وقد يتعذر رغم تحقق الاقتران. وعليه: فالأقوى بحثيًا أن يُتخذ «العمر» مؤشرًا ثانويًا، وأن يُجعل معيار «الاستحالة القطعية» فيما يقطع به أهل الاختصاص، ككون القمر تحت الأفق أو غروبه قبل

الشمس أو وقوع الاقتران بعد الغروب في ذلك الموضع.

- القيم المعروفة في الدراسات العلمية الفلكية المعتبرة (وهي أرقام يُستأنس بها، وليست معايير حدية، مع ملاحظة أن عمر الهلال عاملٌ ثانوي، والمعايير الأوثق هي الزاوية/الاستطالة، ارتفاع الهلال، والزمن الفاصل بين غروب الشمس والقمر، وأن النفي القطعي يثبت بأمور «وجودية»، ككون القمر تحت الأفق أو غروبه قبل الشمس.): **أقل عمر لهلال رُئي بالعين: ١٥ ساعة. أقل عمر لهلال رُئي بالتلسكوب: ١٢ ساعة. أقل عمر لهلال رُصد بالتصوير CCD: ٧,٥ ساعات. لكن هذا لا يكفي لوحده.**

٢. الاستطالة الزاوية (Angle of Elongation) (عامل حاسم):

- **هي المسافة الزَّاوِيَّة بين الشمس والقمر.**
  - **عادة يُشترط: ≥ ٨° للرؤية بالعين المجردة.**
  - **≥ ٥° للرؤية بالتلسكوب.**
  - **بعض المدارس تعتمد حد دانجون (Limit Djungun): كان يُقدّر بـ ٧°، لكن بعض الدراسات الحديثة قلّلته إلى ٤,٥° فقط.**
- ارتفاع القمر عن الأفق وقت غروب الشمس (عامل حاسم): رؤية الهلال غير ممكنة إذا غرب القمر قبل الشمس. **القيم المقبولة:**
  - **≥ ٥° درجات فوق الأفق للرؤية بالعين.**
  - **≥ ٢° درجات للرؤية بالتلسكوب.**
- **فرق غروب الشمس والقمر (عامل حاسم) (Time Lag): الفارق الزمني بين غروب الشمس وغروب القمر. الرؤية ممكنة غالبًا إذا كان:**
  - **الفارق ≥ ٤٥ دقيقة (عين مجردة).**
  - **الفارق ≥ ٢٠ دقيقة (تلسكوب).**

٣. سطوع سطح القمر(Illuminated Fraction) :

- **أقل نسبة سطوع رُئي فيها الهلال كانت ٠,٥٪ من سطحه.**
- **لكن الرؤية المريحة تبدأ من ١,٠ – ١,٥٪.**

ثالثًا: مدارس الحساب الفلكي لإمكانية الرؤية

يوجد ما لا يقل عن ١١ مدرسة أو معيارًا فلكيًا عالميًا، أبرزها:

المدرسة	تعتمد على	أشهر الخصائص
Ilyas (Malaysia)	الاستطالة + الارتفاع + الفارق الزمني	دقيقة لكن تُفترض شروط جوية مثالية
SAAO(جنوب إفريقيا)	الزاوية الرأسية للقمر	تركّز على الارتفاع فقط

Yallop Criterion (UK)	نماذج إحصائية من رصدات حقيقية	تُحدد مناطق الرؤية بعد تحليل آلاف الرؤى
Odeh (ICOP)	توليفة من عوامل فلكية وتجريبية	تستخدم بيانات أكثر واقعية، مع خريطة ملونة دقيقة
Quraish Shihab(إندونيسيا)	ارتفاع القمر + عمره	تشترط عمر ٨ ساعات على الأقل
Islamic Crescents' Observation Project (ICOP)	توليفة من البيانات + شهادات شهود	تحديث شهري للمطالع

كل مدرسة تتجاهل أو ترجّح بعض العوامل على حساب الأخرى، وهذا ما يؤدي إلى الاختلافات الواسعة التي قد تبلغ ثلث مساحة الكرة الأرضية في بعض الحالات!

رابعًا: العوامل غير الفلكية التي تؤثر في الرؤية:

- **تضاريس المكان: الرؤية من جبل تختلف عن الرؤية من وادٍ أو سهل، والخرائط لا تأخذ هذا في الحسبان غالبًا.**
- **حالة الغلاف الجوي: الغبار، والرطوبة، والتلوث، والرؤية الأفقية... تؤثر جميعها بشدة على قدرة العين أو التلسكوب.**
- **حدة بصر الراصد وخبرته: راصد محترف يرى الهلال أسرع من غيره.**
- **اختلاف الإضاءة القمرية من تضاريس سطح القمر نفسه: ليست كل مناطق القمر تعكس الضوء بنفس القوة.**
- **سرعة القمر ومداره: القمر لا يتحرك بسرعة ثابتة لأنه يدور في مدار إهليلجي، ما يغير التوقيت الدقيق للرؤية.**

خامسًا: مثال من الواقع – الخلاف بين مدرستين في نفس الليلة

لنأخذ مثالًا حقيقيًا: ليلة ٢٩ رمضان ١٤٤٤هـ:

- **خريطة Yallop: تقول إن الرؤية بالتلسكوب ممكنة من إندونيسيا إلى غرب الهند.**
- **خريطة ICOP: تعتبر نفس المنطقة غير قابلة للرؤية إطلاقًا.**

الاختلاف بلغ آلاف الكيلومترات، وكل مدرسة لها منهجية علمية!

سادسًا: لماذا لا يُمكن القطع بالرؤية؟ لأن:

- المعلومات المطلوبة معقدة ومتشعبة جدًا.
- وتتطلب نظامًا عالميًا لجمع بيانات الطقس والرؤية والبصر والموقع والتضاريس بدقة لحظية.
- وموقع المشاهد على سطح الأرض، فمثلا كل الحسابات لا تأخذ بالاعتبار تضاريس الأرض وتفترض أن المشاهد يشاهد من مركز الأرض أو على خط الاستواء، ويحسبون الأمر من مركز القمر

ومركز الشمس أيضا! وهذا بالتأكيد سيفضي إلى نتائج ظنية جدا لا قطعية.

• ولا يوجد اليوم كمبيوتر «فلكي الخصائص والقدرات» يجمع هذه المعطيات كلها بدقة لحظية. ولو أخذ الفلكيون بكل هذه العوامل لأضحت الحسابات بالغة التعقيد وتحتاج لخوارزميات وأجهزة كمبيوتر جبارة إضافة إلى مشكلة الكم الهائل من المعلومات التي ينبغي جمعها لتحديد المطالع بشكل قطعي!

لذلك، الحساب الفلكي للرؤية الظاهرية للهلال موغل في الظنية، في حين أن الحساب الفلكي لولادة الهلال قطعي يقيني.

تحرير محل النزاع: حساب (نفي) وحساب (إثبات)

التفريق المنهجي الذي يرفع الإشكال: أن «حساب ولادة القمر/الاقتران وأوقات الغروب» أقرب إلى القطع ويُستفاد منه في نفي الشهادات المستحيلة (لأنه يتناول أمورًا وجودية)، بينما «حساب إمكان الرؤية» يدخل فيه تفاوت المعايير وتغير الظروف فيبقى في الجملة ظنيًا/احتماليًا، فلا يصح جعله طريقًا مستقلًا لإثبات الشهر. وبذلك تبقى الرؤية هي الأصل، ويكون دور الفلك: (١) تحديد وقت الترائي ومكانه، (٢) وردّ دعوى الرؤية المستحيلة، (٣) لا إنشاء دخول الشهر بلا رؤية.

روابط لمتابعة الخرائط الفلكية الحقيقية:

١. **Project Observation Crescents Islamic - ICOP**

٢. **Moonsighting.com**

٣. **Office Almanac Nautical HM (المملكة المتحدة) – يقدم بيانات فلكية دقيقة عن ولادة القمر، والاقتران، وغروب الشمس والقمر: https://astro.ukho.gov.uk**

٤- **Time and Date – Moon Visibility Maps خرائط تفاعلية تعرض مناطق إمكانية رؤية الهلال حول العالم بالعين أو التلسكوب، بتوقيت محلي ومحدد لكل مدينة:**

htpps://www.timeanddate.coom/moon/visibility.htl

الموقفُ الشرعيُّ:

يستندُ الفقهاءُ في تحديدِ بدايةِ الأشهرِ الهجريةِ إلى حديثِ النبيِّ ﷺ: «**صوموا لرؤيتِهِ وأفطروا لرؤيتِهِ، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدةَ ثلاثينَ يومًا**» (رواه البخاريُّ ومسلمٌ). ويُفهمُ من هذا الحديثِ أنَّ الاعتمادَ يكونُ على الرؤيةِ البصريةِ للهلالِ، معَ إكمالِ عدةِ الشهرِ ثلاثينَ يومًا في حالِ تعذُّرِ الرؤيةِ.

• ومن أقوى ما يُستأنس به في تحرير المسألة ما انتهى إليه قرار مجمعي معتبر: أن الأصل هو اعتماد الرؤية، وأن المسلمين إذا ثبتت الرؤية في بلد لزمهم اعتمادها دون تعليق ذلك على اختلاف المطالع، مع جواز الاستعانة بالحساب والمراصد، لا باعتبارها طريقًا للإثبات، بل باعتبارها وسيلة خبرة تُعين على الترائي وتمنع الاضطراب.

• **محور اللسان والنص:** التمسك بعموم خطاب «صوموا... وأفطروا...» وأنه خطاب للأمة

لا للأقطار، وأن الرؤية جاءت مطلقة (لرؤيته) لا مقيدة برؤية أهل البلد فقط، ولا يوجد دليل تخصيص لها بأهل بلد دون غيرهم شرعا، فتبقى على عمومها.

- **محور نقد قياس التوقيت الشهري على اليومي:** الصلاة والإمساك والإفطار تتعلق كلها بحركة الشمس اليومية التي تتغاير بالضرورة بين الأماكن، أما ابتداء الشهر فمرتبط بالهلال (وبالترائي بعد الغروب) فلا يصح جعل «اختلاف اليوم داخل اليوم» دليلًا على «اختلاف يوم ابتداء الشهر» على الصورة القُطرية المعاصرة.
- **محور حديث كريب:** أن الاستدلال به على أن «لكل بلد رؤيته» ليس محل اتفاق، وأنه يُفهم على وجوه، منها أن ابن عباس اجتهد بنص «صوموا...» أو أنه لم يبلغه خبر الشام في وقته، بل بلغه في نهاية الشهر. كما أن الشافعية أنفسهم ليسوا كلمة واحدة؛ فقد نقل النووي في شرحه وجود قول عند بعض أصحابه بعموم الرؤية لجميع أهل الأرض، وإن كان «الصحيح عند أصحابه» خلاف ذلك.
- «لا طاعة في معصية، وإنما الطاعة في المعروف»؛ فإذا أُلزم الناس في بلدٍ من البلدان ما يخالف نصوص الرؤية (كإثبات الشهر بالحساب وحده أو قبول شهادة مستحيلة)، فلا يُتبع ذلك من جهة «الطاعة»، لأنه ليس «معروفًا» شرعًا.

الاختلافُ الفقهيُّ في اعتبارِ المطالعِ:

اختلفَ العلماءُ في مسألةِ توحيدِ المطالعِ بينَ البلاد الإسلاميةِ:

- **الرأيُ الأولُ: يرى أنَّ لكلِّ بلدٍ رؤيتَهُ المستقلةَ، استنادًا إلى حديثِ كريبٍ عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما، حيثُ لم يُلزمْ أهلَ المدينةِ رؤيةَ أهلِ الشامِ.**
- **الرأيُ الثانيُ: يدعو إلى توحيدِ المطالعِ، مستدلًا بعمومِ حديثِ النبيِّ ﷺ: «صوموا لرؤيتِهِ...»، معتبراً أنَّ الخطابَ موجَّهٌ للأمةِ جمعاءَ.**

بكل تأملٍ في أصول الشريعة ومقاصدها، يتبيّن لنا أن الأحكام الشرعية لا تُعلّق على ما تعسّر علمه، ولا تُبنى على ما يعسر إدراكه إلا لندرة من الناس، ناهيك عن أن الخبراء الفلكيين أنفسهم لا يعرفونه ولا يستطيعون تحديده بصورة تبلغ القطع بله الظن الراجح، وإنما هي ظن أقرب إلى الشك منه. بل جاءت نصوص الشرع وقواعده الكبرى مؤكدة أن الشارع الحكيم لا يُكلّف إلا بما يُطاق، ولا يُعلّق الأحكام التكليفية، وخاصة الفرائض العظيمة كالصيام، على أمور غامضة عسيرة التحديد لا يعرفها حتى المتخصصون الدقيقون، بل يتضاربون فيها تضاربا بالغ الشدة.

قاعدة: «التكليف بما لا يُعلم أو بما لا يُطاق مرفوع شرعًا»: قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ **البقرة: ٢٨٦، وقال سبحانه:** ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ **الحج: ٧٨، وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه، فالعباداتُ الكبرى، كالصلاة والصوم، مبنية على علامات ظاهرة يدركها عامة الناس، لا على حسابات فلكية معقدة، يتناقض أهل الاختصاص أنفسهم في تحديدها، ولا على تفرّعات علمية يتعذّر على المكلف أن**

يعرفها أو يتأكد من صحتها.

تطبيق القاعدة على مسألة المطالع:

إن تعليق وجوب الصيام أو الفطر على تحديد المطالع الفلكية يُدخل الأمة في حرج عظيم، إذ إن:

١. الفلكيين أنفسهم يختلفون في تحديد المطالع، بناء على مدارس حسابية مختلفة (أكثر من ١١ مدرسة كما تقدم).

٢. عامة المسلمين، بل أزعم أن أغلب العلماء والفقهاء، لا يعرفون ما المطلع الذي ينتمون إليه بصورة اليقين أو الظن الغالب، وإنما بصورة أقرب إلى الشك والاحتمال. بل إن كثرة منهم تظن أن لكل أهل بلد مطلعهم المرتبط بالحدود السياسية، وبالحاكم الذي ليس بالأصل وليا للأمر، فيظنون أن الهلال يتبع الحدود السياسية في ولادته وهذا أمر بالغ الخطأ!

٣. لا يصح جعل «الحدود السياسية الحديثة» مناطًا شرعيًا لتقييد خطاب الرؤية؛ فالمناط هو ثبوت الرؤية شرعًا وبلوغ الخبر. وأما مسألة متابعة إعلان جهةٍ ما، فليست من باب «طاعةٍ مطلقة»، بل تُقيَّد بأصلٍ محكم: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»، فإذا بُني الإعلان على ما يخالف النصوص (كاعتماد الحساب وحده أو قبول شهادة مستحيلة) لم يجز شرعًا تعليق العبادة عليه.

٤. المطالع لا تُعرف بحدود سياسية أو جغرافية، بل هي مناطق فلكية متغيّرة شهريًا يصعب حصرها أو تحديدها بدقة بدون خرائط محدثة ومعرفة متخصصة.

ولو قيل للناس: لا تصوموا إلا إذا تحققتم أن منطقتكم تشترك في نفس «المطلع الفلكي» مع الدولة أو البلد الذي رُئي فيها الهلال لكان ذلك من تعليق الحكم على أمرٍ مجهول أو عسير الإدراك لا يعرفه إلا بعض المتخصصين.

وهذا يخالف مقصد الشرع من الوضوح في أمارات العبادات، ويؤدي إلى البلبلة والاضطراب، وربما إلى اختلاف الأمة في يومٍ تصوم فيه أو تفطر فيه، لا لأجل الرؤية، بل لاختلافهم في تصنيف المطالع!

ولا يكاد يمر رمضان أو عيد إلا وتدخل الأمة في الاختلاف والفرقة نتيجة هذا الرأي الذي لا يوجد له أصل شرعي كما سنوضح بعد قليل بالدليل.

ولهذا جاءت الشريعة بأحكام عملية واضحة:

- **رؤية الهلال بالبصر لا بالحساب.**
- **وقبول شهادة العدل برؤية الهلال.**
- **وعدم تعليق الصيام على المعارف الفلكية البحتة.**
- **ورفض اعتبار المطالع التي لا يمكن تحديدها بيقين إلا لمن اختصّ بعلم نادر.**

يقول الإمام ابن تيمية:

»الشارع علّق الحكم على الرؤية، ولم يعلقه بالقدرة على الحساب، لأنها ليست في طاقة العامة، ولا يعرفها إلا قلة من الناس« مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٣٢ ، علما بأننا قد أثبتنا الفرق بين الحسابات التي يعرفها القلة من الناس وهي المتعلقة بميلاد القمر، وبين الحسابات الموغلة في الظن المتعلقة بحسابات إمكانية رؤية الهلال، وهذا الفرق لم يكن معروفا زمن ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولا زمن الفقهاء الجهابذة القدماء.

ويرى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في دورته الثالثة في جمادى الآخرة ١٣٨٦ هجرية - أكتوبر ١٩٦٦ «بأنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قَلّ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التي لا تشترك في جزء من هذه الليلة».

النتيجة:

إن الشارع الحكيم لم يجعل المطالع الفلكية المجهولة أو المتغيرة شرطًا لوجوب الصوم أو الفطر، بل جعل الرؤية البصرية هي المعيار، وجعل الخبر الثابت بها من عدل أو شاهدين هو الحاسم، وذلك تحقيقًا للتيسير والعدل، وإزالةً للحرج والاضطراب.

فكل قول يُعلّق صيام الأمة أو إفطارها على تحديد دقيق للمطالع، وهو أمر لا يعلمه الناس، ولا يقدرون عليه، فهو قول يُخالف قواعد الشريعة، وإن بدا ظاهره منضبطًا عند بعض المتخصصين.

فماذا عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما؟

حسنًا، من أين جاءت فكرة المطالع في الفقه الإسلامي؟ لا شك أنك تعلم أنها جاءت بناء على تأويل بعض العلماء لفهم الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، في السؤال الذي سأله كُريب، وهو رواية نَقَلت لنا فهم الصحابي للمسألة:

عن كُريب قال: بعثتني أمّ الفضل إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام، فقضيت حاجتها، واستهلّ عليّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس، ثم ذكر الهلال، فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا، وصام معاوية. فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين أو نراه. فقلت: أولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ. رواه مسلم (حديث رقم ١٠٨٧) في السنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ٢٠٢): ورد هذا الحديث بنفس السياق، وفيه أيضًا: »فقدمت المدينة في آخر رمضان«. في السنن الكبرى للنسائي: ورد الحديث بنفس ألفاظ مسلم تقريبًا، وذكر فيه «ثم قدمت المدينة في آخر الشهر«.

لتحليل هذا الفهم والاجتهاد من ابن عباس رضي الله عنهما نقول: كان على ابن عباس رضي الله عنهما أن يرجح بين ثلاث قضايا: أولا «صوموا لرؤيته ... فإن غم عليكم»، فأهل المدينة عملوا

بهذا في بداية الشهر، وبالتالي بالنسبة لابن عباس صيامهم صحيح وعلى السنة! ولم يصلهم خبر برؤية غيرهم للهلال في اليوم الذي غُبي عليهم ولم يروه، ليصبح اليوم الأول من الشهر هو الجمعة بدلا من السبت، أي ليعملوا بناء عليه فيصوموا الجمعة، ولكن وصلهم الخبر في آخر الشهر! فهل عملهم في أول الشهر على السُّنَّة؟ لا شك في ذلك!

الثانية: «الشهر ٢٩ يوم أو ٣٠ يوم» بنص الحديث، ونص رواية كريب أنه جاءه في «آخر الشهر» يسأله، معنى ذلك أنهم في يوم ٢٨ رمضان ويريد أن يسأله هل نعمل برؤية معاوية وبالتالي اليوم ليس ٢٨ بل هو ٢٩، فهل نراقب الهلال الليلة؟ ابن عباس رضي الله عنهما أَعْمَلَ الشطر الثاني من الحديث المتعلق بعدد أيام الشهر، فرفض المراقبة تلك الليلة لأن أحداً لا يراقب ليلة ٢٩ أي مساء ٢٨، فهو بهذا سيجعل الشهر ٢٨ يوماً لو شاهد الهلال! من جهة، ومن جهة ثانية فالشهر عنده بنص الحديث ٢٩ أو ٣٠، ومعنى ذلك أن المراقبة تتم مساء ٢٩ وليس مساء ٢٨، ومعنى ذلك أيضا أن أقصر مدة للصيام هي ٢٩ وليست ٢٨ يوما!

والمسألة الثالثة مسألة هل رؤية معاوية رؤية لأهل المدينة أم لا؟ ولو كانت وصلتهم بداية الشهر لكانت ملزمة لهم عملا بأحاديث أخرى وصل خبر الرؤية من البادية في أول يوم من الشهر فعمل بها رسول الله ﷺ، كان الناس صياما فأمرهم الرسول ﷺ بالإفطار عصر ذلك اليوم حين وصله الخبر برؤية الهلال ليلة أمس ! عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الهلال، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالإفطار، فأفطروا، ثم خرج فصلى بهم المغرب». لاحظ أن الرائي شاهد الهلال بعد مغرب اليوم السابق، واستمر في السير تقريبا نهارا كاملا حتى وصل المدينة من ذلك المكان البعيد وأعلمهم وقت العصر برؤيته بالأمس، فأجراها النبي ﷺ وعمل بها. ولا فرق لو كان تأتّى لذلك الرائي أن يكون قدم من الشام إلى المدينة في نفس اليوم (باستعمال المواصلات الحديثة) ليعمل العاملون بخبره، فلم يسأله الرسول ﷺ من أين مقدمك، ولا اعتبر أن لأهل تلك البقعة البعيدة رؤيتهم الخاصة، إنما في حال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن الاتصالات والمواصلات ميسرة لإيصال الخبر في الوقت المناسب. لكن أن يصل ابنَ عباس رضي الله عنهما خبرُ الرؤية آخرَ الشهر فهذا إشكال عليه أن يرجح بينه وبين مدة الشهر من جهة التي نص عليها الحديث، وبين صحة عملهم في أول الشهر حين غُبي عليهم الهلال، فأعملوا نص الحديث أيضا فلم يصوموا يوم الجمعة، لذلك رجح ابن عباس رضي الله عنهما المسألة الأولى والثانية على الثالثة! وليس السبب في ذلك الترجيح هو فهم ابن عباس رضي الله عنهما أن المطالع تختلف، ولكنه قال معللا: هكذا أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ!، وباستقراء الأحاديث التي وصلتنا عن رسول الله ﷺ والتي أوردناها في أول البحث يتبين لنا أنها لا تعتبر المطالع نهائيا ولا في نص منها! وأن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرجح بين العمل بمجموعة أحاديث ليسقطها على حادثة جديدة فيعمل بها، لا أن لديه حديثًا خاصًا يحل الإشكال وحده، وعليه ففكرة إقحام مطالع القمر بابتداء الشهر لا أصل لها في الشرع وإقحامها فيه خطأ لا إمكانية للصواب فيه، إذ إن نص فتوى ابن عباس رضي الله

عنهما لم تذكر علة لاجتهاده، وإنما فهمها فقهاء من المسلمين جاءوا فيما بعد، والآن وقد تبين أن الفلكيين غير قادرين على تحديد المطالع بدقة تجعلها صالحة لمعارضة الرؤية، فإن أقصى ما تفيد هو أن يستأنس بها،

الرد الحاسم على القول بإثبات الشهر بالحساب الفلكي استقلالًا:

في باب «إبطال إثبات الشهر بالحسابات الفلكية وحدها»، حصل الاستناد إلى قرارات مجمعية معاصرة معتبرة، وفي مقدمتها قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي قرّر وجوب اعتماد الرؤية مع الاستعانة بالحساب والمراصد (لا إحلال الحساب محل الرؤية)، وإلى نقلٍ فقهي معتبر عن الإجماع/العمل التاريخي عند جمع من أهل العلم في عدم جعل الحساب طريقًا مستقلًا لإثبات الأهلّة.

لا نستطيع في هذا الباب ادعاء الإجماع المتحقق، لكننا نستطيع إثبات أن النصوص الشرعية جعلت طريق الإثبات تعبديًا بالرؤية أو إكمال العدة، وأن تحويل «العلم الفلكي» إلى «طريق إثبات مستقل» ينقض ظاهر النص، وأن ما جرى عليه أكثر أهل العلم تاريخيًا هو منع ذلك، مع الاعتراف بوجود أقوال قليلة (قديمة وحديثة) خالفت الجمهور.

وأقوى ركيزة نُدرجها هنا: نقل ثابت عن ابن رشد أنه قال في «بداية المجتهد» ما معناه: إن العلماء أجمعوا على أن الاعتبار في تحديد رمضان إنما هو الرؤية، استنادًا للحديث. هذا النقل شائع الاستعمال في تحرير محل النزاع لأنه يقرر الأصل الشرعي بصورة مباشرة (الرؤية أو إكمال العدة).

الركيزة المؤسسية المعاصرة الأشد نفعًا هنا هي: قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي (١٩٨٦) نصّ على: (١) إذا ثبتت الرؤية في بلد وجب التزامها ولا عبرة لاختلاف المطالع، (٢) يجب اعتماد الرؤية، ويستعان بالحساب الفلكي والمراصد مراعاة للأحاديث والحقائق العلمية. هذا القرار يخدمنا في نقطتين معًا: إسقاط «اختلاف المطالع» بوصفه مانعًا من لزوم الرؤية، وإبطال «اعتماد الحساب وحده» بوصفه بديلًا من الرؤية.

ومن حيث «نقض الأدلة النصية» التي يُستدل بها لإحلال الحساب محل الرؤية: فإن من أشهر ما يستدل به القائلون بالحساب تفسير «فاقدروا له»، بمعنى «احسبوا منازل القمر». ويمكن ردّه علميًا وحديثيًا وفقهيا بأن روايات الحديث فسرت «فاقدروا» بـ "أكملوا العدة ثلاثين" في الصحيحين، وهو تفسير يرفع الاحتمال، مع التنبيه إلى أن بعض العلماء نقل وجود أقوال قليلة حملتها على الحساب، لكنها ليست المعتمد عند الجمهور.

أما القول المعاصر الذي تتبناه بعض المؤسسات -مثل دار الإفتاء المصرية- بأن الحساب قطعي والرؤية مظنة خطأ، وأنه يمكن الاعتماد على الحساب لإثبات بدايات الشهور، فهو يحتاج إلى ردّين متكاملين:

- ردّ أصولي: **القطع الحسابي لا يجعل الحساب «سببًا شرعيًا» ولا «طريقًا شرعيًا مستقلًا» إذا لم يجعله الشارع كذلك**؛ فالشارع نص على الرؤية أو الإتمام طريقًا للإثبات، ولم يجعل مجرد

العلم بالاقتران سببًا للصوم.

- ردّ منهجي: حتى داخل هذا الاتجاه، ثمة اعتراف فقهي موروث بأن «الحساب القطعي» يُعمل به في **النفي** لا في **الإثبات** (أي لإسقاط شهادةٍ مستحيلة لا لإثبات الشهر بلا رؤية)، وقد نقلت دار الإفتاء نفسها نص القليوبي عن العبادي في رد الشهادة عند دلالة الحساب القطعي على عدم الإمكان، وهذا يُستثمر لصالحنا هنا: «نستخدم القطع الفلكي لإبطال دعوى الرؤية المستحيلة، لا لإثبات الشهر بلا رؤية».

وبصياغة حاسمة تصلح «نتيجةً للبحث»: **اعتماد الحساب لإثبات بداية الشهر استقلالًا تحويلٌ لطريق الإثبات الشرعي من الرؤية إلى الحساب، وهو مصادمة لظاهر النصوص ولقرارات مجمعية معتبرة، بينما الاستعانة بالحساب لضبط وقت الترائي أو لإسقاط الشهادة المستحيلة داخلةٌ في باب الخبرة والقرائن القضائية لا في باب جعل الحساب طريقًا بديلًا للرؤية.**

الضبط العلمي لمفهوم الاستحالة الفلكية التي تُسقط الشهادة دون تحويل الإثبات إلى حساب

التمييز العلمي وهو مفتاح الاتساق المنهجي:

- «الاستحالة القطعية»: عناصر هندسية/فيزيائية تجعل وجود الهلال المرئي **منتفيًا** في ذلك المكان أو الزمان، بحيث لا يبقى مجال لوهم «رؤية صحيحة».
- «ضعف الإمكان/الاستبعاد»: عناصر رصدية/إحصائية تجعل الرؤية شديدة الصعوبة لكنها لا تبلغ حد الاستحالة المطلقة في كل الظروف.

أقوى ما نعتمده في «الاستحالة القطعية» (ويُستحسن جعله معيارًا قضائيًا) هو اجتماع أحد الشروط الآتية، لأنها ليست «معيار مدرسة»، بل «شرط وجودي» للرؤية:

- أن يكون القمر **تحت الأفق وقت غروب الشمس** (أي ليس فوق الأفق أصلًا).
- أو أن يكون **غروب القمر قبل غروب الشمس** (زمن فاصل/lag سلبي)، فلا يوجد وقت بعد الغروب يمكن فيه رؤية هلالٍ بعد الغروب. تعريف «الزمن الفاصل» بوصفه الفرق بين وقت الغروبَين وكونه عاملًا حاسمًا في قابلية الرؤية مذكور في أدبيات الرصد.
- أو أن يكون القمر في طور «قرب شديد جدًا من الشمس» بحيث يكون «هلالٌ مرئي» غيرَ متشكل/غير قابل للرؤية بسبب الاستطالة الصغيرة (وهنا ينبغي استعمال مصطلح «حد دانجون» بحذر: يفيد تقريبيًا وجود حد أدنى للاستطالة لا يتشكل دونه الهلال على النحو المرئي).

لمساعدة القارئ على تصور الفرق بين «القطع» و«الظن» في الفلك:**Mohammad Sh. Odeh**يقرر في دراسته أن معايير رؤية الهلال كثيرة (أكثر من ١٢ معيارًا)، وأنها تعتمد على معطيات عدة (قوس الرؤية، وعرض الهلال، والاستطالة...)، وأن النتائج تتغير بالظروف الجوية وخبرة الراصد وغير ذلك؛ وهذا بذاته يدعم فكرتنا المركزية في هذا البحث وهي أن «الحسابات التي تتنبأ بالرؤية» ليست قطعية على إطلاقها، بخلاف بعض الحسابات الهندسية المتعلقة بالموقع

والارتفاع وأوقات الغروب.

ويؤكد **United States Naval Observatory** أن تحديد وقت «المحاق/الميلاد الفلكي (New Moon)» ممكن بدقة، لكن التنبؤ برؤية الهلال اعتمادًا على «العمر» وحده ليس يقينيًا، وأن الهلال في أول يومين بعد المحاق يكون منخفضًا ويغرب بعد الغروب بقليل ويُرى في شفق شديد، ما يجعل الرؤية صعبة ومتغيرة باختلاف الظروف.

إشكالٌ مركَّب، هل تُلزِم رؤيةُ أهلِ المغربِ أهلَ إندونيسيا، رغم أن نهارهم قد انقضى قبل وصول خبر الرؤية؟

إذا ثبتت رؤية هلال رمضان في المغرب ثبوتًا شرعيًا بعد غروب الشمس هناك، فإن هذا الثبوت يجعل **اليوم الشرعي التالي في المغرب** (أي ما بين فجره ومغربه) هو **أول أيام رمضان** في حق من بلغه الخبر على وجهٍ معتبر. لكن إندونيسيا متقدمة زمنًا على المغرب بعدة ساعات، فيقع كثيرًا أن تكون لحظة ثبوت الرؤية في المغرب قد حصلت بينما تكون إندونيسيا في **أواخر الليل** أو **ما بعد منتصفه**؛ أي إن واقع الليل والنهار هنا لا يتغير بتغيّر "اسم اليوم" في التقويم، فربما كان ذلك "ليلةً" في المغرب و"ليلًا" في إندونيسيا أيضًا في اللحظة نفسها، وإن اختلفت التسمية المدنية (الاثنين/الثلاثاء)، لأن العبرة في الشرع بالليل والنهار الحقيقيين لا بملصقات التقويم. وعلى هذا، فالمناط العملي ليس: هل اتفقوا في اسم اليوم؟ بل: **هل بلغ أهل إندونيسيا ثبوت الرؤية قبل فجرهم الذي يبدأ به صوم يومهم؟** فإن بلغهم الخبر قبل الفجر أمكنهم أن يبيتوا النية ويصوموا يومهم الشرعي الذي يدخل بفجرهم، وحينئذٍ لا إشكال. أما إذا لم يبلغهم الخبر إلا **بعد طلوع الفجر**، بل قد يتأخر حتى **ينقضي نهارهم** وتغرب شمسهم، فإن اليوم الذي صار في علم الشرع من رمضان (بحسب مذهب وحدة الهلال الذي نتبناه) يكون قد **فاتهم زمن صومه** بعذر الجهل وعدم بلوغ الخبر في وقته، فلا يُطلب منهم ادعاء صوم ما مضى، ولا يصح تعليق الحكم على أسماء الأيام، وإنما يُنظر إلى حقيقة الأمر: يومٌ شرعي من رمضان (بين فجرٍ ومغرب) قد انقضى عندهم قبل العلم، فكان فواته بعذر، فيثبت حينئذٍ **حكم القضاء** عند من يرى أن ثبوت الهلال في بلدٍ ما يلزم سائر المسلمين متى ثبتت البيّنة وبلغت، لأن هذا اليوم قد تقرر كونه من رمضان، وإنما لم يُؤدَّ في وقته لعذر معتبر.

ويتأكد هذا المعنى عند النظر إلى **إشكال عدد أيام الصوم**: فإذا ابتدأ أهل إندونيسيا الصوم من أول فجرٍ يلي بلوغهم الخبر، مع ترك قضاء اليوم الذي فاتهم، فقد يقع -عند ثبوت هلال شوال في بلدٍ يشترك مع إندونيسيا في جزء من الليل ويبلغهم الخبر على وجه الإلزام- أن يُطلب منهم الانتقال إلى شوال قبل أن يبلغ مجموع ما صاموه تسعةً وعشرين يومًا، فينتهي صيامهم على **ثمانيةٍ وعشرين**، وهذا ممتنع شرعًا لأن الشهر القمري لا يكون إلا تسعةً وعشرين أو ثلاثين. ووجه الإشكال هنا ليس «اختلاف اسم اليوم» ولا «الحدود الاصطلاحية للتاريخ»، وإنما هو أن **أقصى الشرق تسبق أوقاته**: فاليوم الشرعي الذي يُعدّ أول رمضان بموجب ثبوت الهلال في أقصى الغرب قد يكون قد اكتمل عند أقصى الشرق قبل وصول الخبر، فإذا لم يُجبَر بالقضاء ثم ثبتت بداية شوال

عليهم لاحقًا ببيّنة معتبرة من جهة تشترك معهم في الليل، ظهرت نتيجة فاسدة في العدد. لذلك قلنا: إن سدّ هذا الاحتمال -مع التزامنا بمبدأ وحدة الهلال والرؤية البصرية- إنما يكون بجعل اليوم الفائت بعذرٍ **يُقضى** بعد رمضان، لا لأننا نعتبر «الأحد والاثنين» أو لأن التقويم الدولي ألزمنا بذلك، بل لأننا نعتبر **يوم الصوم الشرعي الحقيقي** (من الفجر إلى المغرب) الذي فات أداؤه عندهم قبل العلم، ولأن الشريعة لا تُجيز أن ينتهي رمضان عند قومٍ على أقل من تسعة وعشرين يومًا إذا ثبت عليهم دخول شوال ببيّنة معتبرة.

ولزيادة الإيضاح بمثالٍ منضبط: إذا ثبتت رؤية الهلال في مراكش المغرب فإن ثبوتها يكون **بعد مغرب المغرب**. وفي اللحظة نفسها تكون إندونيسيا -بحكم تقدّمها الزمني- عادةً في **آخر الليل قبيل الفجر** (وقد تكون قد دخلت الفجر فعلًا إذا تأخر ثبوت الرؤية في المغرب). فالعبرة هنا ليست بـ"الاثنين والثلاثاء"، بل بالسؤال التالي: **هل بلغ أهل إندونيسيا خبرُ ثبوت الهلال قبل فجرهم أم بعده؟**

الصورة الأولى: بلوغ الخبر قبل الفجر في إندونيسيا. إذا وقع ثبوت الرؤية في المغرب في وقتٍ كانت فيه إندونيسيا لا تزال في الليل، ثم وصلهم الخبر المعتبر **قبل طلوع فجرهم**، لزمهم أن يبيتوا النية ويصوموا **يومهم الشرعي** من فجره إلى مغربه، ولا إشكال حينئذٍ لا في ابتداء الصوم ولا في عدد الأيام.

الصورة الثانية: بلوغ الخبر بعد الفجر في إندونيسيا (وقد بدأ النهار عندهم). أما إذا لم يبلغهم الخبر إلا **بعد دخول الفجر**، -أي بعد أن بدأ نهارهم الشرعي- فهذا اليوم عندهم قد دخل دون علمٍ بثبوت رمضان، فلا يصح جعله صومًا عن رمضان ابتداءً لعدم تبييت النية (على ما عليه جماهير الفقهاء في اشتراط نية الليل لصوم الفرض). وعليه: يُعاملون هذا اليوم عمليًا كاليوم الذي لم يثبت عندهم ابتداءً، فإن كانوا قد أكلوا فلا يطالبون بإرجاع الزمن، وإن بلغهم الخبر أثناء النهار فالأحوط إمساك بقية اليوم تعظيمًا للوقت، ثم **يقضون هذا اليوم بعد رمضان**؛ لأنه تبيَّن -على أصلنا في وحدة الهلال- أنه كان من رمضان في نفس الأمر، وإنما فات أداؤه بعذر عدم بلوغ البيّنة قبل الفجر.

الصورة الثالثة: تأخر وصول الخبر حتى بعد مغرب إندونيسيا (فيكون نهارهم قد انقضى كله ودخلوا ليل اليوم التالي، على فرض أن الرؤية ثبتت في كندا مثلا). وهذه أوضح صور التعقيد المحتملة: قد تثبت الرؤية في كندا، لكن لا يصل الخبر إلى إندونيسيا إلا بعد أن يكون نهارهم قد انتهى بغروب الشمس، ودخلوا بالفعل في ليلٍ جديد. في هذه الصورة نقول بوضوح: **اليوم الشرعي الذي كان يجب صومه قد مضى بكامله** قبل العلم، فلا معنى للحديث عن صومه أداءً، وإنما الحكم هو **القضاء يومًا واحدًا** بعد رمضان؛ لأنه هو اليوم الذي تبيّن أنه من رمضان وفات بعذر.

ثم إن أثر هذا الضبط يظهر في مسألة العدد: فإذا لم يُقضَ اليوم الذي فات -في الصورة الثانية أو الثالثة- قد يقع لاحقًا أن يثبت هلال شوال عند بلدٍ يشترك مع إندونيسيا في جزءٍ من الليل،

كإيران مثلا، (الفرق الزمني بين إيران وأندونيسيا يتراوح تقريبًا بين **٣,٥ إلى ٥,٥ ساعات** (أندونيسيا متقدمة). هذا فرق صغير جدًا مقارنة بطول الليل (نحو ١٠-١٤ ساعة بحسب الفصل والمكان)، لذلك يوجد تداخل ليلي كبير.) وعلى فرض أنه يكون رمضان في المغرب وإيران مثلا ٢٩ يوما، وتبلغ أهل أندونيسيا البيّنة على وجهٍ معتبر، فيلزمهم دخول شوال، فتقع حينها شبهة أن ينتهي صومهم على **ثمانيةٍ وعشرين يومًا**. وسدُّ هذا الإشكال -عند من يقول بوحدة الهلال وإلزام الرؤية متى ثبتت وبلغت- إنما يكون باعتبار ما فات يومًا شرعيًا من رمضان فيُقضى، لا باعتبار اسم اليوم ولا خطوط التقويم.

وبالمقابل، من بنى المسألة على فهم ابن عباس رضي الله عنهما في عدم إلزام بلدٍ بغير ما يبلغه في نطاقٍ يمكن العمل به، فقد لا يوجب القضاء ابتداءً، ويجعل الذمة بريئة ما لم يثبت عليهم دخول شوال على وجهٍ يُلزمهم قبل تمام تسعةٍ وعشرين يومًا. لكن إن ثبت عليهم شوال فعلًا ببيّنة معتبرة قبل إكمال تسعةٍ وعشرين، لم يبق طريقٌ لدفع نقص العدد إلا بالقول بالقضاء (أو بتغيير أصل الإلزام)، فهذه جهة افتراقٍ بين المسلكين. والمقصود هنا أن فتوى وحدة الهلال تُضبط على أساس **الليل والنهار الحقيقيين ووقت الفجر وبلوغ البيّنة** لا على أساس أسماء الأيام ولا الفواصل الاصطلاحية للتقويم.

هل الاعتبار هو الاشتراك في جزء من الليل؟ أم في تسمية الأيام (الاثنين، الثلاثاء) وماذا يترتب على خط التاريخ الدولي؟

قد يُثار اعتراض كالتالي: خطُّ الفصل بين التاريخين (الاثنين والثلاثاء مثلا) قرب ألاسكا وشرق روسيا (خطّ التاريخ الدولي) مبناه أنّنا قد نجد مكانين متقاربين جدًا -بل قد تكون جزيرتان متلاصقتان تقريبًا- يكون هذا عنده "الاثنين" وذلك عنده "الثلاثاء"، فيُقال: على أي أساس شرعي نجعل هذا الخط الاصطلاحي معيارًا لابتداء الليل والنهار، أو نبني عليه إلزام بلدٍ برؤية بلدٍ آخر، ولو اصطلح الناس -افتراضًا- على نقل خط الفصل ليكون عند غرينتش لتبدّلت أسماء الأيام عالميًا، فهل تتبدّل الأحكام؟ والجواب المحرِّر للمسألة يبدأ من التفريق بين "الواقع الفلكي" و"الاصطلاح التقويمي": فالليل والنهار حقيقة كونية منشؤها دوران الأرض حول نفسها، وبدايتهما وانتهاؤهما في كل موضع يُدرك بالشروق والغروب (ومع الفجر والمغرب في لسان الشرع)، بينما "التاريخ المدني" (الاثنين/الثلاثاء) وحدود المناطق الزمنية وخط التاريخ الدولي كلها ترتيبات بشرية هدفها تنظيم المواعيد والمعاملات، لا أنها تُنشئ الليل والنهار أو تغيّر حقيقتهما؛ ولذلك قد تقع مفارقات مشهورة مثل جزيرتي "ديوميد" في مضيق بيرنغ: مسافة قصيرة جدًا ومع ذلك يفصل بينهما خط التاريخ، فيُقال مجازًا: هذه "جزيرة الأمس" وتلك "جزيرة الغد"، مع أن الشمس لا تغيّر سيرها ولا يتبدّل وقت الغروب الحقيقي بسبب اختلاف الملصق التقويمي، بل يتبدّل "اسم اليوم" فقط، ولو نُقل الخط -نظريًا- إلى غرينتش فلن يتغير شيء في طلوع الفجر وغروب الشمس ولا في كون هذا المكان ليلًا أو نهارًا، وإنما ستتغير التسمية الإدارية لليوم. ومن هنا يظهر أن تعليق الأحكام

الشرعية على "اسم اليوم" بذاته تعليقٌ هشّ، لأن اسم اليوم تابع لاصطلاح البشر، بينما الشريعة ربطت العبادات بأمارات كونية ثابتة: فالصوم يومُه الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في أفق المكلّف، وأوقات الصلاة كذلك، فالعبرة إذن بليلٍ ونهارٍ حقيقيين لا بتاريخٍ مدني. وبناءً عليه فإن مناقشة «هل تُلزم رؤية بلدٍ ما بلدًا آخر؟» لا تُدار بسؤال: هل هم في الاثنين أو الثلاثاء؟ بل بسؤالين منضبطين:

(١) ما وضع البلد الآخر حين حصلت الرؤية: هل كان في ليلٍ حقيقي (بين غروب وفجر) أم في نهارٍ حقيقي؟ وهذا يُعرف بأُفُقِهِ لا بخطّ التاريخ؛

(٢) هل بلغتهم البيِّنة المعتبرة في وقت يمكنهم معه تنزيل الحكم على يومهم الشرعي؟ ولهذا كان معيار "الاشتراك في جزء من الليل" إن أُريد به تداخلًا ليليًا حقيقيًا (أي وجود زمن تتقاطع فيه نافذة الليل بين بلدين بحيث يكونان معًا بعد الغروب وقبل الفجر) معيارًا مفهومًا من جهة الواقع، لأنه لا يتأثر بخط التاريخ ولا بتسمية الأيام، بل هو متعلق بحقيقة الليل على الأرض، ويمكن التحقق منه بأوقات الغروب والفجر دون جعل الحساب الفلكي «مثبتًا للشهر»؛ أما جعل المعيار «مرور ٢٤ ساعة» كمناط مستقل فليس هو الذي علّق عليه الشرع الصوم، إذ لم يقل الشرع: صوموا أربعةً وعشرين ساعة، وإنما قال: من الفجر إلى الليل، لكن قد تقع صورة يُستفاد منها في طريقة التنزيل لا في تعريف المناط: وهي أن تثبت بيِّنة معتبرة أثناء النهار بأن اليوم ليس من رمضان أو أنه من شوال، فيجب العمل بها فورًا في يوم الناس نفسه، كما في الواقعة المشهورة التي جاء فيها خبر/شهادة بالرؤية في أثناء النهار فأُمر الناس بالإفطار قبل المغرب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالدلالة هنا ليست أن «التاريخ تبدّل» أو أن «٢٤ ساعة اكتملت»، بل أن البيِّنة إذا قامت على أن هذا اليوم ليس محل صوم تعيّن ترك الصوم فورًا بحسب يومهم الشرعي المحلي.

ومن ثمّ يتضح أن الإشكال الإندونيسي الذي بحثناه آنفا لا يتأثر باعتراض خط التاريخ: فقولنا -مثلًا- إن أهل أندونيسيا إذا مضى عليهم ليلهم ونهارهم ثم ثبتت رؤية الهلال في المغرب فهل تلزمهم، هذا لا يُبنى على كون المغرب «في يوم» وهم «في يوم آخر» بحسب التقويم، وإنما يُبنى على: متى ثبتت الرؤية ومتى بلغهم الخبر، وهل كان عندهم قبل الفجر أو بعده، وكيف نضمن ألا ينتهي بهم الأمر إلى صيام ٢٨ يومًا لو ثبت هلال شوال في جهةٍ تشترك معهم في جزء من الليل ويبلغهم الخبر في وقت الإلزام؛ فحينئذٍ قد يُختار قول القضاء سدًا لاحتمال النقص في العدد، لا لأن «التاريخ المدني» يلزمهم، بل لأن تنزيل ثبوت شوال عليهم -إذا وقع وثبت وبلغهم- قد يقطع صيامهم عند اليوم الثامن والعشرين، فيُجْبَر ذلك بقضاء اليوم الأول احتياطًا لضبط العدد، مع بقاء احتمال العمل بفهم ابن عباس رضي الله عنهما في عدم الإلزام إلا مع تحقق البلاغ والقدرة على العمل به. والخلاصة التي تحسم الاعتراض: إن خط التاريخ الدولي -مهما كان موضعه- لا يصلح أن يكون معيارًا شرعيًا في نفسه، لأنه لا يخلق ليلًا ولا نهارًا، وإنما هو تنظيم بشري للتقويم؛ والمعيار

الشرعي والعلمي الذي لا يضطرب هو «الليل والنهار الحقيقيان في أفق كل بلد» و«قيام البيِّنة وبلوغها» و«تنزيل الحكم على يوم الصوم المحلي من الفجر إلى المغرب»، وبذلك تنحل مفارقة الجزيرتين المتقاربتين المختلفتي التاريخ: كلتاهما تعيشان في شمس واحدة وغروب واحد تقريبًا، لكن الناس سمّوا هذا اليوم هناك "الاثنين" وهنا "الثلاثاء"، ولا يترتب على ذلك تغييرٌ في أحكام الصوم إلا بقدر ما يترتب على اختلاف الأفق والبلوغ والقدرة على العمل بالخبر، لا بقدر اختلاف الاصطلاح على تسمية الأيام.

مسألة: تحقق القاضي من صحة شهادة الشهود على بدء الشهر ونهايته:

أولًا: إذا كنت قاضيًا وتحقق لديك أن شخصًا شهد برؤية الهلال، فهذه الأسئلة الدقيقة التي ينبغي أن توجهها إليه قبل قبول شهادته، حتى تتأكد أنه رآه فعلًا لا وهمًا:

الأسئلة الشرعية والفنية للرؤية: نموذج أسئلة التحقق القضائي من شهادة رؤية الهلال: (يشمل الجوانب الفقهية والفلكية بدقة):

السؤال	جابة خاطئة (تُبطل الشهادة)	إجابة صحيحة (تُقبل)
1.في أي يوم وتاريخ رأيت الهلال؟	قبل يوم ٢٩، أو في غير موضع الترائي (مثل الظهيرة)	مساء يوم ٢٩ من الشهر (الهجري)
2.في أي وقت تقريبًا رأيت الهلال؟	قبل الغروب، أو بعد مرور وقت طويل بحيث يكون القمر قد غرب	بعد غروب الشمس مباشرة ولمدة يسيرة (من ٥ إلى ٤٥ دقيقة)
3.في أي جهة من السماء رأيت الهلال؟	الشرق أو الشمال وبالتالي: باطل؛ الهلال لا يُرى هناك عند غروبه	في الجهة الغربية، أو الجنوب الغربي
4.كم مكث الهلال في السماء بعد الغروب؟	أقل من ٥ دقائق (مستحيل عمليًا)، أو لا يعرف	10دقائق على الأقل (في أفق صافٍ)
5.هل رأيت الهلال بوضوح أم كنت تشك؟	"ربما"، أو «ظننت»، أو «كان نقطة صغيرة»، أو «ظهر واختفى فجأة»، أو «ربما نجم"	رأيته بوضوح، على هيئة هلال واضح مُنحنٍ واختفى تدريجيًا
6.هل رأيت الهلال وحدك أم مع غيرك؟	وحدي، ولكنه أيضا: يظهر التردد أو الوهم، ولا يجزم.	مع غيري، أو وحدي لكن بشكل مؤكد

السؤال	جابة خاطئة (تُبطل الشهادة)	إجابة صحيحة (تُقبل)
.7هل كان شكل الهلال مقوسًا؟ وبأي اتجاه كان تقوّسه؟	تقوسه باتجاه معاكس للشمس (هذا يدل غالبًا على نجم أو جرم سماوي)	تقوس الهلال باتجاه الشمس (أي أطرافه تشير نحوها)
.8كيف كانت حالة الجو وقت الرؤية؟	غيوم كثيفة، أو غبار شديد، أو ضباب، أو «لم أستطع تمييز النجوم"	السماء صافية أو بها سحب خفيفة ولم تحجب الأفق
.9ما وصفك للهلال؟ (دقّته، سُمكه، انحناؤه)	دائرة، ساطع جدًا، رأسه لأعلى أو عامودي، أو ليس فيه تقوس واضح	خيط رفيع من الضوء، أفقي تقريبًا، أطرافه دقيقة، منحنٍ للأسفل قليلًا
.10هل استخدمت أداة مثل التلسكوب أو منظار؟	نعم، ولكن لم أتمكن من تمييز الهلال أو الرؤية كانت مشوشة	لا، أو نعم مع وضوح الهلال
.11هل لك خبرة سابقة في رؤية الهلال؟	لا، بل أول مرة، و لست متأكدًا من شكله ولا أستطيع تمييزه من باقي النجوم.	نعم، رأيت الهلال سابقًا وأعرفه جيدًا
.12هل رأيت الهلال يرتفع تدريجيًا في السماء، أم بقي ثابتًا؟	تحرك بسرعة، أو اختفى فجأة ثم ظهر، أو "اختفى لما نظرت مباشرة" (مما يشير لوهم بصري أو نجم)	بقي قريبًا من الأفق، ثم اختفى مع الوقت الطبيعي

ملاحظات أساسية (للتحقيق):

- **إذا قال الشاهد إن الهلال كان في الشرق فعليه تُرد الشهادة فورًا.**
- **إذا قال إن الهلال كان مستقيمًا أو دائرة فهذه ليست صفة الهلال.**
- **إذا تقوّس الهلال بعكس اتجاه الشمس (أي ظهر كـ «قوس» في غير جهته)، فغالبًا هو نجم أو كوكب وليس هلالًا.**

قاعدة ذهبية: كل شهادة لا تنسجم مع المعلومات الفلكية القطعية (كأن يُزعم رؤية الهلال قبل ولادته، إذ إن تحديد ولادته فلكيا: قطعية، أو قبل غروب الشمس، أو في موضع لا يظهر فيه القمر أصلًا)، تُبطل شهادته شرعًا.

هذا ليس تأسيسًا لإثبات الشهر بالحساب، بل تنزيلٌ لأحكام الشهادات: فالشهادة لا تُقبل في

القضاء إذا خالفت القطع أو المحسوس، وإذا علم القاضي بطلان المشهود به ردّ الشهادة ولم يحكم بها؛ لأن الشهادة حينئذ تعلقت بمستحيل أو بباطل قام الدليل على بطلانه. وقد نصّ أئمة في الفقه على أن القاضي ينفذ علمه في رد الشهادة إذا تحقق خلافها، وأنه لا يجوز تعليق الحكم الشرعي على شهادةٍ قام البرهان على استحالة مدلولها.

ثانيًا: العوامل الفلكية القطعية التي يستحيل معها رؤية الهلال حتى بالتلسكوب والتي توجب إسقاط شهادة الشاهد على الرؤية:

إذا وُجد أيّ من هذه العوامل، **فشهادة الرؤية تُرد شرعًا وعقلاً** لأن الرؤية تكون مستحيلة علميًا بإجماع المراصد الفلكية، وذلك بناء على عوامل قطعية. ولتعزيز جانب «ردّ الشهادة المخالفة للواقع» -مع إبقاء الأصل هو الرؤية- اعتمدتُ على نصوصٍ فقهية/قضائية تُقرّر أن القاضي يردّ الشهادة إذا خالفت المحسوس أو قامت قرائن قطعية على بطلانها (ومنها نُقولٌ منسوبة لفقهاء كبار كـ **ابن عبد البر** و**ابن العربي**، ونُقول من الشافعية في ردّ شهادة الرؤية عند قيام «حساب قطعي» على عدم الإمكان). أما التدعيم العلمي الدقيق، فاعتمدتُ على أدبيات «رؤية الهلال» في الفلك الرصدي ومعايير قابلية الرؤية، مع التركيز على ما يمكن أن يبلغ درجة «القطع بالاستحالة» (لا مجرد «ضعف الإمكان» أو «الظنية»)، وذلك من مصادر علمية مثل: صفحة الرصد الفلكي عن الهلال لدى **United States Naval Observatory**، ومواد **Royal Museums Greenwich**، ودراسات معيارية (مثل **Mohammad Sh. Odeh**و**B. D. Yallop**) التي تشرح «الزمن الفاصل (Lag)» و«الاستطالة» و«حد دانجون» وتؤكد تعدد المدارس/المعايير وتفاوتها.

التأصيل الفقهي لردّ شهادة رؤية الهلال عند قيام استحالةٍ فلكية قطعية

نقطة البناء الرئيسة هنا: **ردّ الشهادة ليس «أخذًا بالحساب بدل الرؤية»**، بل هو تطبيقٌ لبابٍ آخر مستقل في الفقه: **باب القضاء والبيّنات**؛ حيث تُقبل الشهادة إذا تحققت شروطها وكان المشهود به ممكنًا حسًّا/عقلًا، وتُردّ إذا ثبت بطلان المشهود به أو استحالته. هذا التفريق جاء مصرحًا به في معالجة فقهية لمسألة «هلال لم يولد»؛ إذ قُرّر أن بين «إثبات الشهر بالحساب (المرفوض نصًّا عند جمهورٍ واسع)» وبين «ردّ شهادةٍ تدّعي واقعًا غير موجود» فرقًا واضحًا؛ والثاني من صميم أحكام الشهادة لا من باب تحويل إثبات الشهر إلى حساب.

من النصوص الفقهية القابلة للبناء عليها: نَصّت تلك المعالجة على قاعدة: **شرط قبول شهادة الشاهد عند القاضي ألا تخالف المحسوسات والقطعيات**، وأن القاضي إن علم خلاف ما شهدوا به ردّ شهادتهم ولا يجوز له الحكم بها؛ ونُقل في هذا السياق عن **ابن العربي** تقريرُ أن قيام الدليل على بطلان المشهود يمنع قبول الشهادة، وعن **ابن عبد البر** حكايةُ إجماعٍ في أن القاضي إذا علم خلاف الشهادة نفذ علمه في ردّها ولم يقضِ بها. هذه «عبارة فقهية قضائية» صالحة جدًا لتكون سندًا فقهيًا صريحًا لقولنا السابق: «كل شهادة لا تنسجم مع المعلومات الفلكية القطعية... تُبطل شهادته شرعًا».

ويدخل في هذا الباب أيضًا تقريرات بعض الفقهاء المتأخرين عند الشافعية، حيث نُقل في «حاشية القليوبي» عن **ابن قاسم العبادي**: أنه إذا دل «حساب قطعي» على عدم إمكان رؤية الهلال لم يُقبل قول العدول برؤيته وترد شهادتهم. أهمية هذا النقل أنه يربط المسألة صراحةً بباب الشهادات/الإمكان، لا بجعل الحساب طريقًا مستقلًا لإثبات الشهر.

كما أن استحضار «قاعدة رد الشهادة بمخالفة الحس» ورد في نقل صحفي/علمي يُسند المعنى إلى فقه مالكي (أبو الوليد الباجي) ويقرر أن القاضي يردّ الشهادة إذا خالفت المحسوس، وأن هذا «مجمع عليه» عند ابن عبد البر، وإن كان هذا النص طريقه في المصدر صحفيًا، إلا أنه يصلح قرينةً إحالية داخل البحث. فإن قيل: «لا ترد شهادة العدل مطلقا»، جئنا بالرد الحاسم التالي: **العدالة شرط لازم، لكنها ليست الشرط الوحيد**؛ فحتى العدل قد يَهِم، وقد يلتبس عليه كوكب/سحاب/شعاع، ولذلك اشترط الفقهاء إمكان المشهود به وعدم قيام القطع على خلافه. وقد سيق في مثالٍ فقهي: لو شهد شاهدٌ أنه رأى فلانًا في بلدٍ وأنت تعلم يقينًا أنه ليس فيه أو قد مات، فهذه شهادة مردودة مع كون الشاهد عدلًا؛ والقياس على الهلال ظاهر.

من جهة أخرى، فإنه لا يصحّ أن نقول «خرائط المدارس الفلكية ظنية» ثم نجعل «قيمًا حدّية» من تلك المدارس نفسها **قواطع** نردّ بها شهادة العدل؛ إلا بعد ضبطٍ منهجي يميّز بين نوعين مختلفين من "الحساب" وبين درجتي القطع والظن فيهما.

التفريق الحاسم: نوعان من المعطيات الفلكية:

أ) معطيات هندسية/وجودية قطعية (وصف الواقع لا التنبؤ بالرؤية):

هذه ليست «مدارس» ولا «خرائط إمكان»، بل **حساب موقع الشمس والقمر بالنسبة للأفق** في مكان وزمان معيّنين: هل القمر فوق الأفق أم تحته؟ هل يغرب قبل الشمس أم بعدها؟ كم مكث بعد الغروب؟... هذه المعطيات يمكن حسابها بدقة عالية جدًا لأننا نتكلم عن مواضع أجرام وأوقات شروق/غروب، وهي من جنس «الخبرة الفنية» في توصيف الواقع، لا من جنس «ترجيح رؤية بشرية». ودقة المدارات الحديثة (المعتمدة على رصد وقياس متقدم كـLunar Laser Ranging) تبلغ مستويات عالية جدًا، ويذكر تقرير JPL عن DE٤٣٠/DE٤٣١ أن المدار القمري «معروف بدقة دون المتر في العصر الحديث»

(present-day lunar orbit known to submeter accuracy).

هذه هي التي يصح أن يُسمّيها الفقهاء: «حسابًا قطعيًا» إذا كان مدلولها «استحالة وجودية» (القمر ليس في السماء أصلًا بعد الغروب في ذلك الموضع).

ب) معطيات تنبؤية/رصدية ظنية (هل سيراه البشر أم لا؟):

أما الخرائط التي تقول: «هنا ممكن» و«هنا مستحيل»، فهي في الغالب لا تقف عند الوصف الهندسي، بل تنتقل إلى **تقدير قابلية الرؤية البشرية** بناءً على نماذج إحصائية وتجارب سابقة (تأثرًا بالشفافية الجوية، الوهج، خبرة الراصد... إلخ).والجهة العلمية نفسها (USNO) تصرّح بأن **موعد**

ظهور الهلال المرئي لا يمكن التنبؤ به على وجه اليقين وأنه يتوقف على عوامل عديدة ولا يُتوقع كنمط ثابت.

إذن:

- **الخرائط ظنية** من حيث «الرؤية البشرية»، فتقول: في المناطق الفلانية الرؤية ممكنة بالعين بسهولة، وفي المناطق العلانية الرؤية ممكنة بالتلسكوب، وهكذا.
- لكن **بعض الحسابات قطعي** من حيث «الوضع الهندسي/الوجودي» (فوق الأفق/تحته، يغرب قبل الشمس/بعدها).

أولا: «قواطع الاستحالة» = قطعية (يجوز ردّ الشهادة بها)،وهي ليست أرقام مدارس، بل شروط وجودية:

١. **القمر تحت الأفق** في وقت الرصد المزعوم (بعد غروب الشمس في ذلك الموضع).

٢. **القمر يغرب قبل الشمس** أو لا يمكث بعد الغروب: ($lag \leq 0$) فلا يوجد أصلًا «زمن بعد الغروب» يمكن أن تقع فيه رؤية هلالٍ مسائي. (هذا بديهي هندسيًا، ويذكر USNO أن الهلال المسائي يكون منخفضًا بعد الغروب ويغرب بعده بقليل؛ فلو لم يمكث أصلًا انتفى محل الرؤية).

٣. (بديل أدق من عبارة "لم يولد الهلال"): بدل أن نجعل "الاقتران" وحده قاطعًا -لوجود فروق تعريفية (جيومركزي/طوبومركزي)- نجعل القاطع هو **النتيجة الهندسية:** هل القمر غرب الشمس بحيث يلزم منه الغروب قبلها/أو كونه تحت الأفق وقت إمكان الرؤية؟ أي إن الأدق من قولنا: «لم يُولد الهلال بعد» أن نقول: **لم يكن القمر أصلًا في موضع يسمح بالرؤية.** لأن «الاقتران» (لحظة المحاق) له تعريفات فلكية دقيقة قد تختلف بحسب طريقة القياس، فلا نجعله وحده قاطعًا. أمّا القاطع الذي لا يختلف عليه اثنان فهو **النتيجة الهندسية المباشرة:** هل كان القمر **فوق الأفق بعد غروب الشمس** بحيث يوجد وقت يمكن أن يُرى فيه؟ فإن كان القمر **تحت الأفق** أو كان **يغرب قبل الشمس** فلا وجود لزمنٍ بعد الغروب يمكن أن تقع فيه رؤية الهلال، فتكون الشهادة مردودة قطعًا. هذه القواطع إذا ثبتت، فالشهادة تصير "مخالِفة للمحسوس" بمعنى فقه القضاء: المشهود به **غير ممكن حسًّا**. وهذا ينسجم تمامًا مع النص الفقهي الذي استشهدنا به عن القليوبي ناقلًا عن ابن قاسم العبّادي: «إذا دلّ الحساب القطعي على عدم رؤية الهلال لم يُقبل قول العدول برؤيته وتُردّ شهادتهم...» وجه الاستفادة هنا: «الحساب القطعي» المقصود به ما يفيد **القطع باستحالة الرؤية** (لا مجرد ترجيح صعوبتها).

ثانيا: «حدود الرؤية» (كالاستطالة/العمر/الارتفاع/الإضاءة...) = في أصلها ظنية/غالبية (لا تُجعل وحدها قواطع)، هذه الحدود تُستعمل قرائن لا «قواطع»؛ لأن الانتقال من «الهلال موجود فوق الأفق» إلى «هل يُرى بالعين؟» انتقال من الوصف إلى الحكم الرصدي، وهو الذي تقرر علميًا أنه غير يقيني.

مثالان يبيّنان لماذا لا نجعلها قطعية:

- **العمر:** USNO يذكر أن رؤى مبكرة جدًا بالعين المجرّدة (نحو ١٥,٥ ساعة) قد سُجّلت، وبالمنظار قد تُسجّل أبكر (نحو ١٢,١ ساعة)، ما يدل أن «حدًا» (قيمة حرجة) مثل ٨ ساعات لا ينبغي تقديمه كقاطع معرفي عام، بل كقرينة «استحالة عادةً/عمليًا» لا «استحالة ذاتية».
- **حد دانجون/الاستطالة:** يُذكر في الأدبيات أن هناك حدًا تقريبيًا قرب ~٧ درجات (وبعض الأدبيات الحديثة تجعله ٤,٥ درجة) يفترض تحته عدم ظهور الهلال المرئي(Danjon limit) ، لكن هذا يظل إطارًا تقريبيًا ونقاشيًا من حيث كونه «حدًا جامدًا» (ومع ذلك هو قوي جدًا كقرينة).

ثالثا: الفرق بين «خرائط عالمية ظنية» و«استعانة القاضي بخبير في واقعة محددة»، ليس الفرق أن الأولى «ظنية» والثانية «قطعية» بإطلاق؛ بل الفرق:

١. **خرائط الإمكان العالمية** غالبًا تُرفق حكمًا مركبًا:
   - جزؤه الأول: حساب هندسي (قطعي تقريبًا).
   - جزؤه الثاني: تصنيف إمكان الرؤية (احتمالي/نمذجي).

٢. أما **واقعة قاضي مع شاهد** فالمطلوب من أهل الاختصاص ينبغي أن يُصاغ في مستويين منفصلين:
   - **مستوى قطعي:** «هل كان القمر فوق الأفق بعد الغروب في تلك المدينة؟ هل مكث بعد الغروب؟»إن قالوا: لا، فهذا قاطع يقدح في إمكان المشهود به، فيصح ردّ الشهادة.
   - **مستوى ظني:** «لو كان فوق الأفق، فهل تُرى عادةً مع تلك الاستطالة/الارتفاع/الوهج؟» هذا لا يُجعل وحده مسقطًا للشهادة، لكنه **قرينة قضائية:** تُوجب مزيد التثبت، وطلب التعدد، ومقارنة الشهادات، وفحص أوصاف الشاهد (جهة الهلال، وقت الرصد، مدة المكث...).

بهذا الضبط يصبح قولنا «الخرائط ظنية» صحيحًا، ويبقى ردّ الشهادة مبنيًا على «قطعي» من نوع آخر (وصف الواقع)، لا على تحويل إثبات الشهر إلى حساب.

إذن: **التأصيل الفقهي لردّ شهادة رؤية الهلال عند قيام استحالة فلكية قطعية:** نقطة البناء الرئيسة هنا: ردّ الشهادة ليس «اعتمادًا للحساب بدل الرؤية»، وإنما هو تنزيلٌ لبابٍ مستقل في الفقه: باب القضاء والبيّنات؛ إذ تُقبل الشهادة إذا كان المشهود به ممكنًا حسًّا وعقلًا، وتُردّ إذا تبيّن للقاضي -بعلمه أو بخبرة أهل الاختصاص- أن المشهود به غير ممكن. والتمييز واجب بين نوعين من المعطيات الفلكية:

أولا: **معطيات هندسية/وجودية** تصف الواقع في مكان وزمان محددين: ككون القمر فوق الأفق أو تحته عند وقت إمكان الرؤية، وكونه يمكث بعد الغروب أو يغرب قبل الشمس؛ وهذه معطيات من جنس «وصف الواقع» لا من جنس «التنبؤ بالرؤية»، وهي التي يصح أن يندرج تحتها تعبير الفقهاء عن «الحساب القطعي».

ثانيا: معطيات رصدية/احتمالية تتعلق بمدى رؤية البشر للهلال (العمر، الاستطالة، الارتفاع، شدة الوهج...)، وهذه لا تبلغ في ذاتها مرتبة القطع؛ لأن قابلية الرؤية تتأثر بعوامل كثيرة ولا

يمكن الجزم بها دائمًا.

وعليه: فالقاضي إن استعان بأهل الاختصاص، فليجعل معيار ردّ الشهادة هو **الاستحالة الوجودية القطعية** (مثل: كون القمر تحت الأفق بعد الغروب في تلك المدينة، أو غروبه قبل الشمس بحيث لا يوجد زمن للرؤية بعد الغروب)، أما المعايير الحدّية التي تتصل بصعوبة الرؤية فهي **قرائن تُقوّي جانب القدح في ضبط الشاهد وتوجب مزيدًا من التثبت**، ولا تُجعل وحدها قواطع.

وهذا المعنى تقوّيه عبارات فقهية صريحة من الشافعية؛ فقد نقل القليوبي عن ابن قاسم العبّادي أن "الحساب القطعي" إذا دلّ على عدم إمكان الرؤية رُدّت الشهادة.

العامل/ المعيار	درجته في القضاء	معيار قاطع/ حدّي لردّ الشهادة (استحالة وجودية)	معيار قرينة قوية/ مساعدة (لا تُردّ وحدها)	ملاحظات تطبيقية مختصرة
ضرورة وجود القمر فوق الأفق بعد الغروب (Topocentric)	**قاطع**	إذا كان القمر **تحت الأفق** في وقت الرصد المزعوم بعد الغروب (Altitude < 0° ترد الشهادة.	—	هذا أقوى القواطع لأنه ينفي "محلّ الرؤية" أصلًا (لا قمر في السماء).
مكث القمر بعد غروب الشمس(Lag time)	**قاطع/قرينة**	**Lag ≤ 0** (القمر يغرب قبل الشمس أو معها)	Lagصغير جدًا (مثل 10–15 دقيقة) = **قرينة قوية**	القاطع هنا هو "انعدام زمن الرؤية بعد الغروب". أما قِصر المكث فقرينة لأنه قد تُرى في مكث قصير مع ظروف استثنائية.

العامل/ المعيار	درجته في القضاء	معيار قاطع/ حدّي لردّ الشهادة (استحالة وجودية)	معيار قرينة قوية/ مساعدة (لا تُردّ وحدها)	ملاحظات تطبيقية مختصرة
وقت الرصد المزعوم مقارنةً بمواعيد الغروب	**قاطع**	ادعاء رؤية «هلال مسائي» **بعد** وقتٍ ثبت فيه أنه **كان قد غرب** بالفعل.	ادعاء رؤية في وقت بعيد جدًا عن "نافذة الرصد المعتادة" (مثل بعد ساعة/ساعتين مع كون القمر منخفضًا جدًا) = قرينة	يُفحص بالساعة والدقيقة ومكان الشاهد بدقة.
الاستطالة الزاوية (Elongation / ARCL)	**قرينة قوية**	(يُفضَّل عدم جعله قاطعًا منفردًا)	استطالة صغيرة جدًا (قرب ~٧° أو دونها) = **قرينة قوية جدًا** على عدم إمكان الرؤية بالعين؛ وأبكر الرؤى الموثوقة عادة قرب ~١٠°	USNO يؤكد أن الرؤية لا تُتنبأ يقينًا وأن الاستطالة أهم عامل مبدئي، وأن أبكر الرؤى الموثوقة تقع قرب ١٠° تقريبًا.. و"عودة" يستخرج "حد دانجون" ~٦,٤° في قاعدة بياناته (بالوسائل) كمعطى تجريبي، لا كقاعدة فقهية.
ارتفاع القمر فوق الأفق عند الغروب/وقت الرصد	**قرينة قوية**	—	ارتفاع شديد الانخفاض (مثل (< 2°) = **قرينة قوية** بسبب الوهج والانكسار والامتصاص الجوي	ليس قاطعًا وحده لأن الانكسار/ الشفافية تختلف، لكنه قرينة قوية جدًا عمليًا.

العامل/ المعيار	درجته في القضاء	معيار قاطع/ حدّي لردّ الشهادة (استحالة وجودية)	معيار قرينة قوية/ مساعدة (لا تُردّ وحدها)	ملاحظات تطبيقية مختصرة
فرق الارتفاع بين القمر والشمس(ARCV / Arc of Vision)	**قرينة قوية**	—	ARCV صغير جدًا = قرينة قوية (يزداد وهج الشفق وصعوبة التمييز)	يدخل في نماذج الرؤية (مثل يالوب/عوده) لكنه يبقى في نطاق الترجيح.
العمر منذ المحاق(Age)	**قرينة قوية، ليست بقاطع** (لا ترد بها الشهادة، لكن تستدعي الاستيثاق)	—	أقل من ~١٥,٥ ساعة للعين= **قرينة قوية جدًا**؛ وأقل من ~١٢,١ ساعة حتى بالمنظار = **قرينة قوية جدًا**	USNO يذكر أن رؤى بالعين عند ١٥,٥ ساعة موثوقة لكنها "استثنائية"، وبالمنظار ١٢,١ ساعة استثنائية كذلك.
نسبة الإضاءة/ سُمك الهلال/عرضه (Illumination / Width)	**قرينة مساعدة/قوية**	—	إضاءة ضئيلة جدًا أو عرض هلال شديد الصغر = قرينة على ضعف السطوع	لأنها تتأثر بالاستطالة والظروف الجوية. تُذكر كقرينة لا كقاطع.
خرائط/نماذج التنبؤ بالرؤية (يالوب/عوده...)	**قرينة** (لا ترد بها الشهادة، لكن تستدعي الاستيثاق)	—	إذا صنّفت النماذج المنطقة «غير مرئية/تحت حد» =**قرينة قوية** تُوجب مزيد تحقق لا إسقاطًا تلقائيًا	NASA NTRS يصف هذه المعايير بأنها تنبؤية وتجريبية؛ "الأفضل" بينها (يالوب) لكن ما زالت في إطار التوقع/الاحتمال لا القطع.

العامل/ المعيار	درجته في القضاء	معيار قاطع/ حدّي لردّ الشهادة (استحالة وجودية)	معيار قرينة قوية/ مساعدة (لا تُردّ وحدها)	ملاحظات تطبيقية مختصرة
وصف الشاهد لاتجاه الهلال وموضعه	**قرينة قوية**	—	إن خالف الوصفُ الواقع الفلكي البديهي (مثل ادعاء جهة لا يمكن أن يكون فيها القمر وقتها) = قرينة قوية على الوهم	مثلًا: الهلال المسائي يُطلب قرب جهة الغرب بعد الغروب؛ أخطاء الجهة/ الارتفاع تضعف الضبط.
تطابق/تعدد الشهادات القريبة زمانًا ومكانًا	**قرينة قوية**	—	وجود رصود متعددة من نفس الإقليم تؤيد، أو انعدامها مع صفاء الظروف قد يضعّف	ليست قاطعًا لأن الناس قد يفوتهم أو يجهلون موضعه، لكنها قرينة مهمة في "ضبط الشهادة".
الطقس والشفافية/الغبار/ الإضاءة/ التلوث الضوئي	**قرينة مساعدة**	—	ظروف سيئة مع ادعاء رؤية "مبكرة جدًا" = قرينة إضافية ضد الدعوى	USNO يصرح أن الرؤية تتأثر بشدة بظروف الجو وخبرة الراصد.

- **القواطع** هنا ليست «اعتمادًا للحساب بدل الرؤية»، بل هي **نفيٌ لمحلّ الرؤية وجودًا** (القمر ليس فوق الأفق بعد الغروب / لا مكث له).
- أما **الأرقام الحدّية** (عمر/استطالة/ارتفاع...) فهي **قرائن** تُستعمل للتثبت، لأن قابلية الرؤية البشرية لا تُتنبأ يقينًا.

والله تعالى أعلم،

والحمد لله رب العالمين.■

الصَّحابيُّ الجليلُ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رضيَ اللهُ عنه

الأستاذ ريان عيسى _ ولاية العراق

جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ من أعيانِ الصَّحابةِ، ومن ساداتِ قومِهِ، جمعَ بينَ جمالِ الخَلقِ، وبلاغةِ اللِّسانِ، ورِقَّةِ الخُلقِ، حتى استحقَّ ثناءَ الكبارِ من الصحابةِ. وقد لازَمَتهُ منقبةٌ مشهورةٌ: أنَّ النبيَّ ﷺ ما رآهُ إلا تبسَّم في وجهِهِ، ودعا لهُ بالثَّباتِ والهدايةِ.

الاسم: جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جابرِ بنِ مالكٍ البَجَلِيُّ الأَحْمسِيُّ. الكُنية: أبو عبدِ الله، وقيل: أبو عَمرو. من وُلْدِهِ (كما اشتهر): المُنْذِرُ، وعبيدُ اللهِ، وإبراهيمُ، وبشيرٌ. القبيلة: بَجِيلَةُ؛ وقد اختلفَ النَّسَّابون في نسبِها: أهي من اليمنِ أم من نِزار. قَدِمَ المدينةَ مُسلِماً في رَمضان سنةَ عشرٍ للهجرةِ، ومعهُ جماعةٌ من قومِهِ (وقيل: سنةَ تسع).

إسلامُه ووفادتُه على النبيِّ ﷺ:

قَدِمَ جَرِيرٌ رضيَ اللهُ عنه المدينةَ في وفدٍ من قومِهِ، وقد رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أصحابَهُ قُبيلَ دخولِهِ خبرَ قدومِ رجلٍ كريمٍ من أهل اليمن، وورَدَ في بعضِ الروايات ذِكرُ «مَسْحةِ مَلَك» على وجهِه. ولمَّا دخلَ أكرمَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وبايعهُ على أصولِ الدينِ وحقوقِه العملية؛ فقال جَرِيرٌ: «بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والنُّصحِ لكلِّ مُسلِمٍ».

مناقبُه مع رسولِ الله ﷺ:

من أظهرِ ما وردَ في مناقبِهِ ما رواهُ جَرِيرٌ نفسُه: أنَّ النبيَّ ﷺ «لم يَحْجُبْهُ» منذ أسلم، «ولا رآهُ إلا تبسَّمَ في وجهِهِ». وشكا إليه ضعفَهُ عن الثبوتِ على الخيل، فضربَ صدرَهُ ودعا له: «**اللهمَّ ثبِّتْهُ،**

واجعَلْهُ هادياً مَهْدِيّاً»؛ فكانت دعوةً مباركةً شهدَت لها سيرتُه. ولهذا اشتهر عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلقيبُه بـ«يُوسُفِ هذه الأُمّة» لجمالِه وسَمتِه.

مهمّاتٌ في عهدِ النبوّة:

كلَّفهُ النبيُّ ﷺ مهمّاتٍ تُظهرُ ثِقتهُ به وبقومِهِ؛ فمن ذلك إرسالُه في سَريةٍ لهدمِ «ذِي الخَلَصَة»، وهو بيتٌ كان يُعظَّم في الجاهلية ويُسمَّى «الكعبةَ اليمانيّة». قال له النبيُّ ﷺ: «**هل تُريحُني من ذِي الخَلَصَة؟**» فانطلقَ في جماعةٍ من فرسانِ أحمس، فهدموهُ. كما وردَ عنه أنه بُعث إلى اليمن في بعضِ مهامه الدعوية والجهادية.

بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ: جهادٌ وولايةٌ واعتزالٌ للفتنة.

حين تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ كان جريرٌ في بعضِ أعمالِهِ باليمن، ثم شاركَ في تثبيتِ أركانِ الإسلامِ في تلك النواحي. ولمّا انطلقت فتوحاتُ العراقِ وفارس كان له ولقومِهِ بلاءٌ محمود، حتى نزلَ الكوفةَ وبنى بها داراً. ثم لمّا وقعت الفتنُ في أواخرِ خلافةِ عثمان رضي الله عنه، آثرَ جريرٌ اعتزالَ القتالِ، وانتقلَ إلى قَرْقِيسِياء على الفرات، فمكثَ بها إلى أن تُوفِّيَ.

لمحاتٌ من جهادِه في الفُتوح:

كان على ميمنةِ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ يومَ القادسيّة، وهو موضعٌ يدلّ على ثقةِ القيادةِ به وبقومِهِ. ذُكِرَ في وقعةِ البُوَيْب ضمنَ ساداتِ المسلمين الذين شهِدوا تلك الأيام العظام. وُجِّهَ إلى هَمَذان سنةَ ثلاثٍ وعشرين للهجرة، فقاتلَ أهلَها وأُصيبت عينُه بسهمٍ وهو يدفع دونها، ثم فُتِحت هَمَذان على نحو صلحِ نَهاوَند.

روايتُه للحديثِ وأثرُه:

كان جريرٌ رضيَ اللهُ عنه من رواةِ السُّنَّة؛ ومما يَدلُّ على رسوخِ خُلُقه الحديثُ المشهورُ في «النُّصحِ لكلِّ مسلم»، وهو أصلٌ جامعٌ في أخلاقِ المسلمِ ومعاملاتِه. كما حفظت لنا كتبُ الحديث والسير أخبارَه في التواضعِ وحسنِ السمت، فاجتمعَ له شرفُ الصحبةِ، وجمالُ الخُلقِ، وصدقُ النصيحة.■

الجرأةُ في قولِ الحقّ

الأستاذة: عائشة الزَّعْتَري

إنَّ الصَّدعَ بالحقِّ والجرأةَ في قولِه أمرٌ أوجبه اللهُ سبحانه وتعالى، فهو فضيلةٌ يسعى لها المؤمنُ استجابةً لأمرِ الله لنيلِ رضوانِه ولتحصيلِ الدرجاتِ العُلَا، وهو أمرٌ تحتاجه جماعةُ المسلمين على الدوام، وخاصّةً في أمورِ الحكم والسياسة؛ فقولُ الحقِّ في وجهِ الحاكم الذي يلي أمرَ المسلمين ويحكمهم بما أنزل الله، ومحاسبتُه إن زلَّ أو أخطأ أو ظلم، صِمامُ أمانٍ للحفاظ على سلامةِ الحكم من إساءاتِ التطبيق، أو ما كان أعظمَ من ذلك من مخالفات.

وقد وردت نصوصٌ شرعيةٌ كثيرةٌ تحثُّ على قولِ الحق، وتذمُّ الجبن، وتعيب خشيةَ الناس بدلًا من خشيةِ الله. ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى وجوب قول الحق وفضله:

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ النساء.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٤٢) البقرة. الآيةُ هنا فيها نهيٌ عن كتمان الحق ووجوبُ إظهارِه؛ ليهتدي به الناس ويتَّبعوه.

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ ٣٩ الأحزاب. هنا يمدح اللهُ تعالى الذين يبلِّغون رسالاتِه إلى الناس ويؤدُّون الأمانة ويخشونه ولا يخافون أحدًا سواه، فلا يمنعهم طغيانُ أحدٍ أو سطوتُه عن إبلاغ رسالاتِ الله.

وممّا ورد في السنّة المطهّرة في وجوب قول الحق:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه، فإنّه لا يقرِّبُ من أجلٍ ولا يباعدُ من رزقٍ**» رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بخصالٍ من الخير: «أوصاني بألَّا أنظُرَ إلى مَن هو فوقي، وأن أنظُرَ إلى مَن هو دوني، وأوصاني بحبِّ المساكينِ والدنوِّ منهم، وأوصاني أن أصلَ رحمي وإن أدبرتْ، وأوصاني ألَّا أخافَ في الله لومةَ لائمٍ، وأوصاني أن أقولَ الحقَّ وإن كان مرًّا، وأوصاني أن أُكثرَ من قول: لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، فإنَّها كنزٌ من كنوزِ الجنّة» رواه أحمد

والطبراني والبيهقي.

ومن دعاء سيدنا محمد ﷺ الذي رواه عمّار بن ياسر رضي الله عنه، قال: «**اللهمَّ بعلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ، أحْيِني ما علِمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفَّني إذا علِمتَ الوفاةَ خيرًا لي، اللهمَّ إنّي أسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشهادةِ، وأسألُكَ كلمةَ الحقِّ في الرضا والغضب**...» أخرجه النسائي.

ومن مواقف الصحابة والسلف الصالح في الجرأة في قول الحقّ في وجه أئمتهم وحكامهم إذا ظلموا ما رواه الطبراني، قال: «خطبنا معاويةُ في يومِ جمعةٍ فقال: إنما المالُ مالُنا والفيءُ فيئُنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا، فلم يردَّ عليه أحد. فلمّا كانت الجمعةُ الثانية قال مثلَ مقالته، فلم يردَّ عليه أحد. فلمّا كانت الجمعةُ الثالثة قال مثلَ مقالته، فقام إليه رجلٌ ممن شهد المسجد فقال: كلا، بل المالُ مالُنا والفيءُ فيئُنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا.

فلمّا صلّى أمر بالرجل فأُدخل عليه، فأجلسه معه على السرير، ثم أذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس، إنّي تكلمت في أول جمعة فلم يردَّ عليَّ أحد، وفي الثانية فلم يردَّ عليَّ أحد، فلمّا كانت الثالثة أحياني هذا أحياه الله. سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**سيأتي قومٌ يتكلمون فلا يُرَدُّ عليهم، يتقاحمون في النار تَقاحُمَ القردة**»، فخشيت أن يجعلني اللهُ منهم، فلمّا ردَّ هذا عليَّ أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني اللهُ منهم». قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى، ورجاله ثقات.

وفي رواية أخرى: عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يكون أمراءُ يقولون فلا يُردُّ عليهم، يتهافتون في النار يتبعُ بعضُهم بعضًا**». وفي هذا الحديث النبوي الشريف تحذيرٌ من السكوت على ظلم الحاكم والخوف من عقوبته؛ فعقوبةُ الله عزّ وجلّ أعظمُ وأشدّ، وأحقُّ أن تُخشى.

وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير: «أنَّ عمر قال يومًا في مجلسٍ وحوله بعضُ المهاجرين والأنصار: أرأيتم لو ترخّصتُ في بعضِ الأمر، ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا. فعاد مرتين أو ثلاثًا. قال بشير بن سعد: لو فعلت قومناك تقويمَ القدح. قال عمر: أنتم إذن أنتم ».

وأخرج الإمام ابن المبارك في الزهد، قال: «أخبرنا سفيانُ بن عيينة عن موسى بن أبي عيسى قال: أتى عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مشربةَ ابن حارثة، فوجد محمدَ بن مسلمة، فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير؛ أراك قويًّا على جمع المال، عفيفًا عنه، عادلًا في قسمه، ولو ملتَ عدلناك كما يُعدَّل السهمُ في الثقاف. فقال عمر:

هاه. فقال: ولو ملتَ عدلناك كما يُعدَّل السهمُ في الثقاف. فقال: الحمد لله الذي جعلني في قومٍ إذا ملتُ عدلوني».

ورُوي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «أنه غزا مع معاوية أرضَ الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كِسَرَ الذهب بالدنانير، وكِسَرَ الفضّة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس، إنكم تأكلون الربا. سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **لا تبتاعوا الذهبَ بالذهب، إلّا مثلًا بمثل، لا زيادةَ بينهما ولا نَظِرة**. فقال له معاوية: يا أبا الوليد، لا أرى الربا في هذا، إلّا ما كان مِن نَظِرة. فقال عبادة: أحدِّثك عن رسولِ الله ﷺ وتحدِّثني عن رأيك! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرضٍ لك عليَّ فيها إمرة. فلمّا قفل لحق بالمدينة، فقال له عمرُ بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقصّ عليه القصة وما قال من مساكنته، فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك؛ فقبّح الله أرضًا لستَ فيها وأمثالُك. وكتب إلى معاوية: لا إمرةَ لك عليه، واحمل الناس على ما قال، فإنّه هو الأمر» رواه ابن ماجه.

ومن مواقف السلف الصالح في الجرأة في قول الحق مواقف الإمام النووي رحمه الله، حيث عُرف بجرأته في قول الحق. وقد روى أحدُ تلاميذه عنه كما ورد في كتب التاريخ، قال: «كان النووي مواجهًا للملوك والجبابرة، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم.

وكان إذا عجز عن المواجهة كتب الرسائل، وتوصّل إلى إبلاغها. فمما كتبه وأرسلني في السعي فيه كتابٌ يتضمن العدلَ في الرعية وإزالةَ المكوس عنهم، فكان جوابُ السلطان بالإنكار والتوبيخ والتهديد. فكتب رحمه الله جوابًا لذلك الجواب، ومما جاء فيه: «... وقد أوجب الله إيضاحَ الأحكام عند الحاجة إليها، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت».

وقال أيضًا ما موجزُه: «ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيءٌ ما دام في بيت المال شيءٌ من نقدٍ أو متاعٍ وأرضٍ وضياع تُباع أو غير ذلك، وهؤلاء علماءُ المسلمين في بلاد السلطان متفقون على هذا، وبيتُ المال بحمد الله معمور».

وقال في رده على تهديد السلطان: «وأما تهديدُ الرعية بسبب نصيحتنا وتهديدُ طائفةٍ فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه! وأي حيلة لضعفاء المسلمين المغرقين في أقطار ولاية السلطان في كتابٍ كتبه بعضُ المسلمين الناصحين نصيحةً للسلطان ولهم ولا علم لهم به؟ وكيف يؤخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟! وأما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا أكبر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان؛ فإني أعتقد أن هذا واجبٌ عليّ وعلى غيري، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾،

﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾. وقد أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نقول الحق أينما كنا، وأن لا نخاف في الله لومةَ لائم.

وقد يلاقي المؤمنُ الأذى والاضطهاد نتيجة صدعه بالحق ومواجهة ظلم الحاكم والسلطان. وقد لاقى الدعاةُ والعلماءُ المسلمون على مر العصور الأذى نتيجة مواقفهم وثباتهم على قول الحق، مثل الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعز بن عبد السلام، وأبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وغيرهم.

ومن قصة الأذى الذي لقيه الإمام مالك بن أنس كما جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي: «... وعن إسحاق الفروي وغيره قال: ضُرب مالك ونيل منه، وحُمل مغشيًّا عليه. فعن مالك قال: ضُربت فيما ضُرب فيه سعيدُ بن المسيب، ومحمدُ بن المنكدر، وربيعة، ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر. وعن الليث بن سعد قال: إني لأرجو أن يرفعه الله بكل سوطٍ درجةً في الجنة. وقال مصعب بن عبد الله: قال الأصمعي: ضربه جعفر، ثم بعدُ مشيتُ بينهما حتى جعله في حلّ. وقال محمد بن جرير: كان مالك قد ضُرب بالسياط، واختلف في سبب ذلك، فحدثني العباس بن الوليد أن أبا جعفر نهى مالكًا عن حديث: (**ليس على مستكره طلاق**)، ثم دسّ إليه من يسأله، فحدثه به على رؤوس الناس، فضربه بالسياط.

هذه أمثلةٌ من حياة الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح على جرأتهم في قول الحق وثباتهم على مواقفهم، رغم تلقيهم الأذى في سبيل ذلك. وهذا في حال وجود وليِّ أمرٍ للمسلمين، فكيف بحاجتهم لقول الحق والصدع به وحالُهم اليوم حالُهم! إن الأمة اليوم تحتاج إلى الصدع بالحق احتياجًا مُلحًّا، وذلك بعد مرور عقودٍ على هدم دولة الإسلام، وضياع جماعة المسلمين، وتسلط حكام السوء عليهم؛ الذين زرعوا الخوفَ والرعبَ بين الأمة، وأنشأوا حواجزَ الصمت التي منعت الناس من قول الحق والجهر به، وجعلتهم بالعموم يقدّمون السلامة على كل مواجهة لأعداء الله والوقوف في وجه مخططاتهم؛ فجُعلت السلامة أكبرَ غنيمة، وجُعل الخوض في شؤون الأمة والصدع بالحق استهتارًا وطيشًا وجهالة!

ولكن من مكر الله أن الخير باقٍ في الأمة، وسجونُ الطغاة مليئةٌ بالعلماء والدعاة لقولهم الحق ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. نعم، إن الأمة اليوم تحتاج إلى من يقتحم الميادين، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشجاعةٍ وإقدامٍ لا يخشى إلّا الله، ولا يخاف فيه لومةَ لائم؛ ليدفع الناس لحمل دينهم، وليقودهم لإقامته من جديد في الأرض. والله حسبُ المؤمنين ووليُّهم وناصرُهم، وهو نعم المولى ونعم النصير.■

إيران لم تقم بتأمين الحاجات الأساسية فاجتاحتها المظاهرات

تظاهر الطلاب في جامعات عدّة في طهران وأصفهان للتنديد بتدهور الوضع الاقتصادي. وقالت وكالة أنباء العمال الإيرانية «إيلنا» نقلا عن أحد مراسليها إن «هذه التظاهرات نُظّمت في طهران في جامعات بهشتي وخواجة نصير وشريف وأمير كبير وجامعة العلوم والثقافة وجامعة العلوم والتكنولوجيا، إضافة إلى جامعة التكنولوجيا في أصفهان». وفي تعليقه على مشهد الاحتجاجات، أكّد الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان أن «معيشة الشعب هي شاغلي اليومي». وقال: «لدينا تدابير أساسية على جدول الأعمال لإصلاح النظام النقدي والمصرفي والحفاظ على القوة الشرائية للشعب». وقال في منشور عبر «إكس»: «أوعزت إلى وزير الداخلية إجراء حوار مع ممثلي المتظاهرين للاستماع إلى مطالبهم المشروعة، حتى يتسنّى للحكومة العمل بكل قوة لحل المشكلات والاستجابة بمسؤولية». وقد بدأ التحرّك العفوي في أكبر أسواق الهواتف المحمولة في طهران، قبل أن يتّسع نطاقه ويكتسب زخماً في اليوم التالي. وأغلق التجّار الغاضبون من انخفاض جديد في قيمة العملة الوطنية متاجرهم، ونظّموا احتجاجات في وسط العاصمة الذي يضم العديد من المحلّات. وأفادت وسائل إعلام رسمية أنّ مدارس ومصارف ومؤسسات عامة أغلقت في طهران ومحافظات أخر في البلاد، بسبب البرد ولتوفير الطاقة! من دون ربط ذلك بالاحتجاجات. وشملت عمليات الإغلاق محافظات البُرز وقم (شمال) وهمدان ولورستان (غرب) وخراسان الشمالية (شمال شرق) ويزد (وسط)

نفذت قوات عراقية وأمريكية، في ١٨ من كانون الأول، عملية إنزال جوي مشتركة داخل الأراضي السورية، أسفرت عن اعتقال متهمين بالانضمام إلى تنظيم «الدولة الإسلامية»

وذلك في إطار ملاحقة فلول التنظيم ومنع تحركاته عبر الحدود السورية- العراقية. ونقلت قناة «العربية» السعودية عن مصدر أمني عراقي أن العملية جرت بالتنسيق مع الحكومة السورية، واستهدفت تعقب ثلاث قيادات في تنظيم «الدولة»، اثنان منهم يحملان الجنسية العراقية. وبحسب المصدر، شاركت قوة أمريكية برفقة قوة من القوات العراقية في تنفيذ إنزال جوي في الجزء الغربي من قريتين صغيرتين تقعان جنوب مدينة الحسكة بنحو ٦٠ كيلومترًا، وعلى مقربة من الحدود العراقية- السورية. وأسفرت العملية عن إلقاء القبض على اثنين من المطلوبين، فيما

لم يكن الشخص الثالث موجودًا داخل منزله أثناء تنفيذ الإنزال. مراسل «عنب بلدي» في رأس العين، قال إن العملية تمّت بالتنسيق مع دمشق، إلا أن قوات وزارة الداخلية السورية لم تشارك في العملية. واعتقلت القوات بالإضافة لعناصر التنظيم، مدنيًا من البلدة وأطلقت سراحه لاحقًا بحسب المراسل. في السياق ذاته، أكدت خلية الإعلام الأمني العراقية، في بيان نقلته «وكالة الأنباء العراقية» (واع)، إلقاء القبض على «هدفين مهمين مطلوبين للقضاء العراقي» بعملية نفذتها خلية «الصقور الاستخبارية» داخل الأراضي السورية. وأوضح البيان أن العملية جاءت «بتوجيه ومتابعة من القائد العام للقوات المسلحة»، ونُفذت من قبل قوة محمولة جوًا تابعة لوكالة الاستخبارات والتحقيقات الاتحادية في وزارة الداخلية العراقية وبالتنسيق مع قوات الأمن السورية، وبإسناد فني ودعم من التحالف الدولي.

وفي السياق نفسه، أكد الجيش الأردني مشاركة سلاح الجو الملكي في الضربات الأميركية على مواقع تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، ردّاً على هجوم أسفر عن مقتل ثلاثة أميركيين في كانون الأول/ديسمبر من العام الماضي. وقال الجيش في بيان إن «سلاح الجو الملكي نفذ مساء عمليات جوية نوعية استهدفت مجموعة من الأهداف التابعة لعصابة داعش الإرهابية في عدة مناطق داخل الأراضي السورية، وذلك ضمن الجهود الإقليمية والدولية المستمرة لمحاربة الإرهاب». وأضاف البيان أنّ «هذه العمليات جاءت بالتنسيق مع الشركاء ضمن إطار التحالف الدولي، الذي تشارك فيه الدولة السورية، في سياق السعي إلى تحييد قدرات الجماعات الإرهابية ومنعها من إعادة تنظيمها أو استخدام تلك المناطق كنقاط انطلاق لتهديد أمن دول الجوار والأمن الإقليمي». وخلص البيان إلى أنّ «المشاركة (الأردنية) تأتي ضمن سياسة المملكة في مكافحة الإرهاب والتطرف، والدفاع عن أمنها الوطني، والإسهام في حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة».

حتى بريطانيا وفرنسا تستبيحان أرض وجو الشام في ظل حكم الجولاني المفرط بالبلاد والعباد.

نفذ سلاح الجو البريطاني في عملية مشتركة مع فرنسا، السبت ٣ من كانون الثاني، ضربات وصفها بـ»الناجحة» ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» في منطقة تدمر بريف حمص الشرقي. وانضمت طائرات «تايفون إف جي آر»، مدعومة بطائرة تزويد بالوقود من طراز "فوياجر"، بحسب وزارة الدفاع البريطانية، إلى الطائرات الفرنسية في غارة جوية مشتركة على منشأة تحت الأرض. وقالت الوزارة إن الطائرات البريطانية استخدمت قنابل "بايفواي" الموجهة لاستهداف عدد من الأنفاق المؤدية إلى المنشأة، مضيفة أن المؤشرات الأولية تشير إلى نجاح استهداف الموقع، في ظل استمرار التقييم التفصيلي. ونفت وزارة الدفاع البريطانية وجود أي خطر على المدنيين جراء الغارة، مؤكدة عودة جميع الطائرات سالمة. وأشارت الوزارة إلى أن تحليلًا استخباراتيًا «دقيقًا» كشف وجود منشأة تحت الأرض في الجبال، على بعد أميال شمال

منطقة تدمر، منوهة إلى أن تنظيم «الدولة» كان يستخدم المنشأة لتخزين الأسلحة والمتفجرات. ولم تعلق الحكومة السورية على الضربات حتى لحظة نشر هذا التقرير. وزير الدفاع البريطاني، جون هيلي، قال إن العملية «تُظهر قيادة المملكة المتحدة، وتصميمها على الوقوف جنبًا إلى جنب مع حلفائها، للقضاء على أي عودة لتنظيم الدولة وأيديولوجياته الخطيرة والعنيفة في الشرق الأوسط». وأضاف أن «العملية تهدف إلى القضاء على الإرهابيين الخطرين الذين يهددون نمط حياتنا، وتظهر استعداد القوات المسلحة البريطانية للتدخل على مدار العام، للحفاظ على أمن بريطانيا في الداخل وقوتها في الخارج». ووجه هيلي الشكر إلى جميع أفراد القوات المسلحة البريطانية التي شاركت في العملية على «مهنيتهم وشجاعتهم»، مشيرًا إلى أنهم كانوا من بين آلاف الأفراد البريطانيين الذين جرى نشرهم خلال فترة أعياد الميلاد ورأس السنة.

الوعي: ما لم يتدارك المخلصون أمرهم ويوقفوا خيانات الجولاني فستتحول الشام إلى مزرعة لكل طامعٍ من أعداء الخارج، هذا إن لم تكن أصبحت هكذا بالفعل. ما سيتطلب جهودا جبارة إضافية للتخلص من الواقع الجديد الذي أحدثه الجولاني وأسياده من تثبيت نفوذ للكفار وحكام المسلمين العملاء وجواسيسهم في البلاد، سواء أكان احتلالا عسكريا أم ثقافيا أم إعلاميا أم اقتصاديا أم غير ذلك.

من الإثم العظيم والعار أنّ يتحول أناس عن صفة المجاهدين والثائرين ضد الظلم إلى أعوان للكافر الحربي يقاتلون معه جنبا إلى جنب إخوانا لهم من المسلمين.

بعض العملاء في نظام باكستان يريدون تمديد خط العمالة لأميركا واستئناف الحروب مع الأمة الإسلامية ليقتل الأخ أخاه بمسمى مكافحة الإرهاب.

قال المتحدث باسم الجيش الباكستاني، أحمد شريف تشودري، إن أفغانستان تحولت خلال عام ٢٠٢٥ إلى القاعدة الرئيسة للإرهاب في عموم المنطقة، مؤكداً أن موقف إسلام آباد بشأن دور أفغانستان في تصاعد النشاطات الإرهابية بات مقبولاً على المستوى الدولي. وأوضح المتحدث باسم الجيش الباكستاني، خلال مؤتمر صحافي أن التركيز الأساسي لباكستان خلال عام ٢٠٢٥ انصبّ على القضايا الأمنية، ولا سيما مكافحة الإرهاب. وقال تشودري إن ما يوجد حالياً في أفغانستان لا يمكن وصفه بأنه «حكومة»، مشيراً إلى أن هذا الكيان يعرّف نفسه بوصفه «حكومة مؤقتة». وأضاف أن أفغانستان في وضعها الراهن ليست سوى «تعبير جغرافي»، متطرقاً إلى التركيبة السكانية للبلاد، ومشيراً إلى أن البشتون يشكّلون ٤٢٪ من السكان، فيما تضم النسبة المتبقية الطاجيك والأوزبك والتركمان والهزارة وأقواماً أخرى. وقال المتحدث باسم الجيش الباكستاني إن الحرب ضد الإرهاب هي «حرب الأمة الباكستانية بأكملها»، مشيراً إلى أن عام ٢٠٢٥ شهد تنفيذ «أكثر الإجراءات الشاملة والفعالة لمكافحة الإرهاب» في تاريخ البلاد. وتطرق أحمد شريف تشودري إلى اتفاق الدوحة بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، موضحاً أن الاتفاق نصّ صراحة على عدم استخدام الأراضي الأفغانية لأغراض إرهابية، لكنه قال إن جماعات إرهابية وتنظيمات محظورة تنشط حالياً داخل

أفغانستان، مضيفاً أن «هذا البلد تحوّل إلى مركز للعمليات الإرهابية في المنطقة».

إيلون ماسك ينشر برنامجا عبر النت يسهّل عملية تركيب صور مزيفة عبر ربط أجسام عارية على وجوه حقيقية.

منعت ماليزيا الوصول إلى نموذج الذكاء الاصطناعي Grok الذي ابتكره إيلون ماسك، وسط ضجة عالمية بشأن قدرة برنامج الدردشة الآلي على إنتاج صور جنسية صريحة للأشخاص دون موافقتهم. قالت لجنة الاتصالات والوسائط المتعددة الماليزية (MCMC) إنها حظرت Grok مؤقتًا بعد أن أمرت مطور xAI chatbot ومنصة الوسائط الاجتماعية X بتقديم ضمانات لضمان الامتثال للقانون.

الوعي: أحكام البينات هي أحكام ثبت من طريق الشرع أنها طريقة لإقامة البينة على شهادة، سواء تصرفات مالية أو جنائية أو غير ذلك. وقد ألف فيها حزب التحرير كتابا بعنوان «أحكام البينات». وقد أوضح فيه أن الصور الفوتوغرافية والتسجيلات المطولة من التصوير لا تعدّ أدلة شرعية في البينات، وذلك قبل أن يكون هناك عصر «ذكاء اصطناعي».

أمريكا تجد أن حكام الشام الجدد لا يعصون الأوامر، فتهب «الجولان» هدية لكيان يهود خلال بث مباشر.

خلال حديثه عن أحد أكثر قراراته تأثيرًا في السياسة الخارجية، استعاد الرئيس الأميركي دونالد ترامب قرار الاعتراف بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان، بعد عقود من الدبلوماسية المتعثّرة. ترامب قال إن هذه الخطوة لم يطلبها منه أحد، حتى أقرب داعميه، لكنه اتخذها سريعًا بعد أن استمع إلى الشرح الأمني والسياق التاريخي. وأوضح ترامب أنه طلب من السفير الأميركي السابق لدى إسرائيل ديفيد فريدمان شرح ملف الجولان خلال خمس دقائق، وبعد دقيقتين فقط، كما قال، فهم مدى حاجة إسرائيل للجولان من الناحية الدفاعية، خصوصًا في زمن كانت فيه السيطرة على المرتفعات عنصرًا حاسمًا للأمن قبل تطوّر أنظمة الرادار. وأضاف: «تعلّمت ما يكفي ووقّعت القرار. كانوا يعملون على هذا الملف منذ سبعين عامًا، ولم يفعل أحد شيئًا. أنا فعلتها، وفعلناها بسرعة».

أميركا تريد جهاز حكم هزيل يأخذ الأوامر من كيان يهود الرضيع عند الغرب وتكافئه بكرسي «معوج» ليظهر للأمة أنها أضعف من يهود مع أنها ليست كذلك

قالت سوريا و(إسرائيل) والولايات المتحدة في بيان مشترك نشرته في السادس من يناير/كانون الثاني ٢٠٢٦ وزارة الخارجية الأمريكية إن إسرائيل وسوريا اتفقتا خلال محادثات في باريس بوساطة

أمريكية على إنشاء خلية اتصالات لتنسيق القضايا الأمنية والمخابراتية والتجارية. لكن مسؤولا سوريا قال لرويترز إنه «لا يمكن الانتقال إلى أي ملفات استراتيجية دون جدول زمني ملزم وواضح للانسحاب الإسرائيلي الكامل» من الأراضي التي استولت عليها بعد الإطاحة ببشار الأسد في أواخر ٢٠٢٤. وأفاد بيان وزارة الخارجية الأمريكية المشترك بأن الحكومة السورية الجديدة و(إسرائيل) ستشكلان مجموعة مشتركة بإشراف الولايات المتحدة لتقاسم المعلومات الاستخباراتية وسعيا لاحتواء التصعيد العسكري على الأرض.

وشارك وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني في محادثات عُقدت في باريس بعد توجيه إسرائيل ضربات متكررة لسوريا، على الرغم من استياء الولايات المتحدة من الضغوط الإسرائيلية على الحكومة الهشة في دمشق. وأكدت (إسرائيل) أنها عقدت في باريس مباحثات أمنية مع سوريا برعاية الولايات المتحدة، وذلك بهدف تعزيز الاستقرار الإقليمي والتعاون الاقتصادي.

وقال مسؤول سوري إنه «لا يمكن الانتقال إلى أي ملفات إستراتيجية» في المحادثات مع (إسرائيل) دون جدول زمني واضح وملزم لخروج القوات الإسرائيلية من الأراضي السورية التي استولت عليها بعد سقوط بشار الأسد في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٤.

وقال المسؤول، الذي تحدث مع رويترز شريطة عدم نشر اسمه، إن أحدث جولة من المحادثات التي جرت بوساطة أمريكية في باريس انتهت بمبادرة أمريكية «على تجميد فوري لكافة الأنشطة العسكرية (الإسرائيلية)» ضد سوريا.

واتهم المسؤول السوري إسرائيل باللجوء إلى «المماطلة التقنية» في المحادثات وقال إن عليها التخلي عن «عقليتها التوسعية» حتى يتسنى المضي قدما في المحادثات. وتسعى سوريا إلى انسحاب (إسرائيل) إلى المواقع التي كانت تتمركز فيها قبل الإطاحة بالأسد، وتريد إطارا أمنيا يضمن سيادتها ويمنع التدخل في شؤونها الداخلية.

وأورد البيان المشترك بعد المباحثات في باريس أن سوريا و(إسرائيل) تلتزمان «اتخاذ ترتيبات (تكفل) الأمن والاستقرار الدائمين لكلا البلدين». وجاء في البيان: «لقد قرر الطرفان إنشاء آلية دمج مشتركة -خلية تواصل- لتسهيل التنسيق الفوري والمستمر في ما يتصل بتبادل المعلومات الاستخباراتية واحتواء التصعيد العسكري والانخراط الدبلوماسي والفرص التجارية بإشراف الولايات المتحدة».

وأضاف: «ستكون هذه الآلية منصة لمعالجة أي خلافات على وجه السرعة والعمل على منع وقوع سوء تفاهم». الاجتماع الذي عقد بمبادرة أمريكية، هو الأول منذ أشهر بين (إسرائيل) وسوريا اللتين لا تقيمان علاقات دبلوماسية. وأفاد مكتب رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو في بيان أن «الحوار جرى في إطار رؤية الرئيس ترامب للمضي قدما بالسلام في الشرق

الأوسط»، موضحا أن (إسرائيل) شددت خلال المحادثات «على أهمية ضمان أمن مواطنيها وتجنب التهديدات على طول حدودها». وأضاف البيان أن «(إسرائيل) كررت التزامها تعزيز الاستقرار والأمن الاقليميين، إضافة إلى ضرورة إحراز تقدم في التعاون الاقتصادي لصالح البلدين». وأشار إلى اتفاق الطرفين على «مواصلة الحوار للدفع قدما بالأهداف المشتركة وحماية أمن الأقلية الدرزية في سوريا». وكانت (إسرائيل) أشارت إلى أن أحد أسباب تدخلها في سوريا يكمن في حماية الدروز من أعمال العنف.

الوعي: حكام سوريا الجدد توزع عليهم الأدوار والأوامر داخل أرض الشام وخارجها ليطبقوا أنظمة الكفر ويفعلوا ما لم يخطر في البال، أي حتى ما لم يفكر فيه حافظ وبشار من مستويات العمالة. من المحافظة على استقلال كيانات طائفية منها «الكيان الدرزي» و«الكيان العلوي» و«الكيان السني» و«كيان يهود» وغير ذلك من أدوار قذرة ومحاربة الحركات الإسلامية الملخصة الساعية لإقامة دولة الإسلام وإعادة الحياة الإسلامية، ومحاربة من لا يريد الانضواء في النظام الدولي، وذلك بتكريس العمل بدستور حافظ وبشار العلماني المستورد من الغرب.

حكام العرب وبعض دول الغرب يكتفون بالاستنكار والشجب وهم يشاهدون قضم كيان يهود لأراض جديدة في الضفة وطرد المسلمين منها

أدانت ١٤ دولة غربية موافَقة المجلس الوزاري الأمني الإسرائيلي على بناء ١٩ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية المحتلة، وطالبت تل أبيب بالتراجع عنه وبوقف توسيع الاستيطان. وجاء في بيان مشترك أصدرته دول غربية -من بينها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وكندا وإسبانيا- بهذا الشأن، «ندعو (إسرائيل) إلى التراجع عن قرار بناء المستوطنات في الضفة الغربية وبوقف توسيع الاستيطان». وذكّرت الدول الغربية، في بيانها، بأن هذه القرارات (الإسرائيلية) أحادية الجانب وتأتي «في إطار تكثيف أشمل لسياسات الاستيطان في الضفة الغربية وتمثل انتهاكا للقانون الدولي، علاوة على كونها تؤجج أيضا انعدام الاستقرار».

من جانبه، رفض وزير الخارجية (الإسرائيلي) جدعون ساعر بيان الدول الأجنبية، وقال في منشور على إكس إن القرار يهدف للمساعدة في التعامل مع التهديدات الأمنية التي تتعرض لها (إسرائيل). وأضاف ساعر مهاجما الدول الموقعة على البيان «لن تفرض حكومات أجنبية قيودا على حق اليهود في الحياة على أرض (إسرائيل)، ومثل هذه الدعوات مشينة أخلاقيا وتمييزية ضد اليهود». وكان المجلس الوزاري (الإسرائيلي) المصغر صادق الأحد الماضي على خطة لإنشاء ١٩ مستوطنة، في خطوة من شأنها تصعيد التوتر في الأراضي الفلسطينية.

تحديث و توسيع القدرات العسكرية «وهم» عند الركون إلى الأجانب المحتلين ولا يكون «حقيقة» إلا بتشجيع عقول المسلمين على الإبداع.

أعلنت نيجيريا إتمام صفقة لشراء ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز «إم-٣٤٦ إف آي» من شركة الصناعات الجوية والدفاعية الإيطالية ليوناردو، بقيمة تقدّر بنحو ١،٢ مليار يورو، تشمل عقود صيانة ودعم طويل الأمد. وتأتي الصفقة ضمن خطة نيجيريا لتحديث قواتها الجوية وتوسيع قدراتها العملياتية، إذ يُنتظر أن تبدأ عمليات التسليم مطلع عام ٢٠٢٥ مع وصول ثلاث طائرات، على أن يكتمل تسليم الأسطول بحلول منتصف ٢٠٢٦. وكانت الحكومة قد وافقت سابقا على خطة اقتراض بقيمة ٦١٨ مليون دولار لشراء ٦ طائرات هجومية من الطراز نفسه مع ذخائر مرافقة. إلى جانب هذه المقاتلات، تعمل أبوجا على تعزيز قدراتها عبر اشتراء مروحيات وأنظمة دعم، في محاولة لإعادة هيكلة سلاح الجو بما يواكب التحديات الأمنية المتصاعدة.

بعد عشر سنوات من «عاصفة الحزم» التي تبناها ابن سلمان تَبيّن أن «العاصفة» كانت لتحجيم دور عملاء بريطانيا في اليمن.

جددت المملكة العربية السعودية مطالبة الإمارات بسحب قواتها من اليمن خلال ٢٤ ساعة، وشددت على أنها لن تتردد في اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة أي تهديد لأمنها. جاء ذلك في بيان أصدره مجلس الوزراء السعودي حول التطورات الجارية في اليمن. وقال المجلس -في بيان نقلته وكالة الأنباء السعودية- إن التصعيد الأخير في اليمن يخالف الأسس التي قام عليها تحالف دعم الشرعية. وجاء في البيان: «نأمل أن تستجيب دولة الإمارات لطلب اليمن إيقاف أي دعم لأي طرف آخر داخل اليمن»، كما طالب المجلس الإمارات بالاستجابة لطلب اليمن إيقاف أي دعم للمجلس الانتقالي الجنوبي. وقال بيان المجلس إن التصعيد الأخير في اليمن لا ينسجم مع الوعود التي تلقتها المملكة من الإمارات. وأضاف: «نأمل أن تستجيب دولة الإمارات لطلب اليمن بخروج القوات الإماراتية خلال ٢٤ ساعة». وشدد المجلس على التزام المملكة أمن اليمن واستقراره وسيادته ودعم رئيس مجلس القيادة الرئاسي، وجدد البيان تأكيد أن المملكة لن تتردد باتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة أي تهديد لأمنها. وكان رئيس مجلس القيادة الرئاسي اليمني رشاد العليمي طالب كل القوات الإماراتية بالخروج من جميع الأراضي اليمنية خلال ٢٤ ساعة.

الوعي: أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير ولاية اليمن بيانا صحفيا بتاريخ ١٤ رجب ١٤٤٧ هـ الموافق ٣ يناير ٢٠٢٦ م، جاء في جزء منه ما يلي: "إن الرياض لها أدوات في جنوب اليمن وهم قوات حلف قبائل حضرموت بقيادة الشيخ عمرو بن حبريش، ولديها قوات (درع الوطن) التي أسستها عام ٢٠٢٣م ورعتها لتستخدمها لتعزيز نفوذها، وهي قوات منضوية تحت حكومة العليمي التابعة لبريطانيا، ولكن السعودية تضغط عليها بشكل كبير لكونها هي من تقود التحالف العربي وتستضيف العليمي ومجلسه وتمارس ضغطا اقتصاديا كبيرا من طريق التحكم بالودائع لبنك

عدن التابع لحكومته، وجعلت إيرادات النفط الذي كان يصدر من جنوب اليمن توضع في البنك الأهلي السعودي، فأصبحت حكومة العليمي بمثابة الأسير لدى الرياض، ولكونها تابعة لبريطانيا فهم على طريقتها يسايرون الرياض ويضعون لها الفخاخ وإذا وصلوا لطريق مسدود أعطت بريطانيا عبر الإمارات الضوء الأخضر للمجلس الانتقالي للقيام بأعمال تزعج السعودية وأمريكا التي تقف وراءها. في المقابل فإن أبو ظبي ربيبة بريطانيا لديها المجلس الانتقالي الجنوبي وطارق صالح وقواته القابعة في الساحل الغربي لحماية باب المندب لصالحها. لقد أبدت الرياض شدة وغلظة مع الانتقالي وراعيته الإقليمية أبو ظبي، فاشتبكت قوات حلف قبائل حضرموت بقيادة عمرو بن حبريش رجل الرياض في حضرموت، مع قوات النخبة الحضرمية الموالية للمجلس الانتقالي، وضربت طائرةٌ مسيّرة قواتِ الانتقالي في خشم العين بمديرية العَبْر.

ووصل الأمر إلى ضرب شحنات المدرعات والأسلحة في ميناء المكلا يوم الثلاثاء ٣٠/ ١٢/ ٢٠٢٥. وأمْلَتْ الرياض على رشاد العليمي الموالي لبريطانيا - الذي هو بحكم الأسير في الرياض واقع تحت ضغطها مثله مثل الرئيس السابق عبد ربه منصور هادي – أملت عليه قراراً في ٣٠/ ١٢/ ٢٠٢٥ بإلغاء اتفاقية الدفاع المشترك مع أبو ظبي في قوات التحالف، وإخراج قواتها من اليمن خلال ٢٤ ساعة.

ليت السعودية ووزير دفاعها كانا حازمين مع كيان يهود الذي ظل لعامين تامّين، وما زال يطحن غزة هاشم على مرأى ومسمع منهما، وهي على مرمى حجر منهما، وتوجهت طائراتهم دفاعاً عن غزة في وجه كيان يهود! وقد قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾. فهل تقوم الرياض بكل حملتها هذه حُبّاً باليمن؟ أم نصرة لشرعية موهومة ما أنزل الله بها من سلطان؟ إن الجواب يكمن في أن الرياض بجميع ملحقاتها وإمكانياتها، تقوم بما تقوم به، ليس إلَّا خدمة لواشنطن في السيطرة على نفط حضرموت، وحصولها على منفذ على بحر العرب، لتوجيه نفطهما جميعاً عبر أنبوبها النفطي المزمع إنشاؤه إلى المحيطين الهندي والهادئ، بعيداً من ضوضاء باب المندب ومضيق هرمز! إن السعودية التابعة لأمريكا، تلاحق عملاء بريطانيا في جنوب اليمن، وعلى رأسهم المجلس الانتقالي منذ ظهوره في عام ٢٠١٧، والذي أزاح الحراك الجنوبي الذي رعت أمريكا تأسيسه عام ٢٠٠٦، وعلى رأسه حسن باعوم، وعلى أرضها ولد المجلس الرئاسي الثماني، ممسكة بأعضائه على أراضيها، وقامت بدك قوات الحرس الجمهوري لكونها تمثل نفوذ عميل بريطانيا، التابعة للهالك علي صالح خلال سنوات الحرب ٢٠١٥ - ٢٠٢٢، وثبتت الحوثيين في صنعاء، وتماهت مع طائرة الأمم المتحدة الحاملة السلاح إليهم في رحلاتها اليومية إلى مطار صنعاء، بدلاً من أن تُخْرِجهم وفق أهداف التحالف الذي قادته. إن السعودية بقيادة سلمان بن عبد العزيز وابنه محمد قد خلعت عنها ربقة الإسلام صراحةً، فهما يدعوان لرؤية ٢٠٣٠ الراعية للشذوذ والشواذ في بلاد الحرمين، ويبنيان مدينة نيوم المتاخمة لكيان يهود، لصرف أنظار وعقول المسلمين عن مكة، وقد وصف الأمريكيون ابن سلمان بأنه مصطفى كمال هذا العصر!"

الأستاذ إبراهيم سلامة

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾.

بِسْمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ، ومن والاهُ.

قال اللهُ تباركَ وتعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ (٢٥٦)،﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ . [البقرة].

ابتداءً: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾؛ لا يُكرهُ أحدٌ على الدخولِ في الإسلامِ على الإطلاق، ويُعرَضُ الإسلامُ على الناسِ كافَّةً ليؤمنوا بربِّهم، ويعملوا بطاعته، وإقامةِ دينه، والحكمِ بما أنزلَ على رسولِه ﷺ. وبعد الدعوةِ اللافتة للنظر: فليؤمنْ من آمن، ويكفرْ من كفر؛ إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن العالمين. ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. بمعنى: ادعُ إلى ربِّك بوضوحٍ وبيِّنةٍ وقوَّةٍ وعزيمةٍ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾؛ فالحقُّ لا يُجامِلُ ولا يُداهِنُ ولا ينحني لأحدٍ مهما كان اسمُه وفصلُه ونسبُه. ومن لا يكون ولاؤه للهِ ولرسولِه ﷺ وللمؤمنين، ولا يتجرَّد لطاعةِ الله وطاعةِ رسولِه ﷺ، ولا ينصرُ المسلمين، ومن يدعو للإقليميَّة والقطريَّة والوطنيَّة والطائفيَّة والقطريَّة والعلمانيَّة وأخواتِها، فلا خيرَ فيه لنفسِه ولا لغيرِه، ولم يبقَ للإسلامِ شيءٌ في نفسِه. ومن لم يجعلْ هواه تبعًا لما جاء به رسولُ الله ﷺ فلا إيمانَ في قلبِه! وهؤلاء جميعًا من جثى جهنَّم وإن صاموا وصلَّوا وزعموا أنهم مسلمون.

»فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ«.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: والرُّشدُ هو الهدايةُ والإيمانُ بالإسلامِ والعملُ به، والحكمُ والتحاكمُ لشرعِ الله ومنهاجِه. ورشادُ العقلِ يهدي إلى الطريقِ المستقيمِ السويِّ لا اعوجاجَ فيه، والرشدُ يهدي إلى الإسلام. والغيُّ هو الكفرُ والجحودُ والطاغوتُ والعصيانُ، والحكمُ بغير ما أنزلَ الله. وكلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ، وتتحمَّل مسؤوليَّةَ اختيارِها وجرائرِ أفعالِها. والإسلامُ لا يُكره من يعيش في

كنفِه على اعتناقه؛ فهو يُنشئُ أُمَّةً ويقيمُ دولةً تنظِّم حياةَ الناس وتحكمُهم، وتُهيمن الشريعةُ على تفاصيلِ حياتِهم بالعدلِ والإنصاف، وتمكِّن الدولةُ كلَّ فردٍ من رعاياها من التمتُّع بحقوقِه الشرعيَّة، وتحقيقِ مصالحِه المعاشية، ورعايتِه رعايةً شخصيَّة. وقوَّةُ الإسلامِ بقوَّةِ دولتِه ومجتمعِه وأمَّتِه، بتمسُّكِهم بالإسلام والتزامِهم بتطبيق شريعةِ الله ومنهاجِه بالعدلِ والإنصافِ والرشدِ والإحسان، على كافَّةِ من يعيش تحت سلطانِ الدولةِ الإسلاميَّة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾. والطاغوتُ صيغةٌ من الطغيان؛ الذي يطغى ويجورُ على الحقِّ ويدَّعيه لنفسِه فيتجاوزُ حدَّه، ولا يلتزم بدينِ الله، ولا يؤمن بالله، ولا يحكم بشرعِ الله ومنهاجِه. فالطاغوتُ كلُّ شيءٍ لم يأمرْ به اللهُ ورسولُه ﷺ. والمؤمنُ يكفرُ بالطاغوت ويؤمن بالله وبرسولِه ﷺ، ويعمل بما أنزلَ اللهُ على رسولِه ﷺ بإقامةِ دينِ الله والحكمِ بشريعتِه ومنهاجِه. ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾: وهذا تمثيلٌ لتمسُّكِ المسلم بأوثقِ العُرى التي لا تنفصم ولا تزول، بتمسُّكه بدينِ الله والتزامِ شرعِ الله ومنهاجِه في الحياةِ الدنيا بجميع جوانبِها؛ ثابتَ اليقين، مطمئنَّ القلبِ بالإيمان، عاملةً جوارحُه وحواسُّه بدينِ الله وشريعتِه. والكفّارُ والمنافقون يتَّبعون الطاغوت ويؤمنون به، ويحكمون بشريعتِه: بالقوانينِ الوضعيَّة التي سنَّها البشر؛ فهم يعبدُ بعضُهم بعضًا، بما أحلُّوا ما حرَّم الله وحرَّموا ما أحلَّ الله، وحكموا بغير ما أنزلَ الله.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾: اللهُ يكلأُ المؤمنين بعنايتِه ورحمتِه فهو وليُّهم؛ فهو النصيرُ والمُعِزُّ، ينصرُهم على عدوِّهم، والحافظُ والمُعينُ يحفظُهم من كلِّ شرٍّ وسوء، والوكيلُ المتكفِّلُ بتسييرِ وتسهيلِ أمورِهم وهدايتِهم إلى سواءِ السبيل. ﴿يُخۡرِجُهُمۡ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: يخرجُهم من ظلماتِ الكفرِ والجهلِ والرِّيبةِ والشكِّ والمسكنةِ، والإذعانِ لطواغيتِ البشر وشرائعِهم، ويهديهم إلى النور: إلى الإسلام والإيمان واليقين وطمأنينةِ القلب وسكينةِ النفس بطاعةِ الله وطاعةِ رسولِه ﷺ، والرضا والتسليم لحكمِ شريعةِ الله ومنهاجِه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾: الكفّارُ والمنافقون ومن لا يحكمُ بشرعِ الله أولياؤُهم الطاغوت؛ يتَّبعونه ويعبدونه ويحكمون بقوانينِ البشر، فيخرجُهم الطاغوت من الإيمان إلى الكفر ومعصيةِ الله ورسولِه ﷺ. والكفرُ ظلماتُ الهوى والجهل والشرودِ من رحمةِ الله وطاعتِه ومن الحكمِ بشريعتِه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقال اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]. الحكمُ بما أنزلَ الله شرطُ الإيمان وثمرتُه ومقتضاه، واللهُ يشهد بعدم إيمان الذين ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ يفرُّون من الإيمان إلى الكفر، بتصرُّفٍ عجيبٍ يثيرُ الشكَّ والرِّيبة في هؤلاء القوم: ﴿ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ ثم يتحاكمون إلى الطاغوت: حكمِ البشر للبشر. وهم لا يفعلون ذلك عن جهلٍ ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ بل عن عمدٍ وقصدٍ؛ فيصدّون عن سبيلِ الله ويبغونها عوجًا ويتَّبعون الشيطان: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيۡطَانُ أَنۡ يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾، فيرديهم إلى الضلالِ البعيد الذي لا يُرجى منه مآبٌ ولا توبة. وهذا هو حالُ حكّامِ بلادِ المسلمين هذه الأيام؛ فهم ﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾، فيتجرّأُ الكفّارُ على الأمّة الإسلاميّة وينتهكون حُرمتَها، وقد تفرَّقت لأكثرَ من خمسين دويلةً لا في العيرِ ولا في النفير، ويستخدمهم الأمريكانُ واليهودُ لقتلِ المسلمين وتجويعِهم في فلسطين، ولا يزدادُ هؤلاء الحكّامُ إلا إذعانًا للكفّار ومذلَّة. والأمّةُ الإسلاميّة في إثمٍ عظيمٍ بسكوتِها عنهم ورضوخِها لهم؛ ولا تُغيِّر عليهم، وكأنها لا تعلم أن الأجلَ قدرٌ محتومٌ لا يقدِّمه قتالُ الظلمةِ حكّامِ الجور، ولا يؤخِّره القعودُ عن كفاحِهم، وأن الرزقَ بيدِ الله ومن عندِه لا يمنعُه ظالمٌ ولا يزيدُه صالح.

وقال اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾: اليومَ وكلَّ يومٍ يئسَ الكفّارُ من دينِكم أن يُبطلوه أو يُغيِّروه، ما التزمتم بأحكامِه وأقمتم فروضَه وجاهدتم في سبيلِ الله، وحفظتم أخوّةَ الإيمانِ والإسلام، وحرصتم على الإخلاص لله ولرسولِه ﷺ، وتوكّلتم على الله حقَّ التوكّل، وتوجّهتم لله وحدَه لا شريكَ له.

فلا يجدُ الكفّارُ ثغرةً ينفذون منها لحِماكم، فلا يقدرون عليكم. وقاتلوهم وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ تُرهِبون بها عدوَّكم.

وقد أكملَ اللهُ الإسلامَ دينًا قيّمًا حنيفًا لا زيادةَ فيه ولا نقصان، ولا تحويلَ ولا تطوير، وقد ارتضاه الله لكم عقيدةً وشريعةً وشعيرةً، ومنهاجًا كاملًا ينظّم الحياةَ ويحكمُها ويهيمنُ عليها. فمن لا يرتضيه ويحكم به ويتحاكم إليه فقد خرج من ملّة الإسلام. ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾: فقد أكملَ اللهُ تباركَ وتعالى الدينَ وأتمَّ نعمتَه عليكم بأن جعلكم مسلمين؛ فحافظوا على الإسلام وتمسّكوا به لتبقى نعمةُ الله عليكم وارفةً دائمة. الإسلامُ دينُ الله الذي أنزلَه على سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ورضيه لكم، ونصركم به، وجعلكم أُمّةً

من دون الناس؛ لا يفرّقها لونٌ ولا جنسٌ ولا قومٌ ولا لسان. أنتم عبادُ الله إخوانًا؛ فحافظوا على دينِكم الذي ينظّم حياتَكم عقيدةً وشريعةً وشعيرةً، وسلوكًا وأخلاقًا وقيمًا ومعاملات، ونظامًا للحكمِ والسياسةِ والاقتصادِ وتوزيعِ الثروةِ والمال، وتحقيقِ العدلِ والإنصاف بين الناس. فكلُّ سكنةٍ وحركةٍ من الحياة منضبطةٌ بشرعِ الله وطاعتِه وتنفيذِ أمرِه، وكلُّ عملٍ لا يُرادُ به وجهُ الله وطاعتُه، والتزامُ هدي رسولِ الله ﷺ وطاعتِه وسنَّتِه ونهجِه ومنهاجِه، فهو عدمٌ لا خيرَ فيه.

﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾: نزلت هذه الآياتُ الكريمة في يومِ عرفة في حجّةِ الوداع، وقد اكتملَ الدين، وترسَّخت الأمّةُ الإسلاميّة بوعيِها وتمسُّكِها بعقيدتِها، وإنشاءِ مجتمعِها، وإقامةِ دولتِها. فوقف رسولُ الله ﷺ يودّع الأمّةَ في حجّةِ الوداع ويأمرُها بالتزامِ دينِها وتطبيقِه بقوله: «فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا أَمْرًا بَيِّنًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»، بمعنى: أن الله أكمل لكم الدين ورضيه لكم؛ فتمسّكوا به وأقيموه، وأحسنوا طاعةَ الله وتطبيقَ شريعتِه، واصدقوا الله وأخلصوا طاعتَه وطاعةَ رسولِه ﷺ؛ فينصركم الله على عدوِّكم.

وقد حفظَ اللهُ الإسلام، ولن يستطيع الكفّارُ تحريفَه وتزويرَه ومحوَ آثاره، بالرغم من ضعفِ المسلمين وتفرّقِ شملِهم هذه الأيام وغيابِ دولتِهم! فلا تخشوا الكفّارَ والمنافقين ومن يتبعهم من حكّامِ الجور والطغيان، وغيّروا عليهم! ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾؛ فإن الله مُهلِكُهم، فلا تطيعوا أمرَهم وتستكينوا لهم، واجعلوا خشيةَ الله وتقواه تعمرُ قلوبَكم وتدفعُكم لقتالِ الكفّار ومن يتبعُهم. ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٣]. تمسّكوا بدينِكم وأقيموه، فإن الله ناصركم ما أطعتموه واتّبعتم رسولَه ﷺ، وأقمتم حكمَ الله في الأرض. فلا تخشوا الكفّار وتخافوا سطوتَهم.

قال اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩﴾، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال].

واللهُ من وراءِ القصد، له الحمدُ والثناء.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيَّنا وَلِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنا وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.وَصَلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.■

إبستين وإيران وتوقيت الضربة:

كيف يُقرأ التلاقي بين الأزمة الداخلية والقرار الإستراتيجي؟

القراءة المهنية لهذه اللحظة لا تحتمل تبسيطًا من نوع: "أمريكا تُقاد بالكامل من (إسرائيل)"، كما لا تحتمل في المقابل إنكار أثر أدوات الضغط والتأثير المؤيدة لكيان الاحتلال داخل واشنطن. الأدقّ أن نقول: هناك **هرمية مصالح** تقودها الولايات المتحدة، وفي داخل هذه الهرمية تعمل شبكات ضغط وتحالفات وأجهزة وتقاطعات استخباراتية وسياسية تدفع بعض الخيارات إلى الواجهة عندما تخدم **المصلحة الأمريكية** أيضًا. وفي هذا الإطار تحديدًا، يمكن فهم الربط بين أزمة **ملفات إبستين** وبين **توقيت** التصعيد ضد إيران، لا بوصفه تفسيرًا وحيدًا، بل بوصفه عاملًا سياسيًا ضاغطًا ومسرّعًا في لحظة قرار شديدة الحساسية.

أولًا، من الناحية الداخلية الأمريكية، لم تبق ملفات إبستين مجرد مادة أرشيفية أو "فضيحة قديمة". تقارير رويترز بيّنت أن الإفراجات المتتابعة عن ملايين الوثائق جعلت القضية **مشكلة سياسية مستمرة** لترامب، وأنها تحولت إلى ملف ثقة عام يتعلق بعلاقة السلطة بالنخب وبفكرة الإفلات من العقاب. كما أظهر استطلاع Reuters/Ipsos أن نسبة كبيرة من الأمريكيين رأت في هذه الملفات دليلًا على أن الأقوياء غالبًا لا يُحاسَبون، وأن القضية أثّرت في الثقة بالقيادات السياسية والاقتصادية. هذا يعني أننا أمام ملف لا يهدد السمعة فقط، بل يضغط على **بيئة الشرعية السياسية** نفسها.

وفي السياق ذاته، زاد التوتر السياسي عندما اتهم نائب ديمقراطي بارز وزارة العدل بحجب مقابلاتFBI مرتبطة باتهام موجّه لترامب ضمن ملف إبستين، مع تأكيد رويترز أن جهات إنفاذ القانون لم تتهم ترامب جنائيًا في هذا الملف، وأن الوزارة نفسها قالت إنها تراجع ما إذا كانت بعض المواد قد حُجبت خطأً. هذه النقطة مهمة جدًا: لأنها تجعل المسألة **سياسية عالية الحساسية** حتى في غياب إدانة قضائية، وتفتح الباب لاتهامات "التغطية" وازدواجية المعايير، وهي البيئة المثالية لاحتدام الصراع الإعلامي والحزبي.

لكن هل يعني ذلك مهنيًا أن الضربة على إيران كانت "مجرد" صرف انتباه عن إبستين؟ هنا يجب ضبط التحليل. الأدبيات الإستراتيجية حول ما يسمى **نظرية الإلهاء الخارجي** (Diversionary Theory) و**تأثير الالتفاف حول العلم**(Rally round the flag) تقول إن القادة قد يجدون في الأزمات الخارجية فرصة لإعادة ترتيب المجال السياسي الداخلي أو رفع كلفة خصومهم، لكن هذه الأدبيات نفسها تؤكد أن الأمر **ليس قاعدة حتمية**، وأن الأدلة التجريبية مختلطة، بل إن بعض الدراسات شككت في شيوع هذا النمط بالشكل الذي يتخيله الخطاب العام. بمعنى آخر: الفرضية موجودة ومعتبرة في علم السياسة، لكن لا يجوز تحويلها تلقائيًا إلى "حكم إثبات" في كل حرب أو ضربة.

ما نستطيع قوله بدرجة أعلى من المهنية هو الآتي: **ملفات إبستين خلقت ضغطًا داخليًا حقيقيًا**، وهذا النوع من الضغط يجعل أي إدارة أكثر حساسية لإدارة الأجندة الإعلامية والسياسية؛ لكن قرار الضربة على إيران -بحسب تقارير رويترز- كان أيضًا محكومًا بمنطق إستراتيجي/استخباراتي خاص به: إحاطات لترامب وصفت العملية بأنها "عالية المخاطر/عالية العائد"، مع حديث عن فرصة نادرة لإحداث تحول جيوسياسي يخدم المصالح الأمريكية، وتقديرات تتعلق بمخاطر القواعد الأمريكية والرد الإيراني وخيارات "تغيير" موازين المنطقة.

هذا يضعنا أمام **تداخل** بين دافع داخلي ودافع إستراتيجي، لا أمام تفسير أحادي، بل إن بعض ما نشرته رويترز يضعف رواية "الإلهاء الصرف" من حيث الأصل؛ إذ أظهرت التغطية أن ترامب كان قد بدأ علنًا تهيئة الرأي العام لاحتمال ضرب إيران قبل الضربة بعدة أيام، في خطاب حالة الاتحاد، بينما كان الحشد العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط يطغى أصلًا على المشهد السياسي.

أي إن خيار التصعيد لم يولد فجأة من رحم أزمة إعلامية، بل كان موجودًا على الطاولة ومسبوقًا ببناء عسكري وخطاب سياسي، ثم جاء التنفيذ في لحظة عملياتية ملائمة. هذا لا ينفي أثر إبستين على **التوقيت**

السياسي والتسويق الداخلي، لكنه ينفي -أو على الأقل يضعف- القول بأنه السبب الوحيد أو التفسير الكامل.

وهنا نصل إلى نقطة مهمة: **أمريكا لا تتعامل مع (إسرائيل) بوصفها صاحب القرار الأعلى في كل الملفات.** العلاقة أقرب إلى شراكة إستراتيجية غير متكافئة: الولايات المتحدة هي القوة الكبرى التي تحدد سقف اللعبة وفق مصالحها الكلية، بينما تمارس (إسرائيل) نفوذًا معتبرًا -سياسيًا واستخباراتيًا ومؤسساتيًا- في الملفات التي تتقاطع مع تلك المصالح.

تقارير ودراسات إستراتيجية (مثل CSIS وCFR) تتحدث أصلًا عن "شراكة إستراتيجية" تخدم مصالح الطرفين، وعن وجود لحظات **تباعد وتوتر** في الرؤى بين واشنطن وتل أبيب، لا عن علاقة تبعية ميكانيكية من أمريكا للكيان الصهيوني.

والأمثلة العملية على ذلك واضحة: رويترز وثقت أن إدارة بايدن أوقفت شحنات ذخائر معينة دولة الاحتلال بسبب مخاوف من عملية رفح، كما وثقت لاحقًا أن جهات أمريكية قيدت/أوقفت مؤقتًا مشاركة بعض المعلومات الاستخباراتية مع (إسرائيل) قبل استئنافها بعد الحصول على ضمانات.

هذا يثبت أن واشنطن -عندما ترى أن مصلحتها أو حساباتها القانونية/الإستراتيجية تقتضي- تضغط، وتقيّد، وتفرض شروطًا، حتى على أقرب حلفائها. وبالتالي فالصياغة الأدق ليست "(إسرائيل) تُسيّر أمريكا"، بل: **(إسرائيل) تملك أدوات فعالة للتأثير داخل القرار الأمريكي، لكنها تنجح أكثر حين تدفع باتجاه خيار ينسجم أصلًا مع المصلحة الأمريكية المتصورة.**

ومن هنا يمكن فهم مثال إيران: ضرب إيران -خصوصًا إذا قُدِّم داخل واشنطن بصفته فرصةً لإضعاف بنية الحكم أو هندسة بيئة انتقالية أكثر قابلية للاحتواء الأمريكي، فيغدو النظام الإيراني البديل عميلا تابعا بدلا من دولة تدور في الفلك- ليس مصلحة (إسرائيلية) فقط، بل يمكن أن يُسوَّق داخل المؤسسة الأمريكية بوصفه **خيارًا أمريكيًا** لإعادة تشكيل التوازن الإقليمي. رويترز نقلت بالفعل أن إحاطات ترامب تضمنت تصورًا لعائد جيوسياسي يخدم المصالح الأمريكية، كما نقلت أن توقيت الضربة ارتبط بمعلومة استخباراتية حول اجتماع قيادي حساس داخل إيران، وهو ما يجعل التنفيذ في تلك اللحظة نتيجة تلاقٍ بين «النافذة الاستخباراتية» و«القرار السياسي».

أما أثر ملفات إبستين هنا، فالطرح المهني الأقوى ليس أنها **صنعت القرار من الصفر**، بل أنها قد تكون ساهمت في جعل البيت الأبيض أكثر استعدادًا لأن يدفع بخيار صدامي قائم أصلًا، أو أكثر حرصًا على أن يعيد ترتيب المشهد العام باتجاه ملف أمني/خارجي في لحظة كان فيها ملف إبستين يضغط على صورة الإدارة وثقة الجمهور.

هذا التوصيف ينسجم أيضًا مع تقارير رويترز التي أظهرت أن الضربة نفسها خلقت انقسامًا داخل قاعدة ترامب(MAGA) ، وأنها ليست «ورقة مضمونة» انتخابيًا؛ أي إن القرار حمل مخاطر داخلية كذلك، ما يذكّرنا بأن منطق الإلهاء -even when present - قد يرتد على صاحبه إذا طال أمد الصراع أو تعاظمت كلفته.

الخلاصة: إذا أردنا بناء حجة قوية ومهنية، فعلينا أن نتجنب المبالغة في ادعاء علاقة سببية قاطعة بين فضائح إبستين وضرب إيران من دون دليل مباشر منشور. لكن من المشروع، بل ومن المهم أن نقول إن **أزمة إبستين صنعت ضغطًا سياسيًا وإعلاميًا حقيقيًا**، وإن هذا النوع من الضغط يؤثر في حسابات التوقيت وإدارة الأجندة، خاصة عندما يتزامن مع **فرصة استخباراتية** وخيار إستراتيجي ترى فيه واشنطن مكسبًا لمصالحها الكبرى. وفي هذا الإطار، تكون (إسرائيل) فاعلًا شديد التأثير داخل المشهد، لا بوصفها «القائد الأعلى» لواشنطن، بل بوصفها شريكًا قادرًا على توجيه الزخم وتسريع القرار عندما تتقاطع وجهة الدفع (الإسرائيلية) مع **المصلحة الأمريكية كما تراها المؤسسة الحاكمة.**

اختراقٌ لا يُقاس بعدد العملاء بل بعمق الوصول

لم يبقَ الحديث عن الاختراق الاستخباراتي (الإسرائيلي) لإيران وحلفائها مجرّد تهمة دعائية في سجالٍ سياسي، بل صار يُقرأ في نتائج العمليات نفسها: دقة الوصول، وتوقيت الضربات، ونوعية الأهداف. فحين تتمكن دولةٌ من اصطياد قادة الصف الأول مرارًا، وفي أماكن يُفترض أنها الأكثر تحصينًا وسرية، فإن السؤال اليوم ليس: هل يوجد اختراق؟ بل: ما حجم هذا الاختراق، وأين تنتهي دوائره؟ وفي هذا السياق، تتردد على نطاق واسع تصريحات منسوبة إلى الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد، قال فيها إن إيران أنشأت وحدةً لمكافحة اختراق الموساد، ثم تبيّن -بحسب روايته- أن رئيس تلك الوحدة نفسه كان عميلًا للموساد، مع حديثه عن عناصر آخرين داخل البنية نفسها. هذه الرواية، سواء نظرنا إليها بصفتها اعترافًا صادمًا أو بصفتها مؤشرًا على صراع داخلي، تكشف شيئًا أخطر من مجرد "وجود جواسيس": إنها تطرح احتمال اختراق أدوات مكافحة الاختراق ذاتها. ما جرى في لبنان عزّز هذا المعنى بقوة. فقد أظهرت تقارير دولية أن اغتيال حسن نصرالله جاء ضمن سلسلة ضربات أصابت الصف العسكري الأعلى في حزب إيران، مع حديثٍ عن قتل ثمانية من أصل تسعة من كبار القادة العسكريين خلال مدة قصيرة، وعن امتلاك (إسرائيل) "معرفة آنية" باجتماع القيادات. هذا المستوى من الإصابة ليس مجرد تفوق ناري؛ إنه في جوهره تفوق معلوماتي، أي نجاح في الاختراق والتتبع والبناء الاستخباراتي طويل النفس.

ثم تأتي المقارنة الكاشفة مع يحيى السنوار. فرغم أنه كان الهدف الأول لكيان الاحتلال، ورغم مطاردةٍ مكثفة استمرت أكثر من عام، فإن روايات الكيان نفسها -كما نقلتها رويترز- تقول إن القوة التي قتلته لم تكن تعلم ابتداءً أنها واجهت السنوار، وأن مقتله لم يكن نتيجة ضربة مخططة وموجهة استخباراتيًا على غرار اغتيالات قادة آخرين. هنا يظهر الفرق بين هدفٍ محميّ باحتياطات ميدانية صارمة، وبين بيئاتٍ يبدو أن طبقاتها الأمنية قد نُخرت من الداخل.

واليوم، ومع التقارير المتسارعة عن مقتل قيادات إيرانية بارزة في الضربات الأخيرة، بل ومقتل المرشد الأعلى نفسه في الضربات الافتتاحية للحرب، فإننا نرى أن ما يحققه الكيان الصهيوني في هذه المواجهات لا ينبغي أن يُقرأ بوصفه ثمرة "تفوق عسكري" مجرّد، بقدر ما هو ثمرة اختراقٍ استخباراتي عميق، يتغذّى على نفوسٍ ضعيفة تبيع المعلومة بثمنٍ بخس، فتفتح للأعداء أبوابًا ما كان السلاح وحده ليفتحها. ومن هنا تتولد غطرسة كيان يهود في المنطقة؛ إذ يرى أن الطريق إلى الرؤوس والدوائر الحساسة صار أقصر من ميادين القتال نفسها. غير أن المشهد لا يكتمل دون رؤية الوجه الآخر للمسألة: فالنظام الإيراني الذي طالما أسهمت سياساته في إخضاع الأمة لمقتضيات الخطط الأمريكية، وجرّع شعوبها مرارات التمزيق والاستنزاف في سوريا والعراق واليمن ولبنان وغيرها، ها هو اليوم يتجرّع الكأس ذاتها؛ كأن سنن السياسة والتاريخ تعود إليه بما صنعته يداه، ليذوق نتائج المسارات التي أضعفت الأمة وفتحت المجال واسعًا للعدو كي يتمدد، لا بقوة الحديد وحده، بل عبر شقوق الداخل قبل حدود الجبهات.